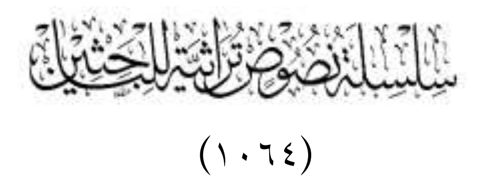


(١٠٦٤)

رأيت في بعض الكتب

لطائف من كتب التراث

د/ يوسف بن حمود الحوشان

١٤٤٥هـ

نسخة أولية من غير ترتيب او مراجعة

ومتاح لكل أحد الاستفادة منها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله اما بعد

فهذه نصوص جمعت باستخدام برنامج شاملة وورد من برمجيات الدكتور سعود العقيل بواسطة المكتبة الشاملة

معتمدة على توظيف الكلمة المفتاحية وتوفير النصوص للباحثين لتحريرها والاستفادة منها وهي مشاعة لمن يستفيد منها

وسيتبعها نصوص أخرى يسر الله نشرها والله الموفق

يوسف بن حمود الحوشان

yhoshan@gmail.com

تليجرام https://t.me/dralhoshan

WWW.NSOOOS.COM

" ولا إجماع عقلية فيجب تنزيل ذلك على ما قلناه يعني القدرة والظاهر من لفظ يدين حملهما على جارحتين فإن استحال حملهما على ذلك ومنع من حملهما على القدرة أو النعمة أو الملك فالقول بأنها محمولة على صفتين قديمتين لله زائدتين على ما عداهما من الصفات تحكم محض

قال أبو المعالي وأما العينان والوجه فقد اختلف جواب شيخنا أبي الحسن في ذلك فقال مرة هما صفتان على نحو ما قال في اليدين وقال مرة العينان محمولتان على البصر وهذا أظهر قوليه وعليه حمل الأعين في قوله تجري بأعيننا ١٤٥٤ أي تجري السفينة بمرأى منا وقيل بحفظنا وحمل الوجه على وجود الباري واستدل على ذلك بقوله تعالى ويبقى وجه ربك ٢٧٥٤ والباقي بعد فناء الحق هو الله قال أبو المعالي وهذا هو الصحيح من جوابيه عندنا وإنما اختلف جوابه من حيث كان التعليق بالظاهر في اليدين أظهر

قال أبو القاسم النيسابوري وقول أبي الحسن في أن الوجه صفة زائدة على الوجود أظهر وقوله في العينين أن المراد بذلك البصر أظهر

قال أبو المعالي ومن سوغ من أصحابنا إثبات الصفات بظواهر هذه الآيات ألزمه بثبوت كلامه أن يجعل الاستواء والنزور والجنب من الصفات تمسكا بالظاهر وإن لم يبعد تأويلها فيما يتفق عليه لم يبعد أيضا طريق التأويل فيما ذكرناه قال أبو القاسم هذا ما قاله الإمام

وقد **رأيت في بعض كتب** الأستاذ أبي إسحاق قال ومما ثبت من الصفات بالشرع الاستواء على العرش والمجيء يوم القيامة بقوله الرحمن على العرش ." (١)

"ص -١٧١- فصل :

واعلم أن هذه المقالات لا أعرفها لأحد من أمة قبل هؤلاء على هذا الوجه، ولكن **رأيت في بعض كتب** الفلسفة المنقولة عن أرسطو أنه حكى عن بعض الفلاسفة قوله : إن الوجود واحد، ورد ذلك . وحسبك بمذهب لا يرضاه متكلمة الصابئين .

وإنما حدثت هذه المقالات بحدوث دولة التتار، وإنما كان الكفر الحلول العام، أو الاتحاد، أو الحلول الخاص، وذلك أن القسمة رباعية؛ لأن من جعل الرب هو العبد حقيقة، فإما أن يقول بحلوله فيه، أو اتحاده به، وعلى التقديرين، فإما أن يجعل ذلك مختصا ببعض الخلق، كالمسيح، أو يجعله عاما لجميع الخلق . فهذه أربعة أقسام :

---

(١) بيان تلبيس الجهمية، ٨٢/١

الأول : هو الحلول الخاص، وهو قول النسطورية من النصارى ونحوهم ممن يقول : إن اللاهوت حل في الناسوت، وتدرع به كحلول الماء في الإناء، وهؤلاء حققوا كفر النصارى،بسبب مخالطتهم للمسلمين، وكان أولهم في زمن المأمون،وهذا قول من وافق هؤلاء النصارى من غالية هذه الأمة، كغالية الرافضة الذين يقولون : إنه حل بعلي بن أبي طالب وأئمة أهل بيته، وغالية النساك." (١)

"وأنت الذي أشرقت عيني بمائها ... وعلمتها بالهجر أن تهجر الغمضا

وأغرقتها بالدمع حتى جفونها ... لينكر من فقد الكرى بعضها بعضا فمر يوم من أحسن الأيام وأطيبها، ووصله وأحسن إليه، ولم يزل عنده مقربا مكرما، وكان خليعا ماجنا مشتهرا بالنبيذ، فخلاه وما أحب، ثم وصف له الأندلس وطيبها، وكثرة خمورها، فمضى إليها ومات بها، وعلى نحو هذه الحال كان يفعل بكل طارئ يطرأ من المشرق، ولو ذكرتهم لطال بهم الكتاب، انتهى.

وغرضي من إيراد هذه الحكاية هنا كونه وصف للمشرقي الأندلس وطيبها، وذلك أمر لا يشك فيه ولا يرتاب، والله المسئول في حسن المتاب.

[قصر باديس بغرناطة]

ورأيت في بعض كتب تاريخ الأندلس في ترجمة السلطان باديس الصنهاجي صاحب غرناطة، ما نصه: وهو الذي أكمل ترتيب قصبة مالقة، وكان أفرس الناس وأنبلهم، ذا مروءة ونجدة، وقصره بغرناطة ليس ببلاد الإسلام والكفر مثله، فيما قيل، انتهى.

وهذا القصر هو الذي عناه لسان الدين بن الخطيب في قصيدته السينية المذكورة في الباب الخامس من القسم الثاني من هذا الكتاب، فلتراجع ثمة.

[سرقسطة وخواصها]

وذكر غير واحد من المحدثين والمؤرخين أن مدينة سرقسطة لا يدخلها الثعبان من قبل نفسه، وإذا أدخله أحد لم يتحرك، ونظير هذا المعنى في بعض الحيوانات بالنسبة إلى بعض البلاد كثير، وذلك برصد أو طلسم، وقد استطرد بعض علماء أصول الدين ذلك عندما تكلموا على السحر حسبما قرر في محله." (٢)

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٣٩/٢٤

(٢) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ١٩٦/١

"والآخر النصف الآخر لنفسه، ويسير معهم جماعة والناس مشتغلون بغير ذلك.

وعن يحيى بن سعيد: لما افتتحت الأندلس أصاب الناس فيها غنائم، فغلوا منها غلولا كثيرا حملوه في المراكب وركبوا البحر، فسمعوا مناديا يقول: اللهم غرق بهم، وتقلدوا المصاحف، فما نشبوا أن أصابتهم ريح عاصف، وضربت المراكب بعضها بعضا حتى تكسرت، وغرق بهم، وأهل مصر ينكرون ذلك، ويقولون: أهل الأندلس ليس هم الذين غرقوا، وإنما هم أهل سردانية، فالله أعلم بحقيقة الحال.

ورأيت في بعض كتب التاريخ (١) أنه وجد في طليطلة حين فتحت من الذخائر والأموال ما لا يحصى، فمن ذلك مائة وسبعون تاجا من الذهب الأحمر مرصعة بالدر وأصناف الحجارة الثمينة، ووجد فيها ألف سيف ملوكي، ووجد فيها من الدر والياقوت أكيال، ومن أواني الذهب والفضة ما لا يحيط به وصف، ومائدة سليمان، وكانت – فيما يذكر – من زمردة خضراء، وزعم بعض العجم أنها لم تكن لسليمان، وإنما أصلها أن العجم أيام ملكهم كان أهل الحسنة في دينهم إذا مات أحد منهم أوصى بمال للكنائس، فإذا اجتمع عندهم مال له قدر صاغوا منه الآلة من الموائد العجيبة، والكراسي من الذهب والفضة، تحمل الشمامسة والقسوس فوقها الأناجيل في أيام المناسك، ويضعونها في الأعياد للمباهاة، فكانت تلك المائدة بطليطلة مما صنع في هذا السبيل، وتأنق الملوك في تحسينها، يزيد الآخر منهم فيها على الأول، حتى برزت على جميع ما اتخذ من تلك الآلات، وطار الذكر بها كل مطار، وكانت مصوغة من الذهب الخالص مرصعة بفاخر الدر والياقوت والزبرجد، وقيل: إنها من زبرجدة خضراء حافاتها وأرجلها منها، وكان لها ثلاثمائة وخمس وستون رجلا، وكانت توضع في كنيسة طليطلة، فأصابها طارق، انتهى.

---

(١) تقدم ما هو شبيه بذلك، انظر ص: ٢٧٢ من هذا الكتاب؛ وفي ك: ورأيت لبعض أهل التاريخ.." [١]

"أصبحت كالشمعة لما خبا ... منها الضياء اسود فيها الذبال وهو شاعر إشبيلية ووشاحها، وقرأ على أبي علي الشلوبين وابن الباج وغيرهما، وقال العز في حقه، وكان أظهر الإسلام، ما صورته: كان يتظاهر بالإسلام، ولا يخلو مع ذلك من قدح واتهام، انتهى. وسئل بعض المغاربة عن السبب في رقة نظم ابن سهل، فقال: لأنه اجتمع فيه ذلان، ذل العشق، وذل اليهودية. ولما غرق قال فيه بعض الأكابر: عاد الدر إلى وطنه. ومن نظم ابن سهل المذكور قوله:

وألمى بقلبي منه جمر مؤجج ... تراه على خديه يندى ويبرد

---

(١) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ٢٨٩/١

يسائلني من أي دين مداعبا ... وشمل اعتقادي في هواه مبدد

فؤادي حنيفي، ولكن مقلتي ... مجوسية من خده النار تعبد ومنه قوله:

هذا أبو بكر يقود بوجهه ... جيش الفتور مطرز الرايات

أهدى ربيع عذاره لقلوبنا ... حر المصيف فشبها لفحات

خد جرى ماء النعيم بجمره ... فاسود مجرى الماء في الجمرات وذكر الحافظ أبو عبد الله محمد بن عمر بن رشيد الفهري في رحلتهالكبيرة القدر والجرم المسماة ب " ملء العيبة فيما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطيبة " خلافا في إسلام ابن سهل باطنا، وكتب على هامش هذا الكلام الخطيب العلامة سيدي أبو عبد الله ابن مرزوق ما نصه: صحح لنا من أدركناه من أشياخنا أنه مات على دين الإسلام، انتهى.

ورأيت في بعض كتب الأدب بالمغرب أنه اجتمع جماعة مع ابن سهل في مجلس أنس، فسألوه لما أخذت منه الراح عن إسلامه: هل هو في الظاهر والباطن أم لا فأجابهم بقوله: للناس ما ظهر، ولله ما استتر، انتهى.." (١)

"ولؤم الحجاج من قبل رضاعه ومكاسب آبائه قيل إن أم الحجاج واسمها الفارعة بنت مسعود الثقفية كانت قبل أن يتزوجها يوسف عند المغيرة بن شعبة فدخل عليها يوماً حين أقبل من صلاة الغداة وهي تتخلل فقال يا فارعة لئن كان هذا التخلل من أكل اليوم إنك لنهمه وإن كان من أكل البارحة فإنك لقذرة انصرفي فأنت طالق فقالت سخنت عينك ما هو من ذا ولا من ذاك ولكني استكت فتخللت من سواكي فاسترجع ثم خرج فلقي يوسف بن الحكم ابن عقيل فقال إني قد نزلت اليوم عن خير نساء بني ثقيف وحدثه بالقصة فتزوجها فولدت له الحجاج مشوهاً لا دبر له فثقب دبره وأبى أن يقبل الثدي من المراضع وأعياهم أمره فيقال إن ابليس تصور لهم على صورة الحرث بن كلدة وأشار عليهم أن يذبح جدي أسود ويولغوه دمه يومين وفي الثالث يذبح له تنين ويولغوه من دمه ويطلوا وجهه بما بقي منه فإنه يقبل الثدي ففعلوا ذلك فأقبل على ثدي أمه فأكسبه الرضاع الأول لؤماً والرضاع بغير الطباع فكان في كبره سفاكاً للدماء فلما بلغ أشده صار هو وأخوه معلمين بالطائف وفيه يقول مالك بن الخريت يهجو الحجاج

فلولا بنو مروان كان ابن يوسف ... كما كان عبداً من عبيد زياد

زمان هو العبد المقرّ بذله ... يراوح صبيان القرى ويغادي

---

(١) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ٥٢٣/٣

وقال آخر يذكر تعليمه الصبيان

أينسى كليب زمان الهزال ... وتعليمه سورة الكوثر

رغيف له فلكة ما ترى ... وآخر كالقمر الأزهر

هكذا رواه جميع الأخباريين والصواب ما ذكره الحموي في كتاب البلدان له قال الكوثر قرية في الطائف كان الحجاج معلماً بها وأنشد شاهداً على ذلك

أينسى كليب زمان الهزال ... وتعليمه صبية الكوثر

وعلى هذا يكون اسمه كليباً وهو الأولى به وقد تقدم منه الولوغ وقال آخر

كليب تعاظم في أرضكم ... وقد كان فينا صغير الحضر

ورأيت في بعض كتب التواريخ إن الحجاج لما احتضر قال لمنجم كان عنده هل ترى ملكاً يموت قال نعم ولست به إني أرى ملكاً يموت يسمى كليباً قال أنا والله كليب بذلك كانت أمي تسميني ومما يؤيد ما ذكرنا من لؤمه ما كتب به إليه عبد الملك بن مروان لما أراد قتل أنس بن مالك رضي الله عنه أما بعد فإنك طفت لك الأمور وعلوت فيها حتى تعديت طورك وتجاوزت قدرك وركبت داهية دهماء أردت أن تزورني بها فإن سوغتكها نصبت قدماً وإن لم افعل رجعت القهقري فلعنك الله أخفش العينين منقوص الجاعرتين ممسوح الساعدين أصك الرجلين أراك قد نسيت ما كنت عليه أنت وآباؤك من الدناءة واللؤم فأذكر مكاسب آبائك بالطائف إذ كانوا ينقلون الحجارة على ظهورهم ويحفرون الآبار بأيديهم وأيم الله يا ابن المستقرية بعجم الزبيب لأغمرنك غمر الليث الثعلب ولأركضن بك ركضة تدخل بها في جعس أمك فإذا أتاك كتابي هذا فكن لأنس أطوع من عبد لسيده وإلا أصابك مني سهم مشكل ولكل نبا مستقر وسوف تعلمون وصف الحسن البصري الحجاج فقال أتانا أخيفش أعيمش يخطر في مشيته ويصعد المنبر فيقوم عليه حتى تفوته الصلاة لا من الله يتقي ولا من الناس يستحي فوقه الله وتحته مائة ألف أو يزيدون لا يقول له قائل الصلاة أيها الرجل هيهات دون ذلك السيف والسوط وفيه يقول الأحمر بن سالم وأحسن

ثقيف بقايا من ثمود وما لهم ... أب ماجد من قيس عيلان ينسب

وأنت دعيّ يا ابن يوسف فيهم ... زنيم إذا ما حصلوا متذبذب." (١)

" قال ابن قتيبة وهم يكرهون منها أربع دوائر وهي دائرة الهقعة مع ذكره أن أبقى الخيل المهقوع ودائرة القالع ودائرة الناخس ودائرة النطيح

---

(١) غرر الخصائص الواضحة، ص/٣٩

قال وما سوى ذلك من الدوائر فليس بمكروه

وذكر صاحب زهر الآداب في اللغة أنهم يستحبون من الدوائر دائرة المقود ودائرة السمامة ودائرة الهقعة احتجاجا بأن أبقى الخيل المهقوع ويكرهون دائرة النطيح ودائرة اللهزمة ودائرة القالع

ورأيت في بعض كتب البيطرة أن المستحب منها ثلاث دوائر دائرة المقود ودائرة السمامة ودائرة الهقعة وما عدا ذلك فهو مكروه

وكره حكماء الهند دوائر أخرى ذكروها وهي أن يكون في مقدم يده دائرة أو في أصل ذنبه من الجانبين دائرتان أو على ناصيته دائرة أو على محجره دائرة أو في جحفلته السفلى دائرة أو على سرته دائرة أو على منسجه دائرتان

وأما أسنان الخيل فأول ما تضع الحجرة جنينها قيل مهر والأنثى مهرة فإذا فصل عن أمه قيل فلو فإذا استكمل حولا قيل حولي والأنثى حولية ." (١)

"عليهم أن يذبح جدي أسود ويولغوه دمه يومين وفي الثالث يذبح له تنين ويولغوه من دمه ويطلوا وجهه بما بقي منه فإنه يقبل الثدي ففعلوا ذلك فأقبل على ثدي أمه فأكسبه الرضاع الأول لؤما والرضاع بغير الطباع فكان في كبره سفاكا للدماء فلما بلغ أشده صار هو وأخوه معلمين بالطائف وفيه يقول مالك بن الخريت يهجو الحجاج

فلولا بنو مروان كان ابن يوسف ... كما كان عبدا من عبيد زياد

زمان هو العبد المقر بذله ... يراوح صبيان القرى ويغادي

وقال آخر يذكر تعليمه الصبيان

أينسى كليب زمان الهزال ... وتعليمه سورة الكوثر

رغيف له فلكة ما ترى ... وآخر كالقمر الأزهر

هكذا رواه جميع الأخباريين والصواب ما ذكره الحموي في كتاب البلدان له قال الكوثر قرية في الطائف كان الحجاج معلما بها وأنشد شاهدا على ذلك

أينسى كليب زمان الهزال ... وتعليمه صبية الكوثر

وعلى هذا يكون اسمه كليبا وهو الأولى به وقد تقدم منه الولوغ وقال آخر

كليب تعاظم في أرضكم ... وقد كان فينا صغير الحضر

---

(١) صبح الأعشى، ٣٢/٢

ورأيت في بعض كتب التواريخ إن الحجاج لما احتضر قال لمنجم كان عنده هل ترى ملكا يموت قال نعم ولست به إني أرى ملكا يموت يسمى كليبا قال أنا والله كليب بذلك كانت أمي تسميني ومما يؤيد ما ذكرنا من لؤمه ما كتب به إليه عبد الملك بن مروان لما أراد قتل أنس بن مالك رضي الله عنه أما بعد فإنك طفت لك الأمور وعلوت فيها." (١)

"قال ابن قتيبة: وهم يكرهون منها أربع دوائر؛ وهي دائرة الهقعة «١» ، مع ذكره أن أبقى الخيل: المهقوع. ودائرة القالع، ودائرة الناخس، ودائرة النطيح. قال:

وما سوى ذلك من الدوائر فليس بمكروه.

وذكر صاحب زهر الآداب «٢» في اللغة: أنهم يستحبون من الدوائر دائرة المقود «٣» ؛ ودائرة السمامة؛ ودائرة الهقعة، احتجاجا بأن أبقى الخيل المهقوع؛ ويكرهون دائرة النطيح، ودائرة اللهزمة، ودائرة القالع.

ورأيت في بعض كتب البيطرة، أن المستحب منها ثلاث دوائر: دائرة المقود، ودائرة السمامة، ودائرة الهقعة؛ وما عدا ذلك فهو مكروه.

وكره حكماء الهند دوائر أخرى ذكروها؛ وهي أن يكون في مقدم يده دائرة، أو في أصل ذنبه من الجانبين دائرتان أو على ناصيته دائرة، أو على محجره دائرة، أو في جحفلته السفلى دائرة، أو على سرته دائرة، أو على منسجه «٤» دائرتان.

وأما أسنان الخيل: فأول ما تضع الحجرة «٥» جنينها قيل: مهر، والأنثى مهرة؛ فإذا فصل عن أمه قيل: فلو؛ فإذا استكمل حولا قيل: حولي والأنثى حولية؛." (٢)

"فتحها في باب التبانين اقتضى الحال بعد قتله إعادة دار العلم، فامتنع الوزير المأمون من إعادتها في موضعها، فأشار الثقة زمام القصور بهذا الموضع، فعمل دار العلم في شهر ربيع الأول سنة سبع عشرة وخمسمائة، وولاها لأبي محمد حسن بن أدم، واستخدم فيها مقرئين ولم تزل دار العلم عامر حتى زالت الدولة الفاطمية.

قال ابن عبد الظاهر: **رأيت في بعض كتب** الأملاك القديمة ما يدل على أنها قريبة من القصر النافعي، وكذا ذكر لي السيد الشريف الحلبي، أنها دار ابن أزدمر المجاورة لدار سكنى الآن، خلف فندق مسرور الكبير، وكذلك قال لي والدي رحمه الله، وقد بناها جمال الدين الإستادار الحلبي: دارا عظيمة غرم عليها مائة

---

(١) غرر الخصائص الواضحة؟ الوطواط ص/٩٨

(٢) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء؟ القلقشندي ٢/٣٢

ألف، وأكثر من ذلك على ما ذكره، انتهى. وموضع دار العلم هذه دار كبيرة ذات زلاقة بجوار درب ابن عبد الظاهر قريبا من خان الخليلي، بخط الزراكشة العتيق.

موسم أول العام: قال ابن المأمون، وأسفرت غرة سنة سبع عشرة، وخمسمائة، وبادر المستخدمون في الخزائن، وصناديق الإنفاق بحمل ما يحضر بين يدي الخليفة من عين، وورق من ضرب السنة المستجدة، ورسم جميع من يختص به من إخوته، وجهاته، وقرابته، وأرباب الصنائع، والمستخدمات، وجميع الأستاذين العوالي والأدوان، وثنوا بحمل ما يختص بالأجل المأمون، وأولاده، وإخوته، واستأذنوا على تفرقة ما يختص بالأجل المأمون، وأولاده، والأصحاب والحواشي والأمراء، والضيوف، والأجناد، فأمروا بتفرقته، والذي اشتمل عليه المبلغ في هذه السنة نظير ما كان قبلها، وجلس المأمون باكرا على السماط بداره، وفرقت الرسوم على أرباب الخدم والمميزين من جميع أصنافه على ما تضمنته الأوراق، وحضرت التعاشير، والتشريفات، وزي الموكب إلى الدار المأمونية، وتسلم كل من المستخدمين المدارج بأسماء من شرف بالحجبة، ومصفات العساكر، وترتيب الأسمطة، وأصمد كل منهم إلى شغله، وتوجه لخدمته، ثم ركب الخليفة، واستدعى الوزير المأمون، ثم خرج من باب الذهب، وقد نشرت مظلته، وخدمت الرهجية، ورتب الموكب والجنائب، ومصفات العساكر عن يمينه وشماله، وجميع تجار البلدين من الجوهريين والصيارف، والصاغة، والبزازين، وغيرهم قد زينوا الطريق بما تقتضيه تجارة كل منهم، ومعاشه لطلب البركة بنظر الخليفة.

وخرج من باب الفتوح، والعساكر فارسها وراجلها بتجملها وزيها، وأبواب حارات العبيد معلقة بالستور، ودخل من باب النصر والصدقات تعم المساكين، والرسوم تفرق على المستقرين إلى أن دخل من باب الذهب، فلقيه المقرئون بالقرآن الكريم في طول الدهاليز إلى أن دخل خزانة الكسوة الخاص، وغير ثياب الموكب بغيرها، وتوجه إلى تربة آبائه للترحيم على عادته، وبعد ذلك إلى ما رآه من قصوره على سبيل الراحة، وعبيت الأسمطة،." (١)

"وأنت الذي أشرقت عيني بمائها ... وعلمتها بالهجر أن تهجر الغمضا

وأغرقتها بالدمع حتى جفونها ... لينكر من فقد الكرى بعضها بعضا فمر يوم من أحسن الأيام وأطيبها، ووصله وأحسن إليه، ولم يزل عنده مقربا مكرما، وكان خليعا ماجنا مشتهرا بالنبيذ، فخلاه وما أحب، ثم وصف له الأندلس وطيبها، وكثرة خمورها، فمضى إليها ومات بها، وعلى نحو هذه الحال كان يفعل بكل طارئ يطرأ من المشرق، ولو ذكرتهم لطال بهم الكتاب، انتهى.

---

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار؟ المقريزي ٣٥٦/٢

وغرضي من إيراد هذه الحكاية هنا كونه وصف للمشرقي الأندلس وطيبها، وذلك أمر لا يشك فيه ولا يرتاب، والله المسئول في حسن المتاب.

[قصر باديس بغرناطة]

ورأيت في بعض كتب تاريخ الأندلس في ترجمة السلطان باديس الصنهاجي صاحب غرناطة، ما نصه: وهو الذي أكمل ترتيب قصبة مالقة، وكان أفرس الناس وأنبلهم، ذا مروءة ونجدة، وقصره بغرناطة ليس ببلاد الإسلام والكفر مثله، فيما قيل، انتهى.

وهذا القصر هو الذي عناه لسان الدين بن الخطيب في قصيدته السينية المذكورة في الباب الخامس من القسم الثاني من هذا الكتاب، فلتراجع ثمة.

[سرقسطة وخواصها]

وذكر غير واحد من المحدثين والمؤرخين أن مدينة سرقسطة لا يدخلها الثعبان من قبل نفسه، وإذا أدخله أحد لم يتحرك، ونظير هذا المعنى في بعض الحيوانات بالنسبة إلى بعض البلاد كثير، وذلك برصد أو طلسم، وقد استطرد بعض علماء أصول الدين ذلك عندما تكلموا على السحر حسبما قرر في محله." (١)

"والآخر النصف الآخر لنفسه، ويسير معهم جماعة والناس مشتغلون بغير ذلك.

وعن يحيى بن سعيد: لما افتتحت الأندلس أصاب الناس فيها غنائم، فغلوا منها غلولا كثيرا حملوه في المراكب وركبوا البحر، فسمعوا مناديا يقول: اللهم غرق بهم، وتقلدوا المصاحف، فما نشبوا أن أصابتهم ريح عاصف، وضربت المراكب بعضها بعضا حتى تكسرت، وغرق بهم، وأهل مصر ينكرون ذلك، ويقولون: أهل الأندلس ليس هم الذين غرقوا، وإنما هم أهل سردانية، فالله أعلم بحقيقة الحال.

ورأيت في بعض كتب التاريخ (١) أنه وجد في طليطلة حين فتحت من الذخائر والأموال ما لا يحصى، فمن ذلك مائة وسبعون تاجا من الذهب الأحمر مرصعة بالدر وأصناف الحجارة الثمينة، ووجد فيها ألف سيف ملوكي، ووجد فيها من الدر والياقوت أكيال، ومن أواني الذهب والفضة ما لا يحيط به وصف، ومائدة سليمان، وكانت - فيما يذكر - من زمردة خضراء، وزعم بعض العجم أنها لم تكن لسليمان، وإنما أصلها أن العجم أيام ملكهم كان أهل الحسنة في دينهم إذا مات أحد منهم أوصى بمال للكنائس، فإذا اجتمع عندهم مال له قدر صاغوا منه الآلة من الموائد العجيبة، والكراسي من الذهب والفضة، تحمل الشمامسة والقسوس فوقها الأناجيل في أيام المناسك، ويضعونها في الأعياد للمباهاة، فكانت تلك المائدة

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس؟ المقري التلمساني ١٩٦/١

بطليطلة مما صنع في هذا السبيل، وتأنق الملوك في تحسينها، يزيد الآخر منهم فيها على الأول، حتى برزت على جميع ما اتخذ من تلك الآلات، وطار الذكر بها كل مطار، وكانت مصوغة من الذهب الخالص مرصعة بفاخر الدر والياقوت والزبرجد، وقيل: إنها من زبرجدة خضراء حافاتها وأرجلها منها، وكان لها ثلاثمائة وخمس وستون رجلا، وكانت توضع في كنيسة طليطلة، فأصابها طارق، انتهى.

---

(١) تقدم ما هو شبيه بذلك، انظر ص: ٢٧٢ من هذا الكتاب؛ وفي ك: ورأيت لبعض أهل التاريخ.." (١)

"أصبحت كالشمعة لما خبا ... منها الضياء اسود فيها الذبال وهو شاعر إشبيلية ووشاحها، وقرأ على أبي علي الشلوبين وابن الباج وغيرهما، وقال العز في حقه، وكان أظهر الإسلام، ما صورته: كان يتظاهر بالإسلام، ولا يخلو مع ذلك من قدح واتهام، انتهى. وسئل بعض المغاربة عن السبب في رقة نظم ابن سهل، فقال: لأنه اجتمع فيه ذلان، ذل العشق، وذل اليهودية. ولما غرق قال فيه بعض الأكابر: عاد الدر إلى وطنه. ومن نظم ابن سهل المذكور قوله:

وألمى بقلبي منه جمر مؤجج ... تراه على خديه يندى ويبرد

يسائلني من أي دين مداعبا ... وشمل اعتقادي في هواه مبدد

فؤادي حنيفي، ولكن مقلتي ... مجوسية من خده النار تعبد ومنه قوله:

هذا أبو بكر يقود بوجهه ... جيش الفتور مطرز الرايات

أهدى ربيع عذاره لقلوبنا ... حر المصيف فشبها لفحات

خد جرى ماء النعيم بجمره ... فاسود مجرى الماء في الجمرات وذكر الحافظ أبو عبد الله محمد بن عمر بن رشيد الفهري في رحلتهالكبيرة القدر والجرم المسماة ب " ملء العيبة فيما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطيبة " خلافا في إسلام ابن سهل باطنا، وكتب على هامش هذا الكلام الخطيب العلامة سيدي أبو عبد الله ابن مرزوق ما نصه: صحح لنا من أدركناه من أشياخنا أنه مات على دين الإسلام، انتهى.

ورأيت في بعض كتب الأدب بالمغرب أنه اجتمع جماعة مع ابن سهل في مجلس أنس، فسألوه لما أخذت

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس؟ المقري التلمساني ٢٨٩/١

منه الراح عن إسلامه: هل هو في الظاهر والباطن أم لا فأجابهم بقوله: للناس ما ظهر، ولله ما استتر، انتهى.." (١)

"موضعه فإذا قصد الجواب عن تلك النصوص حمل ذلك التفضيل والثناء على الأبنية وجودة التركيب إذا كان النص يحتمل ذلك فيندفع أكثر الأسئلة والنقوض عن المستدل على أفضلية الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ولا نزاع أن الملائكة أفضل في أبنيتهم وأن أبنية بني آدم خسيسة بالنسبة إلى أبنية الملائكة فتحمل آية التفضيل على ذلك .

وثانيها تفضيل الجان على بني آدم في الأبنية وجودة التركيب من جهة أنهم يعيشون الآلاف من السنين فلا يعرض لهم الموت وكذلك لا تعرض لهم الأمراض والأسقام التي تعرض لبني آدم بسبب أن أجسادهم ليست مشتملة على الرطوبات وأجرام الأغذية فلا يحصل العفن ولا آفات الرطوبات التي تعرض لبني آدم فلذلك كثر بقاؤهم وطال ، وأسرع لبني آدم الموت ومما ورد في ذلك قول الشاعر في الجان لما ورد عليه بالليل وهو يقيد النار : أتوا ناري فقلت منون أنتم فقالوا الجن قلت عموا ظلاما فقلت إلى الطعام فقال منهم زعيم يحسد الإنس الطعاما لقد فضلتم بالأكل عنا ولكن ذاك يعقبكم سقاما فصرحوا في شعرهم بما تقدم .

وقال جماعة من العلماء الغزالي رحمه الله في الإحياء وغيره : إنهم يتغذون من الأعيان بروائحها ولذلك جاء في الحديث ﴿ أنهم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم مر أمتك لا يستجمروا بروث ولا عظم فإنها طعامنا وطعام دوابنا ﴾ مع أنا نجد العظم يمر عليه الدهر الطويل لا يتغير منه شيء فدل ذلك على أنهم يتغذون بالرائحة **ورأيت في بعض الكتب**.عَنْ وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ أَنَّهُمْ طَوَائِفُ مِنْهُمْ مَنْ يَتَغَذَّى بِالرَّائِحَةِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَغَذَّى بِجِرْمِ الْغِذَاءِ وَمِنْهُمْ طَائِرٌ لَا يَأْوِي فِي الْأَرْضِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَأْوِي فِي الْأَرْضِ يَرْحَلُونَ وَيَنْزِلُونَ فِي الْبَرَارِيِّ كَالْأَعْرَابِ، وَإِنَّ أَحْوَالَهُمْ مُخْتَلِفَةٌ فِي ذَلِكَ وَعَلَى الْجُمْلَةِ فَتَرَاكِيبُهُمْ أَعْظَمُ وَسَيْرُهُمْ فِي الْأَرْضِ أَيْسَرُ فَيَسِيرُونَ الْمَسَافَةَ الطَّوِيلَةَ فِي الزَّمَنِ الْقَصِيرِ وَلِذَلِكَ تُؤْخَذُ عَنْهُمْ أَخْبَارُ الْوَقَائِعِ وَالْحَوَادِثِ فِي الْبِلَادِ الْبَعِيدَةِ عَنَّا بِسَبَبِ سُرْعَةِ حَرَكَتِهِمْ وَتَنَقُّلِهِمْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ وَاتَّخَذَهُمْ سُلَيْمَانُ □ لِأَعْمَالٍ تَعْجِزُ عَنْهَا الْبَشَرُ (٢)

""""""""" صفحة رقم ٢٢٣ """"""""

لقد زعمت أني تغيرت بعدها . . . ومن ذا الذي يا عزلا يتغير

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس؟ المقري التلمساني ٥٢٣/٣

(٢) أنوار البروق في أنواع الفروق، ٣٠٤/٤

تغير جسمي والخليقة كالتي . . . عهدت وما يخبر بسرك مخبر

فقالت : أروي ذلك ، واكن أروي قوله :

كأني انادي صخرة حين أدبرت . . . من الصم لو تمشي بها العصم زلت

صفوح فما تلقاك إلا بنجلة . . . فمن مل منها ذلك النجل ملت

قال : فأمرها بالدخول على زوجته عاتكة ، فلما دخلت قالت لها عاتكة : خبريني عن قول كثير فيك :

قضى كل ذي دين فوفى عزيمه . . . وعزة ممطول معنى غريمها

من هذا الدين ؟ فقلت : وعدته قبلة ، فقالت عاتكة : أنجزي وعدك وعلي إثمه .

قال بعض الفضلاء : ذهب لذات الدنيا بأجمعها ، ولم يبق منها إلا حك الجرب والوقيعة في الثقلاء .

سئل بعض الأعراب ممن راى مسيلمة : كيف وجدته : فقال ما هو نبي صادق ولا متنبئ حاذق .

قال بعض الأمراء لجنده : يا كلاب ، فقال له احدهم : لا تقل ذلك فإنك أميرنا

لبعضهم :

فتى لرغيفه قرط وشلف . . . وإكليلان من خرز وشذر

إذا كسر الرغيف بكى عليه . . . بكا الخنسا إذا فجعت بصخر

قال أبو العينا : أخجلني ابن صغير لعبد الرحمن بن خاقان قلت له : وددت أن لي ابنا مثلك ، فقال : هذا بيدك ، قلت : كيف ذلك ؟ قال : إحمل أبي على امرأتك تلد لك ابنا مثلي .

قال رجل لابن عمر : إن المختار كان يزعم أنه يوحي إليه فقال : صدق إن الله تعالى يقول : ' وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ' .

قيل لحكيم ظريف : هل يولد لابن خمس وتسعين ولد ؟ فقال نعم : إن كان في جيرانه ابن خمس وعشرين سنة .

رأيت في بعض الكتب : أن الوجه في تسمية الشيخ العارف كمال الدين بالكبرى أن مشايخ زمانه كانوا يقولن في شأنه : قد قامت عليه قيامه العشاق فأتت عليه الطامة الكبرى ، فاشتهر بذلك وغلب عليه حتى عرف به .." (١)

""""""""" صفحة رقم ٢٣٩ """""""

اتخذت الخيل يا أمير المؤمنين ، فقال : أنا لا أفر عمن كر ، ولا أكر على من فر ، والبغلة تكفيني .

---

(١) الكشكول ـ موافق للمطبوع، ٢/٢٢٣

رأيت في بعض الكتب : أن الشطرنج إنما وضعها الحكماء لملوك الروم والفرس لأنهم لا يكون لهم علم وكانوا لا يطيلون الجلوس مع العلماء لجهلهم ، واذا اجتمعوا مع أمثالهم تلاحظوا كما يتلاحظ البقر ، فوضعوا لهم في ذلك ليشتغلوا بها ، وأما ملوك اليونان وقدماء الفرس والروم ، فكان لكل منهما كعب عال في العلم ، وكانوا لا يتفرغون عنه لأمثال الامور الواهية .

قال الحجاج لشيخ من الأعراب : كيف حالك في الأكل ؟ فقال : إن أكلت ثقلت ، وإن تركت ضعفت ، قال : فكيف نكاحك ؟ قال : إذا بذلت لي عجزت ، وإذا منعت شرهت ، قال : فكيف نومك ؟ قال : أنام في المجمع ، وأسهر في المضجع ، قال : فكيف قيامك وقعودك ؟ قال : اذا قعدت تباعدت عني الأرض ، وإذا قمت لزمتني ، فقال : فكيف مشيك ؟ ق ا ل : تعقلني الشعرة ، وتعثرني البعرة .

كان يحيى بن أكثم يناظر رجلا في إبطال القياس ؛ وكان الرجل يقول في أثناء مناظرته : يا أبا زكريا ، فقال : لست أبا زكريا ؛ فقال الرجل : يحيى يكون كنية أبا زكريا ؛ فقال : يحيى بن أكثم : ففيم بحثنا إلى الآن ؟ يعني أنك قلت بالقياس وعملت به .

دق رجل الباب على الجاحظ ، فقال الجاحظ من أنت ؟ فقال الرجل : أنا ، فقال الجاحظ : أنت والدق سواء .

هارون بن أبي الفرج المنجم وقيل : هارون ابن علي المنجم :

سقى الله أياما لنا ولياليا . . . مضين فلا يرجى لهن رجوع

إذ العيش صاف والأحبة جيرة . . . جميعا وإذ كل الزمان ربيع

واذ أنا إما للعواذل في الصبا . . . فعاصي وإما للهوى فمطيع

قال الصاحب ابن عباد : هذا الشعر إن أردت كان اعرابيا في شملته ، وإن أردت كان عراقيا في حلته . انتهى .." (١)

"قال ابن خلدون: ولما شاع فن التوشيح في أهل الأندلس وأخذ به الجمهور لسلاسته وتنميق كرمه وترصيع أجزائه، نسجت العامة أهل الأمصار على منواله ونظموا في طريقته بلغتهم الحضرية، من غير أن يلتزموا فيها إعرابا، واستحدثوا فنا سموه بالزجل، والتزموا النظم فيه على مناحيهم فجاؤوا فيه بالغرائب، وأتسع فيه للبلاغة مجال بحسب لغتهم المستعجبة، وأول من أبدع في هذه الطريقة الزجلية، أبو بكر بن قزمان، وإن كانت قيلت قبله بأندلس، ولكن لم تظهر حلاها ولا أنسكبت معانيها واشتهرت رشاقتها إلا في زمانه،

---

(١) الكشكول ـ موافق للمطبوع، ٢/٢٣٩

وكان لعهد الملثمين (أول القرن الثامن) وهو إمام الزجالين على الإطلاق اه؟.

ورأيت في بعض الكتب أن ابن قزمان هذا أول من تكلم بالزجل، وسبب ذلك أنه وهو في المكتب عشق بعض الصبيان، فرفع أمره لمؤدب فزجره ومنعه من مجالسة الصبي، فكتب في لوحه: الملاح ولاد أماره [ولا وحاش] ولاد نصاره

وابن قزمان جا يغفر م، قبلوا الشيخ غفاره

فاطلع عليه المؤدب [فقال]: قد هجوتنا بكرم مزجول، فيقال إنه سمي زجلا من هذه الكلمة.

تاريخ آداب العرب مصطفى صادق الرافعي الصفحة : ٣٢٢." (١)

"""""""" صفحة رقم ٧١ """""""

باب في ذكر الموت والأمل وفضل الصبر والرضا والأدب

قال الله تعالى إنك ميت وإنهم ميتون بدأ به (صلى الله عليه وسلم) تسلية للنفوس وقال (صلى الله عليه وسلم) الموت تحفة المؤمنين وتقدم عن بعض العارفين الدنيا بلا موت لا تساوي دانقا وقالت عائشة يا رسول الله هل يحشر مع الشهداء أحد قال نعم من يذكر الموت في اليوم والليلة عشرين مرة في حديث آخر يا علي من قال كل يوم إحدى وعشرين مرة اللهم بارك في الموت وفيما بعد الموت لم يحاسبه الله بما أنعم عليه من الدنيا وفي حديث آخر مثل المؤمن في الدنيا كمثل الجنين في بطن أمه فإذا خرج بكى فإذا رأى الضوء لم يحب أن يرجع إلى مكانه فكذلك المؤمن يجزع من الموت فإذا أفضى إلى ربه لم يحب أن يرجع إلى الدنيا وقالت عائشة رضي الله عنها قال النبي (صلى الله عليه وسلم) إذا عاين المؤمن الملائكة قالوا نرجعك إلى الدنيا فيقول دار الهموم والأحزان بل قدوما إلى الله عز وجل . . . فائدة يكره تمنى الموت لمن أمن على دينه قال الرازي في قوله عز وجل يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي قدم الفعل إخراج الحي لأنه أشرف من الميت فوجب الاعتناء بإخراج الحي من الميت أكثر من إخراج الميت من الحي فلها قدم الأول قيل الحي المؤمن يخرج من الكافر وبالعكس وقيل النبات من الحب وبالعكس وقيل البيضة من الدجاجة وبالعكس ورأيت في الشفاء أن رجلا أتى النبي (صلى الله عليه وسلم) فذكر أنه طرح بنتا له في وادي كذا فانطلق معه فناداها يا فلانة فقالت لبيك يا رسول الله قال أن أبويك قد أسلما فإن أحببتي أدلك عليهما فقالت لا حاجة لي بهما وجدت الله خيرا منهما قال كعب الأخبار

---

(١) تاريخ الأدب العربي للرافعي، /

رضي الله عنه من عرف الموت هانت عليه مصائب الدنيا وهمومها وفي الحديث أن الله تعالى إذا رضي عن عبده قال لملك الموت اذهب إلى فلان فأتى بروحه لأريحه من عمره قد بلوته فوجدته حيث أحب فينزل ملك الموت ومعه خمسمائة من الملائكة ومعهم قضبان الريحان وأصول الزعفران كل واحد منهم يبشره ببشارة جديدة سوى بشارة صاحبه وتقوم الملائكة صفين لقدوم روحه ومعهم الريحان فإذا نظر إليهم إبليس وضع يده على رأسه وصاح فيقول له جنوده مالك يا سيدنا فيقول ألا ترون إلي ما أعطى هذا العبد من الكرامة أين كنتم عنه قالوا قد جهدنا به فكان معصوما قال العلائي في تفسيره **رأيت في بعض الكتب** أن ملك الموت مكتوب على جبهته لا إله إلا الله فإذا رآها المؤمن تذكر الشهادة . . . موعظة قال القرطبي في تذكرته عن بعضهم من أكثر ذكر الموت أكرم بثلاثة أشياء تعجيل التوبة وقناعة النفس والنشاطة في العبادة ومن نسي ذكره عوقب بثلاثة أشياء تسويف التوبة وترك الرضا بالكفاف والتكامل في العبادة وقال (صلى الله عليه وسلم) لو تعلم البهائم من الموت ما تعلمون ما أكلتم منها سمينا . . . حكاية : مر عيسى عليه السلام على راع يرعى إبلا فوجد بعيرا سمينا يفرح بنفسه وبعض واحدا بعد واحد فأخذ عيسى بإذنه وقال له إنك ميت ثم مر بعد أيام على ذلك الرجل وهو يرعى إبله فوجد البعير." (١)

" وله أشعار كثيرة في مدائح بني أمية وهجاء آل الزبير وأكثرها في هجاء عمرو بن الزبير ليس ذكرها مما قصدنا له

أبو العباس يهجو ابن الزبير والمجاشعي

ونسخت من كتاب قعنب بن المحرز قال حدثنا المدائني عن جويرية بن أسماء

أن ابن الزبير رأى رجلا من حلفاء بني أسد بن عبد العزى في حالة رثة فكساه ثوبين وأمر له ببر وتمر فقال أبو العباس الأعمى في ذلك

صوت

(كست أسد إخوانها ولو انني ... ببلدة إخواني إذا لكسيت)

(فلم تر عيني مثل حي تحملوا ... إلى الشأم مظلومين منذ بريت)

غنى في هذين البيتين دحمان - ثقيل - أول بالبنصر من رواية ابن المكي **ورأيت في بعض الكتب** لزرزور غلام المارقي فيهما صنعة أيضا

وقال محمد بن معاوية حدثني المدائني قال

---

(١) نزهة المجالس ومنتخب النفائس، ١/٧١

قدم البعيث المجاشعي مكة وكان أبو العباس الأعمى الشاعر لا يكاد ." (١)

""""""""" صفحة رقم ١٥٦ """""""

التي أمر الله عز وجل عباده فيها بذكره كأيام التشريق . ولم يزل أهل المدينة ومكة مواظبين على السماع إلى زماننا هذا فأدركنا أبا مروان القاضي وله جوار يسمعن الناس التلحين قد أعدهن للصوفية . قال : وكان لعطاء جاريتان تلحنان وكان إخوانه يستمعون إليهما . قال : وقيل لأبي الحسن بن سالم : كيف تنكر السماع وقد كان الجنيد وسري السقطي وذو النون يسمعون فقال : كيف أنكر السماع وأجازه وسمعه من هو خير مني . وقد كان عبد الله بن جعفر الطيار يسمع . وإنما أنكر اللهو واللعب في السماع .

وروي عن يحيى بن معاذ أنه قال : فقدنا ثلاثة أشياء فلا نراها ولا أراها تزداد إلا قلة : حسن الوجه مع الصيانة ، وحسن القول مع الديانة ، وحسن الإخاء مع الوفاء .

قال الغزالي : ورأيت في بعض الكتب هذا بعينه محكيا عن المحاسبي وفيه ما يدل على تجويزه السماع مع زهده وتصاونه وجده في الدين وتشميره .

وحكي عن ممشاد الدينوري أنه قال : رأيت النبي (صلى الله عليه وسلم) في النوم فقلت : يا رسول الله ، هل تنكر من هذا السماع شيئا ؟ فقال : " ما أنكر منه شيئا ولكن قل لهم يفتتحون قبله بالقرآن ويختتمون بعده بالقرآن " . قال الغزالي : وعن ابن جريح أنه كان يرخص في السماع فقيل له : تقدمه يوم القيامة في جملة حسناتك أو سيئاتك ؟ فقال : لا في الحسنات ولا في السيئات لأنه شبيه باللغو ، قال الله تعالى : " لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم " ، ثم بين الغزالي رحمه الله الدليل على إباحة." (٢)

"[عود إلى عمران قرطبة]

وقد أبعدنا عما كنا بصدده من ذكر قرطبة أعادها الله للإسلام، فنقول: قال بعض من أرخ الأندلس: انتهت مساجد قرطبة أيام عبد الرحمن الداخل إلى أربعمائة وتسعين مسجدا، ثم زادت بعد ذلك كثيرا كما يأتي ذكره.

وقال بعضهم (١) : كانت قرطبة قاعدة الأندلس، وأم المدائن، وقرارة الملك، وكان عدد شرفاتها أربعة آلاف وثلاثمائة، وكانت عدة الدور في القصر الكبير أربعمائة دار ونيفا وثلاثين، وكانت عدة دور الرعايا والسواد بها الواجب على أهلها المبيت في السور مائة ألف دار وثلاثة عشر ألف دار، حاشا دور الوزراء وأكابر

---

(١) الأغاني، ١٦/٣٢٦

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب ـ موافق للمطبوع، ٤/١٥٦

الناس والبياض.

ورأيت في بعض الكتب أن هذا العدد كان أيام لمتونة والموحدين، قال: وكانت ديار أهل الدولة إذ ذاك ستة آلاف دار وثلاثمائة دار، انتهى.

وعدد أرباضها ثمانية وعشرون، وقيل: واحد وعشرون، ومبلغ المساجد بها ثلاثة آلاف وثمانمائة وسبعة وثلاثون مسجدا، وعدد الحمامات المبرزة للناس سبعمائة حمام: وقيل ثلاثمائة حمام.

وقال ابن حيان: إن عدة امساجد عند تناهيها في مدة ابن أبي عامر ألف وستمائة مسجد، والحمامات تسعمائة حمام (٢) .

وفي بعض التواريخ القديمة: كان بقرطبة في الزمن السالف ثلاثة آلاف مسجد وثمانمائة وسبعة وسبعون مسجدا – منها بشقندة ثمانية عشر مسجدا – وتسعمائة حمام وأحد عشر حماما، ومائة ألف دار وثلاثة عشر ألف دار للرعية خصوصا، وربما نصف العدد أو أكثر لأرباب الدولة وخاصتها، هكذا نقله

(١) انظر أزهار الرياض ٢: ٢٧٢.

(٢) دوزي: ستمائة حمام.." (١)

"قال القاضي الشمس ابن خلكان: إنه رحل من الأندلس في عنفوان شبابه وقدم مصر فسمع بالإسكندرية أبا عبد الله محمد بن أحمد بن إبراهيم الرازي، وبمصر أبا صادق مرشد بن يحيى بن القاسم المدني المصري وأبا طاهر أحمد بن محمد الأصبهاني المعروف بالسلفي وغيرهم، ودخل بغداد سنة ٥١٧ (١) ، وقرأ بها القرآن الكريم على الشيخ أبي محمد عبد الله بن علي المقرئ المعروف بابن بنت الشيخ أبي منصور الخياط، وسمع عليه كتبا كثيرة منها كتاب سيبويه، وقرأ الحديث على أبي بكر محمد بن عبد الباقي البزار المعروف بقاضي المارستان وأبي القاسم ابن الحصين وأبي العز وغيرهم، وكان دينا ورعا عليه وقار وسكينة، وكان ثقة صدوقا ثبتا نبيلا قليل الكلام كثير الخير مفيدا، أقام بدمشق مدة، واستوطن الموصل، ورحل منها إلى أصبهان، ثم عاد إلى الموصل، وأخذ عنه شيوخ ذلك العصر. وذكره الحافظ ابن السمعاني في كتاب الذيل، وقال: إنه اجتمع به بدمشق، وسمع عنه مشيخة أبي عبد الله الرازي، وانتخب عليه أجزاء، وسأله عن مولده، فقال: ولدت سنة ٤٨٦ في مدينة قرطبة، **ورأيت في بعض الكتب** أن مولده سنة ٤٨٧، والأول أصح، وكان شيخنا القاضي بهاء الدين أبو المحاسن (٢) يوسف بن رافع بن تميم المعروف باب

(١) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ١/٥٤٠

شداد قاضي حلب رحمه الله تعالى يفتخر بروايته وقراءته عليه، وقال: كنا نقرأ عليه بالموصل، ونأخذ عنه، وكنا نرى رجلا يأتي إليه كل يوم فيسلم عليه وهو قائم، ثم يمد يده إلى الشيخ بشيء ملفوف، فيأخذه الشيخ من يده، ولا نعلم ما هو، ويتركه ذلك الرجل ويذهب، ثم تقفينا ذلك فعلمنا أنها دجاجة مسموطة كانت ترسم للشيخ في كل يوم، يبتاعها له ذلك الرجل ويسمطها ويحضرها، وإذا دخل الشيخ إلى منزله تولى طبخها بيده.

---

(١) ابن خلكان: سبع وعشرين وخمسمائة.

(٢) أبو المحاسن: لم ترد في ق ط ج.." (١)

" سيلا يعني باللام ألف **ورأيت في بعض الكتب** سيلان بزيادة نون بعد اللام ألف قال وهي مدينة في أقصى الصين الشرقي خارجة عن الإقليم الأول إلى الجنوب قال في القانون حيث الطول مائة وسبعون درجة والعرض خمس درج وهي في أعالي الصين من الشرق كجزائر الخالدات في بحر الغرب لكن هذه معمورة في خصب بخلاف تلك

ومنها جمكوت قال في تقويم البلدان بالجيم والميم والكاف ثم واو وتاء فوقية في الآخر قال كذا وجدناها مكتوبة واسمها عند الفرس جماكرد قال وهي مدينة في أقصى العمارة الشرقية خارجة عن الإقليم الأول من الأقاليم السبعة إلى الجنوب قال في الأطوال وهي على خط الاستواء لا عرض لها قال في تقويم البلدان وهي على النهاية الشرقية مثل ما يحكى عن الجزائر الخالدات في النهاية الغربية قال وليس شرقي جمكوت عمارة أصلا

ومنها مدن أخرى مذكورة في الكتب مجهولة الضبط : إحداها مدينة ينجو وموقعها في الإقليم الثاني من الأقاليم السبعة قال في الأطوال حيث الطول مائة وخمس وعشرون والعرض اثنتان وعشرون وقد ذكر في القانون أنها مستقر ملكهم الأكبر الملقب بطمغاج

ومنها مدينة خانقو بخاء معجمة وألف ونون وقاف ثم واو وهي مدينة على النهر واقعة في الإقليم الأول من الأقاليم السبعة قال في القانون حيث الطول مائة وستون درجة والعرض أربع عشرة درجة قال في تقويم البلدان وهي من أبواب الصين قال ابن سعيد وموقعها على شرقي نهر خمدان قال ابن خرداذبة وهي المرفأ الأكبر وفيها الفواكه الكثيرة والبقول والحنطة والشعير والأرز والعنب والسكر

---

(١) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ١١٧/٢

ومنها مدينة خانجو بإبدال القاف من المدينة السابقة جيما وهي مدينة على النهر واقعة في الإقليم الأول من الأقاليم السبعة قال في الأطوال حيث الطول مائة واثنتان وستون درجة والعرض أربع عشرة درجة قال في القانون وهي من أبواب الصين ." (١)

" فيرى بأطراف أعمال نابلس ويرى على قصد الطريق بذروة الجبل المصاقب لمجدل يابا فيرفع منه فيرى بمركز ياسور المعدول بالبريد الآن عنه ثم يرفع منه فيرى بالجبال المطلة على غزة فيرفع بغزة على أعالي الحدب المعروف بحدب غزة ثم لامنورو لا إخبار بشأن التتار إلا على الجناح والبريد

قال ثم اعلم أن جميع ما ذكرناه مناور تتشعب إلى ما خرج عن جادة الطريق إلى البلاد الآخذة على جنب جنوبا وشمالا شرقا وغربا

أما منذ أصلح الله بين الفئتين وأمن جانب الجهتين فقد قل بذلك الاحتفال وصرف عن البال

وهذه المناور رسوم قد عفت وجسوم أكلت شعل النار أرواحها فانطفت

على أنه قد نص في التعريف على مناور طريق البيرة ومناور طريق الرحبة وهما من نفس المملكة

قلت وهذه المناور مأخوذة عن ملوك الهند فقد **رأيت في بعض الكتب** أن ببلادهم مناور على جبال مرتفعة ترى النار فيها على بعد أكثر من هذه

على أن مرتبها بهذه المملكة أولا أتى بحكمة ملوكية لا تساوى مقدارا إذ قد ترقى في سرعة بلوغ الأخبار إلى الغاية القصوى

وذلك أن البريد يأتي من سرعة الخبر بما لم يأت به غيره والحمام يأتي من الخبر بما هو أسرع من البريد والمناور تأتي من الخبر بما هو أسرع من الحمام

وناهيك أن يظهر عنوان الخبر في الفرات بمصر في مسافة يوم وليلة ." (٢)

"/أراقبه حتى إذا قلت قد قضى تثوب إليه نفسه فيعود

(٢٣) أخبرني أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد رحمه الله عن بعض شيوخه، أن أبا عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه وقف في صباه يوما تحت روشن بعض الرؤساء وقد سمع جارية محسنة تغني، فرش بماء ولم يعرف من أين هو، فمال إلى مسجد قريب من ذلك المكان واستدعى بعض ألواح الصبيان وكتب:

يا من يضن بصوت الطائر الغرد ما كنت أحسب هذا البخل في أحد

---

(١) صبح الأعشى، ٤/٤٨٠

(٢) صبح الأعشى، ١٤/٤٤٧

لو أن أسماع أهل الأرض قاطبة أصغوا إلى الصوت لم ينقص ولم يزد

فلا تضن على سمعي تقلده صوتا يجول مجال الروح في جسدي

لو كان زرياب حيا ثم أسمعه لذاب من حسد أو مات من كمدي

أما النبيذ فإني لست أشربه ولست آتيك إلا كسرتي بيدي

(٢٤) وأخبرنا أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد أنه قصد يوما صديقا له في يوم شديد المطر، فاستعظم ذلك منه في تلك الحال، فقال أبو محمد:

ولو كانت الدنيا دوينك لجة وفي الأرض صعق دائم وحريق

لسهل ودي فيك نحوك مسلكي ولم يتعذر لي إليك طريق

(٢٥) وأنشدني أبو محمد علي بن أحمد: أنشدني أبو عمر أحمد بن حبرون في مجلس الوزير أبي رحمه الله وقال لي: كتب أبو عبد الله محمد بن مسرة إلى أبي بكر اللؤلؤي يستدعيه في يوم طين ومطر:

أقبل فإن اليوم يوم دجن إلى مكان كالضمير المكنى

لعلنا نحكم أدنى فن فأنت عند الطين أمشي منى

(٢٦) وأنشدنا أبو محمد علي بن أحمد للمهند طاهر بن محمد البغدادي إلى المنصور بن أبي عامر محمد بن أبي عامر صاحب الأندلس – قال لي أبو محمد: **ورأيت في بعض الكتب** أنه سأل الوزير أبي رحمه الله إيصالهما إليه – يسأله / الإذن عليه:

أتيت أكحل طرفي من نور وجهك لحظة

ولا أزيدك بعد التسليم والشكر لفظة

(٢٧) وأنشدني أبو محمد علي بن أحمد لعبد الملك بن جهور:

إن كانت الأبدان نائية فنفوس أهل الظرف تأتلف

يا رب مفترقين قد جمعت قلبيهما الأقلام والصحف

(٢٨) وأنشدنا أبو محمد علي بن أحمد لنفسه:

لا تشتمن حاسدي إن نكبة عرضت فالدهر ليس على حال بمترك." (١)

"إبراهيم بن أبي عبلة قال قدمت المدينة وبها ابن المسيب وغيره وقد بزهم عمر يومئذ رأيا وقال محمد بن سعد أخبرنا محمد بن عمر حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه قال لما قدم عمر بن عبد العزيز

---

(١) مجموع أجزاء حديثية (٥٠ جزءا)، ص/١٧٠

المدينة واليا عليها كف حاجة الناس ثم دخلوا فسلموا عليه فلما صلى الظهر دعا عشرة نفر من فقهاء البلد عروة بن الزبير وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة وأبا بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام وأبا بكر بن سليمان بن خيثمة وسليمان بن يسار والقاسم بن محمد وسالم بن عبد الله وعبد الله بن عامر بن ربيعة وخارجة بن زيد بن ثابت فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال إني أدعوكم لأمر تؤجرون عليه وتكونون فيه أعوانا على الحق ماأريد أن أقطع أمرا إلا برأيكم أو برأي من حضر منكم فإن رأيتم أحدا يتعدى أو بلغكم عن عامل ظلامه فأحرج بالله على أحد بلغه ذلك إلا بلغني فجزوه خيرا وافترقوا وقال ابن وهب عن الليث حدثني قادم البربري أنه ذاكر ربيعة بن أبي عبد الرحمن شيئا من قضاء الله عمر بن عبد العزيز إذ كان بالمدينة فقال له ربيعة كأنك تقول إنه أخطأ والذي نفسي بيده ماأخطأ قط قلت وقد رأيت في بعض الكتب العتيقة حكاية مرسلة عن الإمام أحمد بن حنبل أنه قال لست أحتج بقول أحد من التابعين إلا بقول عمر بن عبد العزيز رحمه الله هذا الكلام صحيح من وجهين عند كثير من علماء الأصول أحدهما أن إجماع أهل المدينة حجة كما هو مذهب مالك ونص ربيعة الرأي هذا لأنه قد اتفق مع فقهاء عصره على أن لا يحكم إلا بقولهم وهو وهم أهل الحل والعقد وعليهم تدور الفتاوى في زمانهم رحمهم الله الثاني أن قول الإمام إذا اشتهر ولم ينكر يكون حجة بخلاف غيره من العلماء وهو اختيار بعض علماء الأصول ولم تكن هذه الخاصة إلا لعمر بن عبد العزيز من بين التابعين رحمهم الله وقال علي بن حرب عن سفيان بن عيينة قال مجاهد أتيناه نعلمه فما برحنا حتى تعلمنا منه قال وقال ميمون بن مهران ماكانت العلماء عند عمر بن عبد العزيز إلا تلامذة

@." (١)

"ورأيت في بعض الكتب:

إذا كان الزمان زمان حمق ... فإن العقل حرمان وشوم

فكن حمقا مع الحمق فإني ... أرى الدنيا بدولتهم تدوم

فصل

من تحامق لينجو من بلاء وآفة

---

(١) مسند الفاروق لابن كثير، ٦٩٧/٢

حدثنا أبو أحمد بن قريش بن سليمان سنة ثمان وثلاثين بمرو الروذ قال حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن عباس الديري قال حدثنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن أبي طاوس عن أبيه قال: لما وقعت الفتنة زمن عثمان رضي الله عنه قال رجل لأهله أوثقوني فإني مجنون كيلا أوذيكم، فأوثقوه، فلما قتل عثمان رضي الله عنه قال خلوا عني فقد صحوت والحمد الله الذي عافاني من قتل عثمان.

سمعت الحسن بن عمران الحنظلي، بهراة، يقول حدثنا أبو عبد الله محمد بن حفص الفارسي حدثنا منصور بن سعيد الرازي. حدثنا قاسم ابن محمد بن عريب من ولد أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه قال: ادخل عبادة المخنث على الواثق والناس يضربون ويقتلون في الامتحان قال فقلت والله لئن امتحنني قتلني فبدأته فقلت اعظم الله أجرك أيها الخليفة فقال فيمن؟ فقلت: في القرآن قال ويحك والقرآن يموت؟ قلت نعم كل مخلوق يموت فإذا مات القرآن في شعبان فبايش يصلي الناس في رمضان؟ فقال: اخرجوه فإنه مجنون..

أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمود بن عبد الله قراءة عليه قال: حدثنا عبد الله بن محمود البغدادي قال حدثنا محمد بن يحيى البصري قال: دعا المنصور أبا حنيفة والثوري ومسعرا وشريكا ليوليهم القضاء، فقال أبو حنيفة: أنا أتحامق فيكم فأقال وأتخلص، وأما مسعر فيتجان ويتخلص، وأما سفيان فيهرب، وأما شريك فيقع، فلما دخلوا عليه قال أبو حنيفة رحمه الله أنا رجل مولى ولست من العرب ولا تكاد العرب ترضى بأن يكون." (١)

"أرى سكرات السراج كأنه عليل على ظهر الفراش يجود أراقبه حتى إذا قلت قد قضى تثوب إليه نفسه فيعود

أخبرني أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد، رحمه الله، عن بعض شيوخه، أن أبا عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه، وقف في صباه يوما تحت روش بعض الرؤساء، وقد سمع جارية محسنة تغني فرشى بماء، ولم يعرف من أين هو، فمال إلى مسجد قريب من ذلك المكان، واستدعى بعض ألواح الصبيان، وكتب: يا من يضن بصوت الطائر الغرد ما كنت أحسب هذا البخل في أحد لو أن أسماع أهل الأرض قاطبة أصغوا إلى الصوت لم ينقص ولم يزد فلا تضن على سمعي تقلده وصوتا يجول مجال الروح في جسدي لو كان زرياب حيا ثم أسمعه لذاب من حسد أو مات من كمد أما النبيذ فإني لست أشربه ولست آتيك إلا كسرتي بيدي وأخبرنا أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد، أنه قصد يوما صديقا له في يوم شديد المطر، فاستعظم ذلك

(١) عقلاء المجانين لابن حبيب النيسابوري النيسابوري، ابن حبيب ص/٣٧

منه في تلك الحال، فقال أبو محمد:

ولو كانت الدنيا دوينك لجة ... وفي الأرض صعق دائم وحريق

لسهل ودي فيك يحول مسلكي ... ولم يتعذر لي إليك طريق

وأنشدني أبو محمد علي بن أحمد، أنشدني أبو عمر أحمد بن حبرون في مجلس الوزير أبي، رحمه الله، وقال لي: كتب أبو عبد الله في محمد بن مسرة إلى أبي بكر اللؤلؤي يستدعيه في يوم طين ومطر:

أقبل فإن اليوم يوم دجن ... إلي كان كالضمير المكنى

لعلنا نحكم أدنى فن ... فأنت عند الطين أمشى مني

وأنشدنا أبو محمد علي بن أحمد، أن المهند طاهر بن محمد البغدادي، أتى المنصور بن أبي عامر محمد بن أبي عامر، صاحب الأندلس، قال لي أبو محمد **ورأيت في بعض الكتب** أنه سأل الوزير أبي، رحمه الله أيضا لهما إليه يسأله الإذن عليه: أتيت أكحل طرفي من نور وجهك لحظه ولا أزيدك بعد التسليم والشكر لفظه

وأنشدني أبو محمد علي بن أحمد لعبد الملك بن جهور:." (١)

"أرى سكرات السراج كأنه عليل على ظهر الفراش يجود

/أراقبه حتى إذا قلت قد قضى ... تثوب إليه نفسه فيعود

٢٣ - أخبرني أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد رحمه الله عن بعض شيوخه، أن أبا عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه وقف في صباه يوما تحت روشن بعض الرؤساء وقد سمع جارية محسنة تغني، فرش بماء ولم يعرف من أين هو، فمال إلى مسجد قريب من ذلك المكان واستدعى بعض ألواح الصبيان وكتب:

يا من يضن بصوت الطائر الغرد ما كنت أحسب هذا البخل في أحد

لو أن أسماع أهل الأرض قاطبة ... أصغوا إلى الصوت لم ينقص ولم يزد

فلا تضن على سمعي تقلده ... صوتا يجول مجال الروح في جسدي

لو كان زرياب حيا ثم أسمعه لذاب من حسد أو مات من كمدي

أما النبيذ فإني لست أشربه ولست آتيك إلا كسرتي بيدي

٢٤ - وأخبرنا أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد أنه قصد يوما صديقا له في يوم شديد المطر، فاستعظم ذلك منه في تلك الحال، فقال أبو محمد:

---

(١) أخبار وأشعار لأبي عبد الله الحميدي الحَمِيدي، ابن أبي نصر ص/٣٨٤

ولو كانت الدنيا دوينك لجة ... وفي الأرض صعق دائم وحريق

لسهل ودي فيك نحوك مسلكي ... ولم يتعذر لي إليك طريق

٢٥ - وأنشدني أبو محمد علي بن أحمد: أنشدني أبو عمر أحمد بن حبرون في مجلس الوزير أبي رحمه الله وقال لي: كتب أبو عبد الله محمد بن مسرة إلى أبي بكر اللؤلؤي يستدعيه في يوم طين ومطر:

أقبل فإن اليوم يوم دجن ... إلى مكان كالضمير المكنى

لعلنا نحكم أدنى فن ... فأنت عند الطين أمشي منى

٢٦ - وأنشدنا أبو محمد علي بن أحمد للمهند طاهر بن محمد البغدادي إلى المنصور بن أبي عامر محمد بن أبي عامر صاحب الأندلس - قال لي أبو محمد: **ورأيت في بعض الكتب** أنه سأل الوزير أبي رحمه الله إيصالهما إليه - يسأله / الإذن عليه:

أتيت أكحل طرفي من نور وجهك لحظة

ولا أزيدك بعد التسليم والشكر لفظة

٢٧ - وأنشدني أبو محمد علي بن أحمد لعبد الملك بن جهور:." (١)

"ويسير جبريل - عليه السلام - من العرش إلى الفرش سبعة آلاف سنة في لحظة واحدة ويحمل مدائن لوط الخمسة من تحت الأرض على جناحه لا يضطرب منها شيء بل يقتلعها من تحتها على هذا الوجه ويصعد بها إلى الجو ثم يقلبها وهذا عظيم.

والملك الواحد من الملائكة يقهر الجمع العظيم من الجان ولذلك سأل سليمان - عليه السلام - ربه تعالى أن يولي على الجان الملائكة ففعل له ذلك فهم الزاجرون لهم اليوم عند العزائم وغيرها التي يتعاطاها أهل هذا العلم فيقسمون على الملائكة بتلك الأسماء التي تعظمها الملائكة فتفعل في الجان ما يريده المقسم عليهم بتلك الأسماء المعظمة وكانوا قبل زمن سليمان - عليه السلام - يخالطون الناس في الأسواق ويعبثون بهم عبثا شديدا فلما رتب سليمان هذا الترتيب وسأله من ربه انحازوا إلى الفلوات والخراب من الأرض فقلت أذيتهم والملائكة تراقبهم في ذلك فمن عبث منهم وعثا ردوه، أو قتلوه كما يفعل ولاة بني آدم مع سفهائهم وما سبب اقتدار الملائكة على الجان إلا فضل أبنيتهم ووفور قوتهم فهم مفضلون على الجان من هذا الوجه مضافا لبقية الوجوه، وهذه النكتة ينتفع بها كثيرا في النصوص الدالة على تفضيل الملائكة على البشر فإن الصحيح أن البشر أفضل على تفصيل يذكر في موضعه فإذا قصد الجواب عن تلك النصوص

(١) التذكرة للحميدي الحَمِيدي، ابن أبي نصر ص/٨٤٣

حمل ذلك التفضيل والثناء على الأبنية وجودة التركيب إذا كان النص يحتمل ذلك فيندفع أكثر الأسئلة والنقوض عن المستدل على أفضلية الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ولا نزاع أن الملائكة أفضل في أبنيتهم وأن أبنية بني آدم خسيسة

ــــــsالتي ذكرها إلى تأثير غير القدرة القديمة على ما ظهر من مساق كلامه والله تعالى أعلم وما قاله بعد ذلك في القاعدة العشرين وما بعده إلى منتهى قوله فهي من المفضلات التي علم تفضيلها صحيح كله.

ــــــQالجان على بني آدم في الأبنية وجودة التركيب من جهة تقديره تعالى أنهم يعيشون الآلاف من السنين فلا يعرض لهم الموت وكذلك لا تعرض لهم الأمراض والأسقام التي تعرض لبني آدم بسبب أن أجسادهم لم يجعلها تعالى مشتملة على الرطوبات وأجرام الأغذية كما جعل أجساد بني آدم مشتملة على ذلك فصار يعرض لها العفن وآفات الرطوبات دون أجساد الجان فلذلك كثر بقاؤهم وطال وأسرع لبني آدم الموت على حسب تقدير العزيز العليم ومما ورد قول الشاعر في الجان لما ورد عليه وهو يقيد النار:

أتوا ناري فقلت منون أنتم ... فقالوا الجن قلت عموا ظلاما

فقلت إلى الطعام فقال منهم ... زعيم يحسد الإنس الطعاما

لقد فضلتم بالأكل عنا ... ولكن ذاك يعقبكم سقاما

فصرحوا في شعرهم بما تقدم.

وقال جماعة من العلماء منهم الغزالي – رحمه الله تعالى – في الإحياء إنهم يتغذون من الأعيان بروائحها ولذلك جاء في الحديث «أنهم قالوا لرسول الله - صلى الله عليه وسلم – مر أمتك لا يستجمروا بروث ولا عظم فإنها طعامنا وطعام دوابنا» مع أنا نجد العظم يمر عليه الدهر الطويل لا يتغير منه شيء فدل ذلك على أنهم يتغذون بالرائحة.

قال الأصل **ورأيت في بعض الكتب** عن وهب بن منبه أنهم طوائف منهم من يتغذى بالرائحة ومنهم من يتغذى بجرم الغذاء ومنهم طائر لا يأوي في الأرض ومنهم من يأوي في الأرض يرحلون وينزلون في البراري كالأعراب، وإن أحوالهم مختلفة في ذلك وعلى الجملة فتراكيبهم أعظم وسيرهم في الأرض أيسر فيسيرون المسافة الطويلة في الزمن القصير ولذلك تؤخذ عنهم أخبار الوقائع والحوادث في البلاد البعيدة عنا بسبب سرعة حركتهم وتنقلهم على وجه الأرض واتخذهم سليمان – عليه السلام – لأعمال تعجز عنها البشر بسبب فرط قوتهم قال الله تعالى ﴿يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب﴾ [سبأ: ١٣] ولهم قوة التنقل على التصور في كل حيوان أرادوا فتقبل بنيتهم التنقل إلى الحيات والكلاب والبهائم وصور

بني آدم وهذا لا يتأتى إلا مع جودة البنية ولطافة التركيب وبنيتنا نحن لا تقبل شيئا من هذا لأنا خلقنا من تراب شأنه الثبوت والرصافة والدوام على حالة واحدة وخلقوا من نار شأنها التحرك وسرعة الانتقال واللطافة وهذا المعنى هو الذي غر إبليس فأوجب له الكبر على آدم صلوات الله عليه وترك أن الله يفضل من يشاء على من يشاء ويحكم ما يريد فجاء بالاعتراض في غير موضعه فهلك اهـ.

وفي كتاب مسامرة الأخيار للشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي – قدس سره – خبر الحية الطائفة بالبيت عن أبي الطفيل قال كانت امرأة من الجن في الجاهلية تسكن ذا طوى وكان لها ابن ولم يكن لها ولد غيره وكانت تحبه حبا شديدا وكان شريفا في قومه فتزوج وأتى زوجته فلما كان يوم سابعه قال لأمه يا أمه إني أحب أن أطوف بالكعبة سبعا نهارا قالت له أمه: أي بني إني أخاف عليك سفهاء قريش فقال أرجو السلامة فأذنت له فولى في صورة جان فلما أدبر جعلت تعوذه وتقول." (١)

"بالنسبة إلى أبنية الملائكة فتحمل آية التفضيل على ذلك.

وثانيها تفضيل الجان على بني آدم في الأبنية وجودة التركيب من جهة أنهم يعيشون الآلاف من السنين فلا يعرض لهم الموت وكذلك لا تعرض لهم الأمراض والأسقام التي تعرض لبني آدم بسبب أن أجسادهم ليست مشتملة على الرطوبات وأجرام الأغذية فلا يحصل العفن ولا آفات الرطوبات التي تعرض لبني آدم فلذلك كثر بقاؤهم وطال، وأسرع لبني آدم الموت ومما ورد في ذلك قول الشاعر في الجان لما ورد عليه بالليل وهو يقيد النار:

أتوا ناري فقلت منون أنتم ... فقالوا الجن قلت عموا ظلاما

فقلت إلى الطعام فقال منهم ... زعيم يحسد الإنس الطعاما

لقد فضلتم بالأكل عنا ... ولكن ذاك يعقبكم سقاما

فصرحوا في شعرهم بما تقدم.

وقال جماعة من العلماء الغزالي – رحمه الله – في الإحياء وغيره: إنهم يتغذون من الأعيان بروائحها ولذلك جاء في الحديث «أنهم قالوا لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – مر أمتك لا يستجمروا بروث ولا عظم فإنها طعامنا وطعام دوابنا» مع أنا نجد العظم يمر عليه الدهر الطويل لا يتغير منه شيء فدل ذلك على أنهم يتغذون بالرائحة **ورأيت في بعض الكتب** عن وهب بن منبه أنهم طوائف منهم من يتغذى بالرائحة ومنهم من يتغذى بجرم الغذاء ومنهم طائر لا يأوي في الأرض ومنهم من يأوي في الأرض يرحلون وينزلون

---

(١) الفروق للقرافي = أنوار البروق في أنواء الفروق القرافي ٢/٢٢٥

في البراري كالأعراب، وإن أحوالهم مختلفة في ذلك وعلى الجملة فتراكيبهم أعظم وسيرهم في الأرض أيسر فيسيرون المسافة الطويلة في الزمن القصير ولذلك تؤخذ عنهم أخبار الوقائع والحوادث في البلاد البعيدة عنا بسبب سرعة حركتهم وتنقلهم على وجه الأرض واتخذهم سليمان – عليه السلام – لأعمال تعجز عنها البشر

ــــــs. . . . .

ــــــQأعيذه بالكعبة المستورهـ ... ودعوات ابن أبي محذوره

وما تلا محمد من سوره ... إني إلى حياته فقيره

وإنني بعيشه مسروره

فمضى الجان أي وهو في صورة حية نحو الطواف فطاف بالبيت سبعا وصلى خلف المقام ركعتين، ثم أقبل منقلبا حتى إذا كان ببعض دور بني سهم عرض له شاب من بني سهم أحمر أكثف أزرق أحول أعسر فقتله فثارت بمكة غبرة حتى لم تبصر لها الجبال قال أبو الطفيل وبلغنا أنه إنما تثور تلك الغبرة عند موت عظيم من الجن قال فأصبح من بني سهم على فراشهم موتى كثير من قبل الجن فكان فيهم سبعون شيخا أصلع سوى الشباب قال فنهضت بنو سهم وحلفاؤها ومواليها وعبيدها فركبوا الجبال والشعاب بالثنية فما تركوا حية ولا عقربا وخنفساء ولا شيئا من الهوام يدب على وجه الأرض إلا قتلوه فأقاموا بذلك ثلاثا فسمعوا في الليلة الثالثة على أبي قبيس هاتفا يهتف بصوت له جهوري يسمع بين الجبلين يا معشر قريش الله الله فإن لكم أحلاما وعقولا أعذرونا أعذرونا من بني سهم فقد قتلوا منا أضعاف ما قتلنا منهم ادخلوا بيننا وبينهم بصلح نعطهم ويعطونا العهد والميثاق أن لا يعود بعضنا لبعض بسوء أبدا ففعلت ذلك قريش واستوثقوا لبعضهم من بعض فسميت بنو سهم العياطلة قتلة الجن اهـ.

المراد منه فانظره. وثالثها: تفضيل الذهب على الفضة بجودة البنية فإن بنية الذهب ملتززة متداخلة وبنية الفضة متفشفشة رخوة، وسبب ذلك كما قيل إن طبخ الذهب طال تحت الأرض بحر الشمس أربعة آلاف سنة، والفضة لم يحصل لها ذلك فكانت بنية الذهب أفضل من بنية الفضة. القاعدة العشرون: التفضيل باختيار الرب تعالى لمن يشاء على من يشاء ولما يشاء على ما يشاء؛ بأن يفضل أحد المتساويين من كل وجه على الآخر كتفضيل شاة الزكاة على شاة التطوع، وتفضيل فاتحة الكتاب داخل صلاة الفرض على الفاتحة خارج الصلاة، وحج الفرض على تطوعه، فإن الواجب أفضل مما ليس بواجب، وكتفضيل الأذكار في الصلاة على مثلها خارج الصلاة (خاتمة) نسأل الله حسنها. في مهمات: (المهم الأول) أن تفضيل

الأزمان والبقاع قسمان: الأول: دنيوي، كتفضيل الربيع على غيره، وكتفضيل بعض البلدان بالثمار والأنهار وطيب الهواء وموافقة الأهواء.

والثاني: ديني، كتفضيل الثلث الأخير من الليل على غيره من الأزمنة بإجابة الدعوات ومغفرة الزلات وإعطاء السؤال ونيل الآمال، ورمضان على الشهور، وعاشوراء ويوم عرفة وأيام البيض والجمعة والخميس والاثنين ونحو ذلك مما ورد الشرع بتفضيله وتعظيمه على ما عداه من الأزمنة وكتفضيل مكة والمدينة وبيت المقدس وعرفة والمطاف والمسعى ومزدلفة ومنى ومرمى الجمار ونحو ذلك من البقاع التي ورد الشرع بتفضيلها على غيرها ومن الأقاليم المفضلة شرعا اليمن لقوله – صلى الله عليه وسلم – «الإيمان يماني والحكمة يمانية» والمغرب لقوله – صلى الله عليه وسلم – «لا تزال طائفة من أهل المغرب قائمين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك» .

(المهم الثاني) المفضلات ثلاثة أقسام: الأول." (١)

"اعلم أن السماع هو أول الأمر، ويثمر السماع حالة في القلب تسمى الوجد ويثمر الوجد تحريك الأطراف، إما بحركة غير موزونة فتسمى الاضطراب، وإما موزونة فتسمى التصفيق والرقص. ثم بدأ بحكم السماع وبين الدليل على إباحته ثم ذكر ما تمسك به القائلون بتحريمه وأجاب عن ذلك بما نذكره أو مختصره إن شاء الله تعالى.

قال رحمه الله تعالى: نقل أبو طالب المكى إباحة السماع عن جماعة وقال:

سمع من الصحابة عبد الله بن جعفر، وابن الزبير، والمغيرة بن شعبة، ومعاوية وغيرهم. وقد فعل ذلك كثير من السلف صحابى وتابعى. قال: ولم يزل الحجازيون عندنا بمكة يسمعون السماع في أفضل أيام السنة وهى الأيام المعدودات التى أمر الله عز وجل عباده فيها بذكره كأيام التشريق. ولم يزل أهل المدينة ومكة مواظبين على السماع إلى زماننا هذا فأدركنا أبا مروان القاضى وله جوار يسمعن [الناس «١»] التلحين قد أعدهن للصوفية. قال: وكان لعطاء جاريتان تلحنان وكان إخوانه يستمعون إليهما. قال: وقيل لأبى الحسن بن سالم: كيف تنكر السماع وقد كان الجنيد وسرى السقطى وذو النون يسمعون! فقال: كيف أنكر السماع وأجازه وسمعه من هو خير منى. وقد كان عبد الله بن جعفر الطيار يسمع. وإنما أنكر اللهو واللعب فى السماع.

وروى عن يحيى بن معاذ أنه قال: فقدنا ثلاثة أشياء فلا نراها ولا أراها تزداد إلا قلة: حسن الوجه مع

---

(١) الفروق للقرافي = أنوار البروق في أنواء الفروق القرافي ٢/٢٢٦

الصيانة، وحسن القول مع الديانة، وحسن الإخاء مع الوفاء.

قال الغزالى: ورأيت في بعض الكتب هذا بعينه محكيا عن المحاسبى وفيه ما يدل على تجويزه السماع مع زهده وتصاونه وجده في الدين وتشميره.." (١)

"الاستعلاء، الثاني: أنه يراد به قطع الوادي وبلوغ آخره من قولهم: أتى على الشيء إذا بلغ آخره، فتكلمت النملة بذلك، وهذا غير مستبعد، فإن حصول العلم والنطق لها ممكن في نفسه، والله سبحانه قادر على كل الممكنات.

وحكي عن قتادة أنه دخل الكوفة، فاجتمع عليه الناس، فقال: سلوا عما شئتم، وكان أبو حنيفة حاضرا، وهو يومئذ غلام حدث، فقال: سلوه عن نملة سليمان أكانت ذكرا أم أنثى؟

فسألوه فأفحم، فقال أبو حنيفة: كانت أنثى. فقيل له: كيف عرفت ذلك؟ فقال: من قوله تعالى: قالت ولو كانت ذكرا لقال قال نملة، لأن النملة مثل الحمامة والشاة، في وقوعها على الذكر والأنثى، قال: ورأيت في بعض الكتب أن تلك النملة، إنما أمرت رعيتها بالدخول في مساكنها، لئلا ترى النعم التي أوتيها سليمان وجنوده، فتقع في كفران نعمة الله عليه. وفي هذا تنبيه على أن مجالسة أرباب الدنيا محظورة.

يروى أن سليمان قال لها: لم قلت للنمل ادخلوا مساكنكم أخفت عليها مني ظلما؟ قالت:

لا ولكني خشيت أن يفتنوا بما يرون من جمالك وزينتك فيشغلهم ذلك عن طاعة الله.

قال الثعلبي وغيره: إنها كانت مثل الذئب في العظم، وكانت عرجاء ذات جناحين. وذكر عن مقاتل أن سليمان عليه السلام سمع كلامها من ثلاثة أميال.

وقال بعض أهل التذكير: إنها تكلمت بعشرة أنواع من البديع، قولها: يا

«١» نادت أيها

«٢» نبهت النمل

«٣» سمت ادخلوا

«٤» أمرت مساكنكم

«٥» نعتت لا يحطمنكم

«٦» حذرت سليمان

«٧» خصت وجنوده

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٤/١٦١

«٨» عمت وهم

«٩» أشارت لا يشعرون

«١٠» اعتذرت. والمشهور أنه النمل الصغار. واختلف في اسمها فقيل: كان اسمها طاخية، وقيل كان اسمها حزمى. قيل: كان نمل الوادي كالذئاب، وقيل: كالبخاتي.

قال السهيلي، في التعريف والاعلام: ولا أدري كيف يتصور للنملة اسم علم، والنمل لا يسمي بعضه بعضا! ولا الآدمي يمكنه تسمية واحدة منها باسم علم، لأنه لا يتميز للآدميين بعضه من بعض، ولا هم أيضا واقعون تحت ملك بني آدم، كالخيل والكلاب ونحوهما، لأن العلمية فيما كان كذلك موجودة عند العرب. فإن قلت: إن العلمية موجودة في الأجناس كثعالة وأسامة وجعار في الضبع ونحو هذا كثير، فالجواب أن هذا ليس من أمر النمل، لأنهم زعموا أنه اسم علم لنملة واحدة معينة من بين سائر النمل. وثعالة ونحوه مختص بواحد من الجنس، بل كل واحد رأيته من ذلك الجنس فهو ثعالة، وكذلك أسامة وابن آوى وابن عرس وما أشبه ذلك. فإن صح ما قالوا، وله وجه فهو أن تكون هذه النملة الناطقة، قد سميت بهذا الاسم في التوراة، أو في الزبور، أو في بعض الصحف، أو سماها الله تعالى بهذا الاسم، وعرفها به جميع الأنبياء قبل سليمان أو بعده، وخصت بالتسمية لنطقها وإيمانها، ومعنى قولنا: وإيمانها أنها قالت للنمل: وهم لا يشعرون

، وهو التفاتة مؤمن أي أن سليمان عليه السلام من عدله وفضله، وفضل جنوده، لا يحطمون نملة فما فوقها، إلا وهم لا يشعرون.." (١)

"وقد قيل: إنما كان تبسم سليمان سرورا بهذه الكلمة منها، ولذلك أكد التبسم بقوله:

ضاحكا، إذ قد يكون التبسم من غير ضحك ولا رضا، ألا تراهم يقولون: تبسم تبسم الغضبان، وتبسم تبسم المستهزىء، وتبسم تبسم الضحك، وتبسم الضحك، إنما هو من سرور ولا يسر نبي بأمر دنيا، وإنما يسر بما كان من أمر الدين فقولها: وهم لا يشعرون إشارة إلى الدين والعدل انتهى.

فائدة أخرى

: روى أبو داود والحاكم وصححه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للشفاء بنت عبد الله:

«علمي حفصة رقية النملة كما علمتها الكتابة» «١» . وفي صحيح مسلم «٢» ، أن النبي صلى الله عليه وسلم أرخص في الرقية من النملة، والنملة قروح تخرج في الجنب من البدن، ورقيتها شيء كانت تستعمله

---

(١) حياة الحيوان الكبرى الدَّمِيري ٢/٥٠١

النساء، يعلم كل من سمعه أنه كلام لا يضر ولا ينفع، وهو أن يقال: العروس تحتفل وتختضب وتكتحل، وكل شيء تفتعل، غير أن لا تعصي الرجل، أراد النبي صلى الله عليه وسلم بهذا المقال تأنيب حفصة، لأنه ألقى إليها سرا فأفشته. فكان هذا من لغو الكلام ومزاحه. كقوله صلى الله عليه وسلم للعجوز: «لا تدخل الجنة عجوز» «٣» .

ورأيت في بعض الكتب، بخط بعض الأئمة الحفاظ، أن رقية النملة أن يصوم راقيها ثلاثة أيام متوالية، ثم يرقيها بكرة كل يوم من الثلاثة، عند طلوع الشمس، فيقول: اقسطري وانبرجي فقد نوه بنوه بربطش ديبقت اشف أيها الجرب بألف لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ويكون في أصبعه زيت طيب، يمسح به عليها ويتفل على الموضع عقب الرقية قبل المسح بالزيت فافهم.

روى الدارقطني والحاكم عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا تقتلوا النملة فإن سليمان عليه السلام خرج ذات يوم يستسقي، فإذا هو بنملة مستلقية على قفاها رافعة قوائمها، تقول: اللهم إنا خلق من خلقك، لا غنى لنا عن فضلك، اللهم لا تؤاخذنا بذنوب عبادك الخاطئين، واسقنا مطرا تنبت لنا به شجرا، وتطعمنا به ثمرا، فقال سليمان لقومه: ارجعوا فقد كفيتم وسقيتم بغيركم» .

فوائد

: قال الخلال: أخبرنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال: حدثنا أبي قال: حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث قال: حدثنا أبو عبد الله الكواز قال: حدثتني حبيبة مولاة الأحنف بن قيس، أن الأحنف بن قيس رآها تقتل نملة فقال: لا تقتليها، ثم دعا بكرسي فجلس عليه، فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال: إني أحرج عليكن إلا خرجتن من داري فاخرجن فإني أكره أن تقتلن في داري، قال: فخرجن فما رؤي فيه منهن بعد ذلك اليوم واحدة. قال عبد الله بن الإمام أحمد: رأيت أبي فعل ذلك حرج على النمل، وأكثر علمي أنه جلس على كرسي كان يجلس عليه لوضوء الصلاة، ثم رأيت النمل قد خرجن من بعد ذلك كبار سود فلم أرهن بعد ذلك.

ورأيت بخط بعض المشايخ لإذهاب النمل أن يكتب في إناء نظيف. هذه الأسماء، وتغسل." (١)

"فيرى بأطراف أعمال نابلس] «١» ويرى على قصد الطريق بذروة الجبل المصاقب لمجدل [يابا] «٢» ، فيرفع منه فيرى بمركز ياسور المعدول بالبريد الآن عنه، ثم يرفع منه فيرى بالجبال المطلة على غزة، فيرفع بغزة على أعالي الحدب المعروف بحدب غزة، ثم [لا منور و] «٣» لا إخبار بشأن التتار إلا على

---

(١) حياة الحيوا ن الكبرى الدَّمِيري ٢/٥٠٢

الجناح والبريد.

قال: ثم اعلم أن جميع ما ذكرناه مناور تتشعب إلى ما خرج عن جادة الطريق إلى البلاد الآخذة على جنب جنوبا وشمالا، شرقا وغربا. أما منذ أصلح الله بين الفئتين، وأمن جانب الجهتين، فقد قل بذلك الاحتفال، وصرف عن البال. وهذه المناور رسوم قد عفت، وجسوم [أكلت شعل النار أرواحها] «٤» فانطفت.

على أنه قد نص في «التعريف» على مناور طريق البيرة، ومناور طريق الرحبة، وهما من نفس المملكة.

قلت: وهذه المناور مأخوذة عن ملوك الهند، فقد **رأيت في بعض الكتب** أن ببلادهم مناور على جبال مرتفعة، ترى النار فيها على بعد أكثر من هذه.

على أن مرتبها بهذه المملكة أولا أتى بحكمة ملوكية لا تساوى مقدارا، إذ قد ترقى في سرعة بلوغ الأخبار إلى الغاية القصوى. وذلك أن البريد يأتي من سرعة الخبر بما لم يأت به غيره، والحمام يأتي من الخبر بما هو أسرع من البريد، والمناور تأتي من الخبر بما هو أسرع من الحمام. وناهيك أن يظهر عنوان الخبر في الفرات بمصر في مسافة يوم وليلة «٥» .." (١)

"سيلا يعني باللام ألف، **ورأيت في بعض الكتب** سيلان بزيادة نون بعد اللام ألف.

قال: وهي مدينة في أقصى الصين الشرقي، خارجة عن الإقليم الأول إلى الجنوب. قال في «القانون» حيث الطول مائة وسبعون درجة، والعرض خمس درج، وهي في أعالي الصين من الشرق كجزائر الخالدات في بحر الغرب، لكن هذه معمورة في خصب بخلاف تلك.

(ومنها) جمكوت. قال في «تقويم البلدان» : بالجيم والميم والكاف ثم واو وتاء مثناة فوقية في الآخر. قال: كذا وجدناها مكتوبة، واسمها عند الفرس جماكرد. قال: وهي مدينة في أقصى العمارة الشرقية، خارجة عن الإقليم الأول من الأقاليم السبعة إلى الجنوب. قال في «الأطوال» : وهي على خط الاستواء لا عرض لها. قال في «تقويم البلدان» : وهي على النهاية الشرقية مثل ما يحكى عن الجزائر الخالدات في النهاية الغربية. قال: وليس شرقي جمكوت عمارة أصلا.

(ومنها) مدن أخرى مذكورة في الكتب مجهولة الضبط:

إحداها مدينة (ينجو) - وموقعها في الإقليم الثاني من الأقاليم السبعة.

قال في «الأطوال» حيث الطول مائة وخمس وعشرون، والعرض اثنتان وعشرون. وقد ذكر في «القانون» أنها مستقر ملكهم الأكبر الملقب بطمغاج.

---

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ١٤/٤٤٧

(ومنها) مدينة خانقو. بخاء معجمة وألف ونون وقاف ثم واو- وهي مدينة على النهر واقعة في الإقليم الأول من الأقاليم السبعة قال في «القانون» حيث الطول مائة وستون درجة، والعرض أربع عشرة درجة. قال في «تقويم البلدان» :

وهي من أبواب الصين. قال ابن سعيد: وموقعها على شرقي نهر خمدان. قال ابن خرداذبه: وهي المرفأ الأكبر، وفيها الفواكه الكثيرة، والبقول، والحنطة، والشعير، والأرز، والعنب، والسكر.

(ومنها) مدينة خانجو- بإبدال القاف من المدينة السابقة جيما- وهي مدينة على النهر، واقعة في الإقليم الأول من الأقاليم السبعة. قال في «الأطوال» حيث الطول مائة واثنتان وستون درجة، والعرض أربع عشرة درجة. قال في «القانون» : وهي من أبواب الصين.." (١)

"لقد زعمت أني تغيرت بعدها ... ومن ذا الذي يا عزلا يتغير

تغير جسمي والخليقة كالتي ... عهدت وما يخبر بسرك مخبر

فقالت: أروي ذلك، واكن أروي قوله:

كأني انادي صخرة حين أدبرت ... من الصم لو تمشي بها العصم زلت

صفوح فما تلقاك إلا بنجلة ... فمن مل منها ذلك النجل ملت

قال: فأمرها بالدخول على زوجته عاتكة، فلما دخلت قالت لها عاتكة: خبريني عن قول كثير فيك:

قضى كل ذي دين فوفى عزيمه ... وعزة ممطول معنى غريمها

من هذا الدين؟ فقلت: وعدته قبلة، فقالت عاتكة: أنجزي وعدك وعلي إثمه.

قال بعض الفضلاء: ذهب لذات الدنيا بأجمعها، ولم يبق منها إلا حك الجرب والوقيعة في الثقلاء.

سئل بعض الأعراب ممن راى مسيلمة: كيف وجدته: فقال ما هو نبي صادق ولا متنبئ حاذق.

قال بعض الأمراء لجنده: يا كلاب، فقال له احدهم: لا تقل ذلك فإنك أميرنا

لبعضهم:

فتى لرغيفه قرط وشلف ... وإكليلان من خرز وشذر

إذا كسر الرغيف بكى عليه ... بكا الخنسا إذا فجعت بصخر

قال أبو العينا: أخجلني ابن صغير لعبد الرحمن بن خاقان قلت له: وددت أن لي ابنا مثلك، فقال: هذا بيدك، قلت: كيف ذلك؟ قال: إحمل أبي على امرأتك تلد لك ابنا مثلي.

---

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ٤/٤٨٠

قال رجل لابن عمر: إن المختار كان يزعم أنه يوحي إليه فقال: صدق إن الله تعالى يقول: " وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ".

قيل لحكيم ظريف: هل يولد لابن خمس وتسعين ولد؟ فقال نعم: إن كان في جيرانه ابن خمس وعشرين سنة.

رأيت في بعض الكتب: أن الوجه في تسمية الشيخ العارف كمال الدين بالكبرى أن مشايخ زمانه كانوا يقولن في شأنه: قد قامت عليه قيامه العشاق فأتت عليه الطامة الكبرى، فاشتهر بذلك وغلب عليه حتى عرف به.." (١)

"اتخذت الخيل يا أمير المؤمنين، فقال: أنا لا أفر عمن كر، ولا أكر على من فر، والبغلة تكفيني.

رأيت في بعض الكتب: أن الشطرنج إنما وضعها الحكماء لملوك الروم والفرس لأنهم لا يكون لهم علم وكانوا لا يطيلون الجلوس مع العلماء لجهلهم، واذا اجتمعوا مع أمثالهم تلاحظوا كما يتلاحظ البقر، فوضعوا لهم في ذلك ليشتغلوا بها، وأما ملوك اليونان وقدماء الفرس والروم، فكان لكل منهما كعب عال في العلم، وكانوا لا يتفرغون عنه لأمثال الامور الواهية.

قال الحجاج لشيخ من الأعراب: كيف حالك في الأكل؟ فقال: إن أكلت ثقلت، وإن تركت ضعفت، قال: فكيف نكاحك؟ قال: إذا بذلت لي عجزت، وإذا منعت شرهت، قال: فكيف نومك؟ قال: أنام في المجمع، وأسهر في المضجع، قال: فكيف قيامك وقعودك؟ قال: اذا قعدت تباعدت عني الأرض، وإذا قمت لزمتني، فقال: فكيف مشيك؟ قال: تعقلني الشعرة، وتعثرني البعرة.

كان يحيى بن أكثم يناظر رجلا في إبطال القياس؛ وكان الرجل يقول في أثناء مناظرته: يا أبا زكريا، فقال: لست أبا زكريا؛ فقال الرجل: يحيى يكون كنية أبا زكريا؛ فقال: يحيى بن أكثم: ففيم بحثنا إلى الآن؟ يعني أنك قلت بالقياس وعملت به.

دق رجل الباب على الجاحظ، فقال الجاحظ من أنت؟ فقال الرجل: أنا، فقال الجاحظ: أنت والدق سواء.

هارون بن أبي الفرج المنجم وقيل: هارون ابن علي المنجم:

سقى الله أياما لنا ولياليا ... مضين فلا يرجى لهن رجوع

إذ العيش صاف والأحبة جيرة ... جميعا وإذ كل الزمان ربيع

واذ أنا إما للعواذل في الصبا ... فعاصي وإما للهوى فمطيع

---

(١) الكشكول البهاء العاملي ٢/٢٢٣

قال الصاحب ابن عباد: هذا الشعر إن أردت كان اعرابيا في شملته، وإن أردت كان عراقيا في حلته. انتهى.." (١)

"[عود إلى عمران قرطبة]

وقد أبعدنا عما كنا بصدده من ذكر قرطبة أعادها الله للإسلام، فنقول: قال بعض من أرخ الأندلس: انتهت مساجد قرطبة أيام عبد الرحمن الداخل إلى أربعمائة وتسعين مسجدا، ثم زادت بعد ذلك كثيرا كما يأتي ذكره.

وقال بعضهم (١) : كانت قرطبة قاعدة الأندلس، وأم المدائن، وقرارة الملك، وكان عدد شرفاتها أربعة آلاف وثلاثمائة، وكانت عدة الدور في القصر الكبير أربعمائة دار ونيفا وثلاثين، وكانت عدة دور الرعايا والسواد بها الواجب على أهلها المبيت في السور مائة ألف دار وثلاثة عشر ألف دار، حاشا دور الوزراء وأكابر الناس والبياض.

ورأيت في بعض الكتب أن هذا العدد كان أيام لمتونة والموحدين، قال: وكانت ديار أهل الدولة إذ ذاك ستة آلاف دار وثلاثمائة دار، انتهى.

وعدد أرباضها ثمانية وعشرون، وقيل: واحد وعشرون، ومبلغ المساجد بها ثلاثة آلاف وثمانمائة وسبعة وثلاثون مسجدا، وعدد الـحمامات المبرزة للناس سبعمائة حمام: وقيل ثلاثمائة حمام.

وقال ابن حيان: إن عدة امساجد عند تناهيها في مدة ابن أبي عامر ألف وستمائة مسجد، والحمامات تسعمائة حمام (٢) .

وفي بعض التواريخ القديمة: كان بقرطبة في الزمن السالف ثلاثة آلاف مسجد وثمانمائة وسبعة وسبعون مسجدا – منها بشقندة ثمانية عشر مسجدا – وتسعمائة حمام وأحد عشر حماما، ومائة ألف دار وثلاثة عشر ألف دار للرعية خصوصا، وربما نصف العدد أو أكثر لأرباب الدولة وخاصتها، هكذا نقله

---

(١) انظر أزهار الرياض ٢: ٢٧٢.

(٢) دوزي: ستمائة حمام.." (٢)

---

(١) الكشكول البهاء العاملي ٢/٢٣٩

(٢) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ١/٥٤٠

"قال القاضي الشمس ابن خلكان: إنه رحل من الأندلس في عنفوان شبابه وقدم مصر فسمع بالإسكندرية أبا عبد الله محمد بن أحمد بن إبراهيم الرازي، وبمصر أبا صادق مرشد بن يحيى بن القاسم المدني المصري وأبا طاهر أحمد بن محمد الأصبهاني المعروف بالسلفي وغيرهم، ودخل بغداد سنة ٥١٧ (١) ، وقرأ بها القرآن الكريم على الشيخ أبي محمد عبد الله بن علي المقرئ المعروف بابن بنت الشيخ أبي منصور الخياط، وسمع عليه كتبا كثيرة منها كتاب سيبويه، وقرأ الحديث على أبي بكر محمد بن عبد الباقي البزار المعروف بقاضي المارستان وأبي القاسم ابن الحصين وأبي العز وغيرهم، وكان دينا ورعا عليه وقار وسكينة، وكان ثقة صدوقا ثبتا نبيلا قليل الكلام كثير الخير مفيدا، أقام بدمشق مدة، واستوطن الموصل، ورحل منها إلى أصبهان، ثم عاد إلى الموصل، وأخذ عنه شيوخ ذلك العصر. وذكره الحافظ ابن السمعاني في كتاب الذيل، وقال: إنه اجتمع به بدمشق، وسمع عنه مشيخة أبي عبد الله الرازي، وانتخب عليه أجزاء، وسأله عن مولده، فقال: ولدت سنة ٤٨٦ في مدينة قرطبة، **ورأيت في بعض الكتب** أن مولده سنة ٤٨٧، والأول أصح، وكان شيخنا القاضي بهاء الدين أبو المحاسن (٢) يوسف بن رافع بن تميم المعروف باب شداد قاضي حلب رحمه الله تعالى يفتخر بروايته وقراءته عليه، وقال: كنا نقرأ عليه بالموصل، ونأخذ عنه، وكنا نرى رجلا يأتي إليه كل يوم فيسلم عليه وهو قائم، ثم يمد يده إلى الشيخ بشيء ملفوف، فيأخذه الشيخ من يده، ولا نعلم ما هو، ويتركه ذلك الرجل ويذهب، ثم تقفينا ذلك فعلمنا أنها دجاجة مسموطة كانت ترسم للشيخ في كل يوم، يبتاعها له ذلك الرجل ويسمطها ويحضرها، وإذا دخل الشيخ إلى منزله تولى طبخها بيده.

---

(١) ابن خلكان: سبع وعشرين وخمسمائة.

(٢) أبو المحاسن: لم ترد في ق ط ج.." (١)

"لهذه الاستخارة المنامية أدعية مختلفة. منها ما سمعته في الآثار. ومنها غير ذلك فقد **رأيت في بعض الكتب** أنه يقول بعد الصلوة والدعاء الوارد اللهم يا هادي اهدني ويا عليم علمني ويا مبين بين لي ويا خبير خبرني عن أمري ويسميه وينام على وضوء مستقبل القبلة وفي بعضها زيادة واضعا خده على كف يده اليمنى وهو مما لا بأس به والاقتصار على الوارد أولى) نعم (الطامة الكبرى ما ذكره ابن خلدون في كتابه المشهور وسماه بحطومة الانطباع التام وذكر أنه يقرأ عند النوم بعد فراغ السر وصحة التية فيرى القارئ ما

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمسانى ١١٧/٢

يرى وهو تماغس بعد أن يسوادد أغداس نوفنا تمادس. وذلك فإن هذه الأسماء مجهولة المعنى لم ترو قراءتها ولا الأمر بها عن المعصوم عليه الصلوة والسلام وقد صرحوا بحرمة قراءة مثل ذلك لعدم الأمن من تضمنه محظورا ولا أقل من الكراهة وندب الترك لخبر يدع ما يريبك إلى ما يريبك) ومن الاستخارات الشائعة (ال ا ستخارة بالقرآن ويسمونها تفاؤلا ولهم فيها كيفيات شتى والظاهر أن ذلك مما لا دليل على مشروعيته. وفي شرح فقه الأكبر لعلي القارئ ما نصه ومن جملة علم الحروف فال المصحف حيث يفتحونه وينظرون في أول صفحة أي حرف وافقه وكذا في سابع الورقة السابعة فإذا جاء حرف من الحروف المركبة من تشخلا كم حكموا بأنه غير مستحسن وفي سائر الحروف بخلاف ذلك. وقد خرج ابن العجمي في منسكه قال ولا يؤخذ الفال من المصحف قال العلماء اختلفوا في ذلك فكرهه بعضهم وأجازه بعضهم ونص المالكية على تحريمه انتهى. ولعل من أجاز أو كره من اعتمد على المعنى ومن حرمه من اعتبر حروف المبنى فإنه في معنى الاستقسام بالأزلام انتهى كلام القاري. والذي أميل إليه الكراهة مطلقا ولا يبعد القول بالحرمة كذلك فتأمل) ومن البدع (ما يستعمله الشيعة من التفاؤل بالسبحة ونحوها على سائر الكيفيات المعروفة بينهم وكذا ما يفعله كثير من الناس من التفاؤل بديوان الحافظ الشيرازي قدس سره وقد تفاؤل لي بعض أصحابي يوم عزيمتي على السفر فخرج قوله:

كل بر در ومي در كف ومعشوقة بكامست ... سلطان جهانم بجينين روز غلامست

حافظ منشين بي مي معشوقة زماني ... أيام كل وياسمين وعيد صيامست

) وللعوام تفاؤلات بغير ذلك (من أقدمها التفاؤل بالطيور وكانت الجاهلية تفاؤل بأسمائها وأصواتها وأحوالها وتتشاءم بذلك وعليه قول ذي الرمة:

رأيت غرابا ساقطا فوق قضبة ... من القضب لم ينبت لها ورق خضر

فقلت غراب لاغتراب وقضبة ... لقضب النوى هذي العيافة والزجر

وهبت جنوب باجتنابك منهم ... ونفح الصبا تلك الصبابة والهجر

وقول كثير عزة:

رأيت غرابا ساقطا فوق بانة ... ينتف أعلى ريشه ويطايره

فقلت ولو أني أشاء زجرته ... بنفسي للنهدي فهل أنت زاجره

فقال غراب لاغتراب من النوى ... وفي البان بين من حبيب تحاوره

فما أعيف النهدي لا در دره ... وأزجره للطير لا عز ناصره

وقول بعضهم:

دعا صرد يوما على غصن بانة ... وصاح بذات البين منها غرابها

فقلت أتصريد وشحط وغربة ... فهذا لعمري نأيها واغترابها

ومثل ذلك الطرق بالحصى والتشاؤم بالعطاس إلى أمور كثيرة من هذا الباب ولله تعالى در من قال:

لعمرك ما تدري الطوارق بالحصى ... ولا زاجرات الطير ما الله صانع

وقال صابي بن الحرث البرجمي:

وما أنا ممن يزجر الطير همه ... أصاح غراب أم تعرض ثعلب

ولا السانحات البارحات عشية ... أمر سليم القرن أم مر أعضب

وقال شاعر قديم:

لا يمنعنك من بغاء الخ ... ير تعقاد التمائم

ولا التشأم بالعطا ... س ولا التيامن بالمقاسم

ولقد غدوت وكنت لا ... أغدو على واق وحائم

فإذا الأشايم كالأيا ... من والأيامن كالأشايم

وكذاك لا خير ولا ش ... ر على أحد بدائم

قد خط ذلك في الزبو ... ر الأوليات القدائم." (١)

"وعطرت هناك أردان وحدتي. بنفحة رسالة ذكرت فيها إلى الريحانتين نسبتي. مع ذكر نسبة آخرين. غدوا في البلاد متفرقين. وبعد عدة أيام دخلت القسطنطينية. وبلغت من الحلول فيها الأمنية. وهي بضم القاف وسكون السين المهملة وفتح الطاء الأولى وقد تضم وبعدها نون ثم طاء مكسورة وبعدها ياء ساكنة ثم نون بعدها ياء مشددة وقد تسقط هذه الياء فيقال قسطنطينة. قال الشيخ رفاعة في التقريبات الشافية لمريد الجغرافية كانت هذه المدينة في سالف الأعصر قرية من قرى طراسة التي هي الآن روملي وكانت تسمى ليغوس ثم صارت بعد نزول قبائل اليونان تسمى بيزنطيا) ولما (صارت تحت مملكة الرومانيين سمين نيي روما أي رومة الجديدة ثم أبدلوا هذا الاسم بالقسطنطينية. وفي كتب تواريخ المسقو تسمى زرغورود يعني المدينة الملكية والبلغار والأولاف يسمونها زرعوراد وأهل جزيرة أسلندة والسكندناوية كانوا يسمونها في القرن العاشر من تاريخ الميلاد مكلا غرد أي المدينة الكبيرة) وأما إسلامبول (فلفظ مركب من كلمة

---

(١) غرائب الاغتراب الألوسي، شهاب الدين ص/١٩

يونانية وكلمة عربية والمراد مدينة الإسلام انتهى. وفي القاموس أنها تسمى بوزنطيا وفي موضع آخر منه أنها تسمى فروق أيضا. وذكر ماغريفوريوس في مختصر الدول أن قسطنطينوس قصر القاهر ملك اثنتين وثلاثين سنة وفي السنة الثانية له ملك على الفرس ابور بن هرمز واستمر تسعا وستين سنة وفي السنة الثالثة بنى لبوزنطيا سورا وزاد في ساحتها أربعة أميال وسماها قسطنطينية ونقل الملك إليها. وفي السنة السابعة استعد لغزو مكسانطيس بن بنت يوز فيلطيانس لأنه لم يبايعه وغلب على رومية وكان قسطنطينيوس يفكر إلى من يلجئ أمره في هذا فبينما هو كذلك رفع رأسه إلى السماء نصف النهار فرأى راية الصليب في السماء مثل النور وقد كتب فيها بهذا الشكل تغلب فصاغ له صليبا من الذهب وكان يرفعه على رأس رمح ثم أنه غزا رومية فخرج إليها مكسانطيس فوقع في نهر واختنق وافتتح قسطنطينيوس مدينة رومية وبنى في القسطنطينية بيعة عظيمة وسماها أجياسوفيا أي حكمة القدوس. وفي أيامه حاصر سابور مدينة نصيبين ثلاثين يوما وبدعاء أسقفها مر يعقوب وتلميذه مارا فريم رحل عنها خائبا ومات قسطنطينوس سنة اثنتين وأربعين وستمائة للإسكندر يوم الأحد لثمان بقين من أيار وكان قد قسم ملكه بين بنيه الثلاث فأعطى ابنه الكبير المسمى قسطنطينوس مصر والشام وما بين النهرين وأرمينية وأعطى ابنه الأوسط المسمى قطنطيس مصر والشام وما بين النهرين وأرمينية وأعطى ابنه الصغير المسمى قسطوس رومية وسفاينا وما يليها من ناحية المغرب ووقع بين هذا والكبير حرب فقتل الكبير في ذلك الحرب. وكان له ابنان غالوس ويوليانس فنصب صاحب مصر غالوس على القسطنطينية مكان أبيه فعصاه فسير عليه جيشا عظيما فقتله ونصب أخاه يوليانس مكانه وبعد قليل قتل قسطوس صاحب رومية ومات قسطنطيس صاحب مصر والشام فاستقل يوليانس بجميع الممالك انتهى. وفي القانون المسعودي أنه بنيت بوزنطيا في أيام سنحاريب الصغير من ملوك بابل لأربعة آلاف وثمانمائة وتسع وأربعين سنة من لدن آدم عليه السلام وجاء قسطنطينوس المظفر ولد امرأة اسمها هيلالي لخمسة آلاف وثمانمائة وعشرين سنة من لدن آدم عليه السلام وتنصر ولثلاث من ملكه بنى سورا لقسطنطينية وانتقل إليها من رومية. ومن لدن آدم عليه السلام إلى الهجرة النبوية على مهاجرها أفضل الصلوة وأكمل التحية ستة آلاف سنة ومائة واثنتا عشرة سنة انتهى. وعليه فبين بناء القسطنطينية والهجرة ألف ومائتان وثلاث وستون سنة وبين بناء سورها والهجرة مائتان وإحدى وثمانون سنة. ونقل عن التاريخ الكامل لابن الأثير أن الملك قسطنطينوس لما بنى مدينة قسطنطينية سماها استنبول ومعناها بلغتهم دار الملك انتهى. والمشهور أنه سماها بالقسطنطينية. وفي التقريبات الشافعية أن الملك يستنبان بنى فيها كنيسة في القرن السادس قبل الميلاد وهو قرن ولادة المصطفى صلى الله عليه وسلم فاشتهرت عند العامة باسم بنته

صوفية. فلما فتحت إسلامبول بالإسلام جعلوها مسجدا وسموها أيا صوفيا انتهى. ولعل هذا أقرب إلى التحقيق وأيا بفتح الهمزة والياء بعدها مخففة ومعناه على ما سمعت خانم أي سيدة جليلة كقولهم خاتون وهذه الكنيسة على ما رأيت في بعض الكتب معمارها من أهل بابل فإن الحضارة فيهم أقدم وأتم وسمعت أنها كانت من." (١)

"أيفرض غسلها عند التوضي ... نعم فرض بلا شك وريب

بإجماع وإن الخلف فيمن ... له خف تخففها بنهب

فعند أبي حنيفة جاز مسح ... عليها كالتي ملكت بكسب

وأحمد لا يجيز المسح فيها ... كذا عن كتبه نقلوه صحبي

وصورة غصب رجل إن شخصا ... تعمد ضرب إنسان بغضب

فقد الرجل منه فاستحقت ... لقطع رجله في حكم ربي

ففر ولم يمكنه قصاصا ... وباء بخيبة وعظيم ذنب

وفي إطلاق مغصوب عليها ... مساهلة يراها كل ندب

ودم مولاي أعلى من ذويك ال ... كرام الغر كعبا أي كعب

فتسعى نحو كعبتك المعالي ... كما يسعى إلى الحرم الملبي

تنادي لا على قدمي أسعى ... إليها بل على رأسي ولبي

ومن الغريب ما رأيته في بعض كتب الحنابلة من الخلاف في صحة صلوة من وجب عليه قطع اليد للسرقة أو نحوها ولم يمكن منه.) نعم (الصحيح عندهم الصحة واتفقوا على عدم صحة الصلوة في الثوب المغصوب أو الأرض المغصوبة. والمسألة مفصلة في كتب الأصول والفروع والله تعالى أعلم.

) ومنها (ما جرى في سؤال سأله بقوله:

يا أيها المفتي الذي ... علم الفروع له انتسب

أي احتلام يعتري ... والغسل منه ما وجب

فقلت:

مولاي ذا الفضل الذي ... منه الورى نالوا الأدب

ذاك احتلام أول ... به البلوغ قد وجب

---

(١) غرائب الاغتراب الألوسي، شهاب الدين ص/٥٢

وذاك في قول لهم ... ما سامه ذوو الرتب

وفيه إشارة إلى أن القول بعدم وجوب الغسل بأول مني خارج تحقق به البلوغ لا يعول عليه. والأصح) كما في إمداد الفتاح وغيره (وجوب الغسل منه. ومن الناس من أجاب بأن ذاك احتلام انتبه صاحبه فمسك ذكره حتى هدأت شهوته ثم أطلقه فسأل المنى بلا شهوة. وأنت تعلم أن في عدم وجوب الغسل في هذه الصورة خلافا أيضا فلا تغفل.

) ومنها (ما جرى في سؤال سأله بقوله:

يا أيها المفتي الذي ... بعلمه له العمل

للمرء هل شكر إذا ... طعام ظالم أكل

فأجبت على غير ذلك البحر:

أمولاي إن الشكر للمرء قد أتى ... على الرزق نصا وهو للسحت قد شمل

وخارف في ذاك الشمول جماعة ... وقولهم قد رده السادة الول

فلا بأس في شكر امرئ ربه على ... طعام لذي ظلم دعاه إذا أكل

وسألت الواعظ أيضا فأطال في الجواب ومنه قوله:

يا أيها المولى الذي ... بفضله فاق الأول

سألت عن شكر امرئ ... طعام ظالم أكل

نعم يجوز شكره ... وإن يكن ذا غير حل

ذكره في قنية ... ورد محتار نقل

ذلك عنها وهي لا ... تخفى على من قد سأل

انتهى المراد منه. ثم أنه قد خاض في أمر التسمية على الحرام وذكر أنه كفر ثم أبدى الفرق بين التسمية على الحرام والشكر عليه بأن التسمية قد شرعت في أول الأمر ذي البال والمحرم ليس منه مع أنه قد حظرها الشارع فيه والشكر قد شرع على الرزق والحرام منه عند أهل السنة خلافا للمعتزلة. وأنا أقول في أمر التسمية على الحرام أنه قد شاع الإكفار بالتسمية غليه والذي اطلعت عليه من تتبع كتب الحنفية والشافعية أن المسألة خلافية فيها عدة أقوال) أحدها (ما سمعت) وثانيها (أن الحرمة إن كانت أصلية كحرمة لحم الخنزير وحرمة الخمر فالتسمية على الذي فيه الحرمة كذلك كفر وإن كانت غير أصلية كحرمة الخبز واللحم المغصوب فالتسمية على المحرم بها ليست بكفر وإنما هي مكروهة) نعم (يكفر بالتسمية إذا قصد

الاستخفاف لكن هذا أمر آخر) وثالثها (إن التسمية على الحرام مطلقا وعلى المكروه مكروهة ولا يلزم من كون المحرم غير ذي بال كون التسمية عليه كفرا. فحمل تبنة مثلا من الأرض كذلك. مع أن التسمية عليه ليست بكفر إجماعا. ويخطر لي أني **رأيت في بعض الكتب** أن هذا هو القول المصحح عند الشافعية وإلى هذا القول أميل. وإياه أختار. ولا شيء عندي أخطر من الإكفار. وساداتنا الحنفية قد تساهلوا في أمره حتى أن منهم من أكفر القائل لمن في الباب أو لمن حظر طعاما مثلا باسم الله كما اعتاده كثير من الناس والحق أن ذلك ليس من الكفر في شيء ومثل ذلك عندهم كثير. مع تصريحهم بأن أمر الإكفار خطير. والله تعالى أعلم.

) ومنها (ما جرى في سؤال سأله بقوله:." (١)

"إلى الفرات. والمرة الثانية أسره الروم على منبج في شوال سنة احدى وخمسين وحملوه إلى قسطنطينية. وأقام في الأسر أربع سنين وله في الأسر أشعار كثيرة مثبتة في ديوانه. وكانت مدينة منبج إقطاعا له ومن شعره:

قد كنت عدتي التي أسطو بها ... ويدي إذا اشتد الزمان وساندي

فرميت منك بضد ما أملته ... والمرء يشرق بالزلال البارد

فصبرت كالولد التقي لبره ... أغضى على ألم لضرب الوالد

ومحاسن شعره كثيرة. وقتل في واقعة جرت بينه وبين موالي أسرته في سنة سبع وخمسين وثلاثمائة. ورأيت في ديوانه أنه لما حضرته الوفاة كان ينشد مخاطبا ابنته:

أبنيتي لا تجزعي ... كل الأنام إلى ذهاب

نوحي علي بحسرة ... من خلف سترك والحجاب

قولي إذا كلمتني ... فعييت عن رد الجواب

زين الشباب أبو فرا ... س لم يمتع بالشباب

هذا يدل على أنه لم يقتل أو يكون قد جرح وتأخر موته ثم مات من الجراحة (اليتيمة للثعالبي)

أبو نواس (١٤٥ - ١٩٨ هجري) (٧٦٣ - ٨١٤ م)

هو أبو علي الحسن بن هانئ المعروف بأبي نواس الحكمي الشاعر المشهور ولد بالبصرة ونشأ بها ثم خرج

---

(١) غرائب الاغتراب الألوسي، شهاب الدين ص/٢٠٨

إلى الكوفة ثم صار إلى بغداد فاستحلاه والبة بن الحباب. ورأى فيه مخايل النجابة فصار أبو نواس معه. وروي أن الخصيب صاحب ديوان الخراج بمصر سأل أبا نواس عن نسبه فقال: أغناني أدبي عن نسبي. فأمسك عنه. قال إسماعيل بن نوبخت: ما رأيت قط أوسع علما من أبي نواس ولا أحفظ منه مع قلة كتبه. وهو في الطبقة الأولى من المولدين وشعره عشرة أنواع وهو مجيد في العشرة. وقد اعتنى بجمع شعره جماعة من الفضلاء منهم أبو بكر الصولي وعلي بن حمزة فلهذا يوجد ديوانه مختلفا ومع شهرة ديوانه لا حاجة إلى ذكر شيء منه. **ورأيت في بعض الكتب** أن المأمون كان يقول: لو وصفت الدنيا نفسها لما وصفت بمثل قول أبي النواس:

ألا كل حي هالك وابن هالك ... وذو نسب في الهالكين عريق

إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت ... له عن عدو في ثياب صديق

وكان محمد الأمين قد سخط على أبي نواس لقضية جرت له معه فتهدده بالقتل وحبسه. فكتب إليه من السجن:

بك أستجير من الردى ... متعوذا من سطو باسك

وحياة رأسك لا أعو ... د لمثلها وحياة راسك

من ذا يكون أبا نوا ... سك إن قتلت أبا نواسك." (١)

"الزجل:

قال ابن خلدون: ولما شاع فن التوشيح في أهل الأندلس وأخذ به الجمهور لسلاسته وتنميق كلامه وترصيع أجزائه، نسجت العامة من أهل الأمصار على منواله ونظموا في طريقته بلغتهم الحضرية، من غير أن يلتزموا فيها إعرابا، واستحدثوا فنا سموه بالزجل، والتزموا النظم فيه على مناحيهم فجاءوا فيه بالغرائب، واتسع فيه للبلاغة مجال بحسب لغتهم المستعجمة. وأول من أبدع في هذه الطريقة الزجلية، أبو بكر بن قزمان، وإن كانت قيلت قبله بالأندلس، ولكن لم تظهر حلاها ولا انسكبت معانيها واشتهرت رشاقتها إلا في زمانه، وكان لعهد الملثمين "أول القرن الثامن" وهو إمام الزجالين على الإطلاق ا. هـ.

ورأيت في بعض الكتب أن ابن قزمان هذا أول من تكلم بالزجل، وسبب ذلك أنه وهو في المكتب عشق بعض الصبيان، فرفع أمره للمؤدب فزجره ومنعه من مجالسة الصبي، فكتب في لوحه:

الملاح ولاد أماره ... [ولاوحاش] ولا نصاره

---

(١) مجاني الأدب في حدائق العرب لويس شيخو ٦/٣٠٢

وابن قزمان جا يغفر ... ما قبلوا الشيخ غفاره

فاطلع عليه المؤدب [فقال] : قد هجوتنا بكلام مزجول، فيقال إنه سمي زجلا من هذه الكلمة.

ولست أثبت هذه الرواية ولا أنفيها؛ أما ابن قزمان فهو الوزير الكاتب أبو بكر بن قزمان، اشتمل عليه المتوكل على الله صاحب بطليوس في أواخر القرن الخامس، فاقتطع في دولته أسمى الرتب، وهو شاعر بليغ وصفه الفتح ابن خاقان في القلائد بأنه "مبرز في البيان، ومحرز للسبق عند تسابق الأعيان" وقال لسان الدين بن الخطيب: كان ابن قزمان نسيج وحده أدبا وظرفا ولوذعية.... وكان أديبا بارعا حلو الكلام مليح النثر مبرزا في نظم الزجل، قال: وهذه الطريقة الزجلية بديعة تتحكم فيها ألقاب البديع وتنفسح لكثير مما يضيق على الشاعر سلوكه، وبلغ فيها أبو بكر رحمه الله مبلغا حجره الله عمن سواه، فهو آيتها المعجزة، وحجتها البالغة، وفارسها المعلم "والمبتدي فيها والمتمم" ص٣٥٦ ج٢: نفح الطيب.

وقد شاعت أزجال ابن قزمان وأولع بها الناس خصوصا المشارقة، حتى كانت في القرن السابع كما قال ابن سعيد العربي، مروية في بغداد أكثر مما هي في حواضر المغرب. واشتهر مع ابن قزمان من معاصريه بهذه الطريقة عيسى البليدي، وأبو عمرو بن الزاهر الأشبيلي، وأبو الحسن المقري [الداني] وأبو بكر بن [مدين] ، وكان في عصرهم بشرق الأندلس مخلف الأسود، إلا أن إمامهم المجمع عليه إنما هو ابن قزمان. ثم جاءت بعد هؤلاء حلبة كان سابقها عبد الله بن الحاج المعروف بمدغليس، وهو خليفة ابن قزمان في زمانه وقد وقعت له العجائب في هذه الطريقة، وامتاز عن ابن قزمان بصنعة ألفاظه حتى طارت شهرته بذلك، وكان أهل الأندلس يقولون: ابن قزمان في الزجالين بمنزلة المتنبي في الشعراء، ومدغليس بمنزلة أبي تمام، بالنظر إلى الانطباع والصناعة، فابن قزمان." (١)

"قال المهدوي: وأفهم الله تعالى النملة هذا لتكون معجزة لسليمان. وقال وهب: أمر الله تعالى الريح ألا يتكلم أحد بشيء إلا طرحته في سمع سليمان، بسبب أن الشياطين أرادت كيده. وقد قيل: إن هذا الوادي كان ببلاد اليمن وأنها كانت نملة صغيرة مثل النمل المعتاد، قاله الكلبي. وقال نوف الشامي وشقيق بن سلمة: كان نمل ذلك الوادي كهيئة الذئاب في العظم. وقال بريدة الأسلمي: كهيئة النعاج. قال محمد بن علي الترمذي: فإن كان على هذه الخلقة فلها صوت، وإنما افتقد صوت النمل لصغر خلقها، وإلا فالأصوات في الطيور والبهائم كائنة، وذلك منطقهم، وفي تلك المناطق معاني التسبيح وغير ذلك، وهو قوله تعالى:" وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم «١» ". قلت: وقوله" لا يحطمنكم"

---

(١) تاريخ آداب العرب الرافعي ، مصطفى صادق ١١٤/٣

يدل على صحة قول الكلبي، إذ لو كانت كهيئة الذئاب والنعاج لما حطمت بالوطي، والله أعلم. وقال:" ادخلوا مساكنكم" فجاء على خطاب الآدميين لأن النمل هاهنا أجري مجرى الآدميين حين نطق كما ينطق الآدميون. قال أبو إسحاق الثعلبي: **ورأيت في بعض الكتب** أن سليمان قال لها لم حذرت النمل؟ أخفت ظلمي؟ أما علمت أني نبي عدل؟ فلم قلت:" يحطمنكم سليمان وجنوده" فقالت النملة: أما سمعت قولي" وهم لا يشعرون" مع أني لم أرد حطم النفوس، وإنما أردت حطم القلوب خشية أن يتمنين مثل ما أعطيت، أو يفتتن بالدنيا، ويشغلن بالنظر إلى ملكك عن التسبيح والذكر. فقال لها سليمان: عظيني. فقالت النملة: أما علمت لم سمي أبوك داود؟ قال: لا. قالت: لأنه داوى جراحة فؤاده، هل علمت لم سميت سليمان؟ قال: لا. قالت: لأنك سليم الناحية على ما أوتيته بسلامة صدرك، وإن لك أن تلحق بأبيك «٢». ثم قالت: أتدري لم سخر الله لك الريح؟ قال: لا. قالت: أخبرك أن الدنيا كلها ريح. (فتبسم ضاحكا من قولها) متعجبا ثم مضت مسرعة إلى قومها، فقالت: هل عندكم من شي نهديـه إلى

(١). راجع ج ١٠ ص ٢٦٦ فما بعد.

(٢). العبارة في" قصص الأنبياء" للثعلبي:" قالت لأنك سليم ركنت إلى ما أوتيت بسلامة صدرك، وحق لك أن تلحق بأبيك داود".." (١)

"لهذه الاستخارة المنامية أدعية مختلفة. منها ما سمعته في الآثار. ومنها غير ذلك فقد **رأيت في بعض الكتب** أنه يقول بعد الصلوة والدعاء الوارد اللهم يا هادي اهدني ويا عليم علمني ويا مبين بين لي ويا خبير خبرني عن أمري ويسميه وينام على وضوء مستقبل القبلة وفي بعضها زيادة واضعاً خده على كف يده اليمنى وهو مما لا بأس به والاقتصار على الوارد أولى)نعم(الطامة الكبرى ما ذكره ابن خلدون في كتابه المشهور وسماه بحطومة الانطباع التام وذكر أنه يقرأ عند النوم بعد فراغ السر وصحة التية فيرى القارئ ما يرى وهو تماغس بعد أن يسوادد أغداس نوفنا تمادس. وذلك فإن هذه الأسماء مجهولة المعنى لم ترو قراءتها ولا الأمر بها عن المعصوم عليه الصلوة والسلام وقد صرحوا بحرمة قراءة مثل ذلك لعدم الأمن من تضمنه محظوراً ولا أقل من الكراهة وندب الترك لخبر يدع ما يريبك إلى ما يريبك)ومن الاستخارات الشائعة(،الاستخارة بالقرآن ويسمونها تفاؤلاً ولهم فيها كيفيات شتى والظاهر أن ذلك مما لا دليل على مشروعيته. وفي شرح فقه الأكبر لعلي القارئ ما نصه ومن جملة علم الحروف فال المصحف حيث يفتحونه

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٧١/١٣

وينظرون في أول صفحة أي حرف وافقه وكذا في سابع الورقة السابعة فإذا جاء حرف من الحروف المركبة من تشخلاكم حكموا بأنه غير مستحسن وفي سائر الحروف بخلاف ذلك. وقد خرج ابن العجمي في منسكه قال ولا يؤخذ الفال من المصحف قال العلماء اختلفوا في ذلك فكرهه بعضهم وأجازه بعضهم ونص المالكية على تحريمه انتهى. ولعل من أجاز أو كره من اعتمد على المعنى ومن حرمه من اعتبر حروف المبنى فإنه في معنى الاستقسام بالأزلام انتهى كلام القاري. والذي أميل إليه الكراهة مطلقاً ولا يبعد القول بالحرمة كذلك فتأمل)ومن البدع(ما يستعمله الشيعة من التفاؤل بالسبحة ونحوها على سائر الكيفيات المعروفة بينهم وكذا ما يفعله كثير من الناس من التفاؤل بديوان الحافظ الشيرازي قدس سره وقد تفاؤل لي بعض أصحابي يوم عزيمتي على السفر فخرج قوله:

كل بر در ومي در كف ومعشوقة بكامست ... سلطان جهانم بجينين روز غلامستِ

حافظ منشين بي مي معشوقة زماني ... أيام كل وياسمين وعيد صيامست

)وللعوام تفاؤلات بغير ذلك(من أقدمها التفاؤل بالطيور وكانت الجاهلية تفاؤل بأسمائها وأصواتها وأحوالها وتتشاءم بذلك وعليه قول ذي الرمة:

رأيت غراباً ساقطاً فوق قضبة ... من القضب لم ينبت لها ورق خضر

فقلت غراب لاغتراب وقضبة ... لقضب النوى هذي العيافة والزجر

وهبت جنوب باجتنابك منهم ... ونفح الصبا تلك الصبابة والهجر

وقول كثير عزة:

رأيت غراباً ساقطاً فوق بانة ... ينتف أعلى ريشه ويطايره

فقلت ولو أني أشاء زجرته ... بنفسي للنهدي فهل أنت زاجره

فقال غراب لاغتراب من النوى ... وفي البان بين من حبيب تحاوره

فما أعيف النهدي لا در دره ... وأزجره للطير لا عز ناصره

وقول بعضهم:

دعا صرد يوماً على غصن بانة ... وصاح بذات البين منها غرابها

فقلت أتصريد وشحط وغربة ... فهذا لعمري نأيها واغترابها

ومثل ذلك الطرق بالحصى والتشاؤم بالعطاس إلى أمور كثيرة من هذا الباب ولله تعالى در من قال:

لعمرك ما تدري الطوارق بالحصى ... ولا زاجرات الطير ما الله صانع

وقال صابي بن الحرث البرجمي:

وما أنا ممن يزجر الطير همه ... أصاح غراب أم تعرض ثعلب

ولا السانحات البارحات عشية ... أمر سليم القرن أم مر أعضب

وقال شاعر قديم:

لا يمنعنك من بغاء الخ ... ير تعقاد التمائم

ولا التشأم بالعطا ... س ولا التيامن بالمقاسم

ولقد غدوت وكنت لا ... أغدو على واق وحائم

فإذا الأشايم كالأيا ... من والأيامن كالأشايم

وكذاك لا خير ولا ش ... ر على أحد بدائم

قد خط ذلك في الزبو ... ر الأوليات القدائم." (١)

"وعطرت هناك أردان وحدتي. بنفحة رسالة ذكرت فيها إلى الريحانتين نسبتي. مع ذكر نسبة آخرين. غدوا في البلاد متفرقين. وبعد عدة أيام دخلت القسطنطينية. وبلغت من الحلول فيها الأمنية. وهي بضم القاف وسكون السين المهملة وفتح الطاء الأولى وقد تضم وبعدها نون ثم طاء مكسورة وبعدها ياء ساكنة ثم نون بعدها ياء مشددة وقد تسقط هذه الياء فيقال قسطنطينة. قال الشيخ رفاعة في التقريبات الشافية لمريد الجغرافية كانت هذه المدينة في سالف الأعصر قرية من قرى طراسة التي هي الآن روملي وكانت تسمى ليغوس ثم صارت بعد نزول قبائل اليونان تسمى بيزنطيا)ولما(صارت تحت مملكة الرومانيين سمين نيي روما أي رومة الجديدة ثم أبدلوا هذا الاسم بالقسطنطينية. وفي كتب تواريخ المسقو تسمى زرغورود يعني المدينة الملكية والبلغار والأولاف يسمونها زرعوراد وأهل جزيرة أسلندة والسكندناوية كانوا يسمونها في القرن العاشر من تاريخ الميلاد مكلا غرد أي المدينة الكبيرة)وأما إسلامبول(فلفظ مركب من كلمة يونانية وكلمة عربية والمراد مدينة الإسلام انتهى. وفي القاموس أنها تسمى بوزنطيا وفي موضع آخر منه أنها تسمى فروق أيضاً. وذكر ماغريفوريوس في مختصر الدول أن قسطنطينوس قصر القاهر ملك اثنتين وثلاثين سنة وفي السنة الثانية له ملك على الفرس ابور بن هرمز واستمر تسعاً وستين سنة وفي السنة الثالثة بنى لبوزنطيا سوراً وزاد في ساحتها أربعة أميال وسماها قسطنطينية ونقل الملك إليها. وفي السنة السابعة استعد لغزو مكسانطيس بن بنت يوز فيلطيانس لأنه لم يبايعه وغلب على رومية وكان قسطنطينيوس يفكر إلى من

---

(١) غرائب الاغتراب، ص/١٩

يلجئ أمره في هذا فبينما هو كذلك رفع رأسه إلى السماء نصف النهار فرأى راية الصليب في السماء مثل النور وقد كتب فيها بهذا الشكل تغلب فصاغ له صليباً من الذهب وكان يرفعه على رأس رمح ثم أنه غزا رومية فخرج إليها مكسانطيس فوقع في نهر واختنق وافتتح قسطنطينيوس مدينة رومية وبنى في القسطنطينية بيعة عظيمة وسماها أجياسوفيا أي حكمة القدوس. وفي أيامه حاصر سابور مدينة نصيبين ثلاثين يوماً وبدعاء أسقفها مر يعقوب وتلميذه مارا فريم رحل عنها خائباً ومات قسطنطينوس سنة اثنتين وأربعين وستمائة للإسكندر يوم الأحد لثمان بقين من أيار وكان قد قسم ملكه بين بنيه الثلاث فأعطى ابنه الكبير المسمى قسطنطينوس مصر والشام وما بين النهرين وأرمينية وأعطى ابنه الأوسط المسمى قطنطيس مصر والشام وما بين النهرين وأرمينية وأعطى ابنه الصغير المسمى قسطوس رومية وسفاينا وما يليها من ناحية المغرب ووقع بين هذا والكبير حرب فقتل الكبير في ذلك الحرب. وكان له ابنان غالوس ويوليانس فنصب صاحب مصر غالوس على القسطنطينية مكان أبيه فعصاه فسير عليه جيشاً عظيماً فقتله ونصب أخاه يوليانس مكانه وبعد قليل قتل قسطوس صاحب رومية ومات قسطنطيس صاحب مصر والشام فاستقل يوليانس بجميع الممالك انتهى. وفي القانون المسعودي أنه بنيت بوزنطيا في أيام سنحاريب الصغير من ملوك بابل لأربعة آلاف وثمانمائة وتسع وأربعين سنة من لدن آدم عليه السلام وجاء قسطنطينوس المظفر ولد امرأة اسمها هيلالي لخمسة آلاف وثمانمائة وعشرين سنة من لدن آدم عليه السلام وتنصر ولثلاث من ملكه بنى سوراً لقسطنطينية وانتقل إليها من رومية. ومن لدن آدم عليه السلام إلى الهجرة النبوية على مهاجرها أفضل الصلوة وأكمل التحية ستة آلاف سنة ومائة واثنتا عشرة سنة انتهى. وعليه فبين بناء القسطنطينية والهجرة ألف ومائتان وثلاث وستون سنة وبين بناء سورها والهجرة مائتان وإحدى وثمانون سنة. ونقل عن التاريخ الكامل لابن الأثير أن الملك قسطنطينوس لما بنى مدينة قسطنطينية سماها استنبول ومعناها بلغتهم دار الملك انتهى. والمشهور أنه سماها بالقسطنطينية. وفي التقريبات الشافعية أن الملك يستنبان بنى فيها كنيسة في القرن السادس قبل الميلاد وهو قرن ولادة المصطفى صلى الله عليه وسلم فاشتهرت عند العامة باسم بنته صوفية. فلما فتحت إسلامبول بالإسلام جعلوها مسجداً وسموها أيا صوفيا انتهى. ولعل هذا أقرب إلى التحقيق وأيا بفتح الهمزة والياء بعدها مخففة ومعناه على ما سمعت خانم أي سيدة جليلة كقولهم خاتون وهذه الكنيسة على ما رأيت في بعض الكتب معمارها من أهل بابل فإن الحضارة فيهم أقدم وأتم وسمعت أنها كانت من." (١)

---

(١) غرائب الاغتراب، ص/٥٢

"أيفرض غسلها عند التوضي ... نعم فرض بلا شك وريب

بإجماع وإن الخلف فيمن ... له خف تخففها بنهب

فعند أبي حنيفة جاز مسح ... عليها كالتي ملكت بكسب

وأحمد لا يجيز المسح فيها ... كذا عن كتبه نقلوه صحبي

وصورة غصب رجل إن شخصاً ... تعمد ضرب إنسانٍ بغضب

فقد الرجل منه فاستحقت ... لقطع رجله في حكم ربي

ففر ولم يمكنه قصاصاً ... وباء بخيبة وعظيم ذنب

وفي إطلاق مغصوبٍ عليها ... مساهلة يراها كل ندب

ودم مولاي أعلى من ذويك ال ... كرام الغر كعباً أي كعب

فتسعى نحو كعبتك المعالي ... كما يسعى إلى الحرم الملبي

تنادي لا على قدمي أسعى ... إليها بل على رأسي ولبي

ومن الغريب ما رأيته في بعض كتب الحنابلة من الخلاف في صحة صلوة من وجب عليه قطع اليد للسرقة أو نحوها ولم يمكن منه.)نعم(الصحيح عندهم الصحة واتفقوا على عدم صحة الصلوة في الثوب المغصوب أو الأرض المغصوبة. والمسألة مفصلة في كتب الأصول والفروع والله تعالى أعلم.

)ومنها(ما جرى في سؤال سأله بقوله:

يا أيها المفتي الذي ... علم الفروع له انتسب

أي احتلام يعتري ... والغسل منه ما وجب

فقلت:

مولاي ذا الفضل الذي ... منه الورى نالوا الأدب

ذاك احتلام أول ... به البلوغ قد وجب

وذاك في قولٍ لهم ... ما سامه ذوو الرتب

وفيه إشارة إلى أن القول بعدم وجوب الغسل بأول مني خارج تحقق به البلوغ لا يعول عليه. والأصح)كما في إمداد الفتاح وغيره(وجوب الغسل منه. ومن الناس من أجاب بأن ذاك احتلام انتبه صاحبه فمسك ذكره حتى هدأت شهوته ثم أطلقه فسأل المنى بلا شهوة. وأنت تعلم أن في عدم وجوب الغسل في هذه الصورة خلافاً أيضاً فلا تغفل.

)ومنها(ما جرى في سؤال سأله بقوله:

يا أيها المفتي الذي ... بعلمه له العمل

للمرء هل شكر إذا ... طعام ظالم أكل

فأجبت على غير ذلك البحر:

أمولاي إن الشكر للمرء قد أتى ... على الرزق نصاً وهو للسحت قد شمل

وخالف في ذاك الشمول جماعة ... وقولهم قد رده السادة الول

فلا بأس في شكر امرئٍ ربه على ... طعام لذي ظلم دعاه إذا أكل

وسألت الواعظ أيضاً فأطال في الجواب ومنه قوله:

يا أيها المولى الذي ... بفضله فاق الأول

سألت عن شكر امرئٍ ... طعام ظالم أكل

نعم يجوز شكره ... وإن يكن ذا غير حل

ذكره في قنيةٍ ... ورد محتار نقل

ذلك عنها وهي لا ... تخفى على من قد سأل

انتهى المراد منه. ثم أنه قد خاض في أمر التسمية على الحرام وذكر أنه كفر ثم أبدى الفرق بين التسمية على الحرام والشكر عليه بأن التسمية قد شرعت في أول الأمر ذي البال والمحرم ليس منه مع أنه قد حظرها الشارع فيه والشكر قد شرع على الرزق والحرام منه عند أهل السنة خلافاً للمعتزلة. وأنا أقول في أمر التسمية على الحرام أنه قد شاع الإكفار بالتسمية غليه والذي اطلعت عليه من تتبع كتب الحنفية والشافعية أن المسألة خلافية فيها عدة أقوال)أحدها(ما سمعت)وثانيها(أن الحرمة إن كانت أصلية كحرمة لحم الخنزير وحرمة الخمر فالتسمية على الذي فيه الحرمة كذلك كفر وإن كانت غير أصلية كحرمة الخبز واللحم المغصوب فالتسمية على المحرم بها ليست بكفر وإنما هي مكروهة)نعم(يكفر بالتسمية إذا قصد الاستخفاف لكن هذا أمر آخر)وثالثها(إن التسمية على الحرام مطلقاً وعلى المكروه مكروهة ولا يلزم من كون المحرم غير ذي بال كون التسمية عليه كفراً. فحمل تبنة مثلاً من الأرض كذلك. مع أن التسمية عليه ليست بكفرٍ إجماعاً. ويخطر لي أني **رأيت في بعض الكتب** أن هذا هو القول المصحح عند الشافعية وإلى هذا القول أميل. وإياه أختار. ولا شيء عندي أخطر من الإكفار. وساداتنا الحنفية قد تساهلوا في أمره حتى أن منهم من أكفر القائل لمن في الباب أو لمن حظر طعاماً مثلاً باسم الله كما اعتاده كثير من

الناس والحق أن ذلك ليس من الكفر في شيءٍ ومثل ذلك عندهم كثير. مع تصريحهم بأن أمر الإكفار خطير. والله تعالى أعلم.

)ومنها(ما جرى في سؤال سأله بقوله:." (١)

"فهذه جمل البحار، وعند أكثر الناس أنها أربعة في المعمور من الأرض، ومنهم من يعدها خمسة، ومنهم من يجعلها ستة، ومنهم من يرى أنها سبعة منفصلة غيرمتصلة، وعلى أنها ستة فأولها البحر الحبشي، ثم الرومي، ثم نيطش، ثم ما نطش، ثم الخزري، ثم أوقيانوس الذي لا يعلم أكثر نهاياته، وهو الأخضر المظلم المحيط، وبحر نيطش متصل ببحر ما نطش، ومنه خليج القسطنطينية الذي يصب إلى بحر الروم ويتصل به، على حسب ما ذكرنا، والرومي بدؤه من بحر أوقيانوس الأخضر؛ فيجب على هذا القياس أن يكون ما وصفنا بحرا واحدا لاتصال مياهها، وليست هذه المياه ولا شيء منها والله أعلم متصله بشيء من بحر الحبش، فبحر نيطش وبحر مانطش يجب أن يكونا أيضا بحرا واحدا، وإن تضايق البحر في بعض المواضع يبنهما، أو صار بين الماءين كالخليج، وليست تسمية ما اتسع منه وكثرماؤه بمانطش، وما ضاق منه وقل ماؤه بنيطش، يمنع من أن تجمعهما في اسم مانطش أو نيطش، فإذا عبرنا بعد هذا الموضع في مبسوط هذا الكتاب فقلنا ما نطش أو نيطش، فإنما نريد به هذا المعنى فيما اتسع من البحر وضاق.قال المسعودي: وقد غلط قوم زعموا أن البحر الخزري يتصل ببحر ما يطس، ولم أر فيمن دخل بلاد الخزر من التجار ومن ركب منهم في بحر مايطس ونيطس إلى بلاد الروس والبلغر أحدا يزعم أن بحر الخزر يتصل ببحر من هذه البحار أو بشيء من مائها أومن خلجانها إلا من نهر الخزر، وسنذكر ذلك عند ذكرنا لجبل القبق ومدينة الباب والأبواب ومملكة الخزر وكيف دخل الروس في المراكب إلى بحر الخزر، وذلك بعد الثلثمائة، ورأيت أكثر من تعرض لوصف البحار ممن تقدم وتأخر يذكرون في كتبهم أن خليج القسطنطينية الآخذ من نيطش يتصل ببحر الخزر، ولست أدري كيف ذلك، ومن أين قالوه. أمن طريق الحدس أم من طريق الاستدلال والقياس. أو توهموا أن الروس ومن جاورهم على هذا البحر هو الخزر وقد ركبت فيه من أبسكون، وهو ساحل جرجان، إلى بلاد طبرستان، وغيرها، ولم أترك ممن شاهدت من التجار ممن له أدب وفهم ومن لا فهم عنده من أرباب المراكب إلا سألته عن ذلك، وكل يخبرني أن لا طريق له إليها إلا من بحر الخزر حيث دخلت إليه مراكب الروس، ونفر من أهل أذر بيجان والباب والأبواب وبردعة والديلم والجبل وجرجان وطبرستان إليها لأنهم لم يعهدوا عدوا يطرأ عليهم، ولا عرف ذلك فيما سلف، وما ذكرنا

---

(١) غرائب الاغتراب، ص/٢٠٨

فمشهور فيما سمينا من الأمصار والأمم والبلدان، سالك مسلك الاستفاضة **فيهم.ورأيت في بعض الكتب** المضافة إلى الكندي وتلميذه وهو أحمدابن الطيب السرخسي، صاحب المعتضد بالله أن في طرف العمارة من الشمال بحيرة عظيمة بعضها تحت قطب الشمال، وأن بقربها مدينة ليس بعدها عمارة، يقال لها تولية، ولقد رأيت لبني المنجم في بعض رسائلهم ذكر هذه البحيرة، وقد ذكر أحمد بن الطيب في رسالته في البحار والمياه والجبال عن ال كندي أن بحر الروم طوله ستة آلاف ميل من بلاد صور وطرابلس وأنطاكية واللاذقية والمثقب وساحل المصيصة وطرسوس وقلمية إلمنار هرقل، وأنا أعرض موضع فيه أربعمائة ميل، هذا قول الكندي وابن الطيب.وقد أتينا عيى قول الفريقين جميعا وما بينهما من الخلاف في ذلك من أصحاب الزيجات وما وجدناه في كتبهم وسمعناه من أتباعهم، ولم نذكر ما ذكروه من البراهين المؤيدة لما وصفا ة لاشتراطنا في هذا الكتاب على أنفسنا الاختصار والإيجاز.

مبادىء تكوين البحار

وأما ما تنازع فيه المتقدمون من أوائل اليونانيين والحكماء المتقدمين في مبادىء كون البحار وعللها فقد أتينا على مبسوطه في كتابنا أخبار الزمان في الفن الثاني من جملة الثلاثين فنا، وقد ذكرنا قول كل فريق منهم وعزونا كل قول من ذلك إلى قائله، ولم نخل هذا الكتاب من إيراد لمع من قولهم.وذهب طائفة منهم إلى أن البحر بقية من الرطوبة الأولى التي جفف أكثره ا جوهر النار، وما بقي منها إستحال لاحتراقه.ومنهم من قال: إن الرطوبة الأولى المجتمعة لما احترقت بدوران الشمس وانعصر الضف منها إستحال الباقي إلى ملوحة ومرارة.

ومنهم من رأى أن البحار عرق تعرقه الأرض لما ينالها من احتراق الشمس لاتصال دورها.." (١)

"قال القاضي أبو محمد **ورأيت في بعض الكتب** ان " أصحاب ا لأخدود " هو محرق وآله الذي حرق من بني تميم المائة ويعترض هذا القول بقوله تعالى " وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود " فينفصل على هذا الاعتراض بان هذا الكلام من قصة " أصحاب الأخدود " وان المراد بقوله " وهم " قريش الذين

---

(١) مروج الذهب، ٤٨/١

كانوا يفتنون المؤمنين والمؤمنات واختلف الناس في جواب القسم فقال بعض النحاة هو محذوف لعلم السامع به وقال آخرون هو في قوله تعالى " قتل " والتقدير لقتل وقال قتادة هو في قوله " إن بطش ربك لشديد " البروج ١٢ وقال آخرون هو في قوله " إن الذين فتنوا المؤمنين " البروج ١٠ وقوله تعالى " النار " بدل من " الأخدود " وهو بدل اشتمال وهي قراءة الجمهور (النار) بخفض الراء وقرا قوم (النار ذات) بالرفع على معنى قتلهم النار و (الوقود) بالضم مصدر من وقدت النار إذا اضطرمت و (الوقود) بفتح الواو ما توقد به وقرا الجمهور بفتح الواو وقرا الحسن وأبو رجاء وأبو حيوة بضمها وكان من قصة هؤلاء ان الكفار قعدوا وضم المؤمنون وعرض عليهم الكفر فمن أبى رمي في أخدود النار فاحترق فروي انه احرق عشرين الفا وقال الربيع بن انس وأصحابه وابن اسحاق وأبو العالية بعث الله تعالى على المؤمنين ريحا فقبضت أرواحهم او نحو هذا وخرجت النار فأحرقت الكافرين الذين كانوا على جانبي الأخدود وعلى هذا يجيء " قتل " خبر الادعاء وقال قتادة " إذ هم عليها قعود " يعني المؤمنين و " نقموا " معناه اعتدوا وقرا جمهور الناس (نقموا) بفتح القاف وقرا أبو حيوة وابن أبي عبلة (نقموا) بكسر القاف

قوله عز وجل

سورة البروج ١٠ - ١٦

" فتنوا " معناه احرقوا وفتنت الذهب والفضة في النار احرقتهما والفتين حجارة الحرة السود لأن الشمس كانها

أحرقتها ومن قال إن هذه الآيات الأواخر في قريش جعل الفتنة الامتحان والتعذيب ويقوي هذا التاويل بعض التقوية قوله تعالى " ثم لم يتوبوا " لأن هذا اللفظ في قريش احكم منه في اولئك الذين قد علم انهم ماتوا على كفرهم واما قريش فكان فيهم وقت نزول الآية من تاب بعد ذلك وآمن بمحمد صلى الله عليه وسلم و " جهنم " و " الحرق " طبقتان من النار ومن قال إن النار خرجت واحرقت الكافرين القعود جعل " الحريق " في الدنيا و (البطش) الأخذ بقوة وشرعة و " يبدىء ويعيد " قال الضحاك وابن زيد معناه " يبدىء " الخلق بالانشاء " ويعيد " بالحشر وقال ابن عباس ما معناه إن ذلك عام في جميع الأشياء فهي عبارة عن انه يفعل كل شيء إنه " يبدىء ويعيد " كلما ينعاد وهذا قسمان

٤٦٣

". (١)

---

(١) المحرر الوجيز . موافق للمطبوع، ٤٣٤/٥

"تصريح بأن النبي صلى الله عليه وسلم ساقها تفسيرا لهذه الآية والترمذي ساق حديثها في تفسير سورة البروج.

وعم مقاتل كان الذين اتخذوا الأخاديد في ثلاث من البلاد في نجران، وبالشام، وبفارس أما الذين بالشام ف انطانيوس الرومي وأما الذي بفارق فهو بختنصر والذي بنجران فيوسف ذو نواس ولنذكر القصة التي أشار إليها القرآن تؤخذ من سيرة ابن إسحاق على أنها جرت في نجران من بلاد اليمن، وإنه كان ملك وهو ذو نواس له كاهن أو ساحر. وكان للساحر تلميذ اسمه عبد الله بن الثامر وكان يجد في طريقه إذا مشى إلى الكاهن صومعة فيها راهب كان يعبد الله على دين عيسى عليه السلام ويقرأ الأنجيل اسمه فيميون بفاء، فتحتية، فميم. فتحتية وضبط في الطبعة الأوربية من "سيرة ابن إسحاق"-التي يلوح أن أصلها المطبوعة عليه أصل صحيح، بفتح فسكون فكسر فضم قال السهيلي: ووقع للطبري للقاف عوض الفاء. وقد يحرف فيقال ميمون بـميم في أوله وبتحتية واحدة أصله من غسان من الشام ثم ساح فاستقر بنجران، وكان منعزلا عن الناس مختفيا في صومعته وظهرت لعبد الله في قومه كرامات. وكانت كلما ظهرت له كرامة دعا من ظهرت لهم إلى أن يتبعوا النصرانية، فكثر المنتصرون في نجران وبلغ ذلك الملك ذا نؤاس وكان يهوديا وكان أهل نجران مشركين يعبدون نخلة طويلة، فقتل الملك الغلام وقتل الراهب وأمر بأخاديد وجمع فيها حطب وأشعلت، وعرض أهل نجران عليها فمن رجع عن التوحيد تركه ومن ثبت على الدين الحق قذفه في النار. فكان أصحاب الأخدود ممن عذب في أهل دين المسيحية في بلاد العرب. وقصص الأخاديد كثيرة في التاريخ، والتعذيب بالحرق طريقة قديمة، ومنها: نار إبراهيم عليه السلام. وأما تحريق عمرو بن هند مائة من بني تميم وتلقيبه بالمحرق فلا أعرف أن ذلك كان باتخاذ أخدود. وقال ابن عطية: رأيت في بعض الكتب أن أصحاب الأخدود هو محرق وآله الذي حرق من بني تميم مائة.

و ﴿الأخدود﴾ : بوزن أفعول وهو صيغة قليلة الدوران غير مقيسة، ومنها قولهم: أفحوص مشتق من فحصت القطاة والدجاجة إذا بحثت في التراب موضعا تبيض فيه، وقولهم أسلوب اسم لطريقة، ولسطر النحل، وأقنوم اسم لأصل الشيء. وقد يكون هذا الوزن مع هاء تأنيث مثل أكرومة، وأعجوبة، وأطروحة، وأضحوكة.

وقوله: ﴿النار﴾ بدل من الأخدود بدل اشتمال أو بعض من كل لأن المراد." (١)

"قال أبو عبيدة (١) : لقب المرعث لأنه كان في أذنه وهو صغير رعاث والرعاث القرطة واحدتها رعثة وجمعها رعاث، ورعثات الديك اللحم المتدلي تحت حنكه.

---

(١) التحرير والتنوير، ٢١٦/٣٠

قال محمد بن يزيد العجلي: سمعت الأصمعي يذكر أن بشارا كان أشد تبرما بالناس، وكان يقول: الحمد لله الذي أذهب بصري، فقيل له: ولم ذاك يا أبا معاذ فقال: لئلا أرى من أبغض. وكان يلبس قميصا له لبنتان فإذا أراد أن ينزعه نزعه من أسفله، وبذلك تسمى المرعث.

قال الأصمعي: ولد بشار أعمى فما نظر إلى الدنيا قط، وكان يشبه الأشياء في شعره بعضها ببعض فيأتي بما لا يقدر البصراء على أن يأتوا بمثله، فقيل له يوما وقد أنشد قوله:

كأن مثار النقع فوق رؤوسنا ... وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه ما قيل أحسن من هذا التشبيه، فمن أين لك هذا ولم تر الدنيا قط ولا شيئا فيها فقال: إن عدم النظر يقوي ذكاء القلب ويقطع عنه الشغل بما ينظر إليه من الأشياء فيتوفر حسه وتذكر قريحته.

وقال أبو العواذل زكريا بن هارون: قال لي بشار: لي اثنا عشر ألف قصيدة أفما في كل قصيدة بيت جيد وحكي عنه أنه قال: هجوت جريرا فأعرض عني ولو هجاني لكنت أشعر الناس.

وكان بشار يدين بالرجعة ويكفر الجميع من الأمم ويصوب رأي إبليس في تقديم النار على الطين، وقد ذكر ذلك في شعره حيث يقول:

الأرض مظلمة والنار مشرقة ... والنار معبودة مذ كانت النار **رأيت في بعض الكتب** أن عبد الله بن ظاهر لما قدم نيسابور صحبه من

(١) أكثر هذا من الأغاني ٣: ١٣٤ وما بعدها.." (١)

"وهو بالمسجد الجامع: أنت غير مدافع في الشعر ولكنك لا تخطب، فقام من فوره فقال مرتجلا:

نحلتكم يا أهل مصر نصيحتي ... ألا فخذوا من ناصح بنصيب

رماكم أمير المؤمنين بحية ... أكول لحيات البلاد شروب

فإن يك باقي إثم فرعون فيكم ... فإن عصا موسى بكف خصيب ثم التفت إليه وقال: والله لا يأتي بمثلها خطيب مصقع فكيف رأيت فاعتذر إليه وحلف: ما كنت إلا مازحا] (١) .

ورأيت في بعض الكتب أن المأمون كان يقول: لو وصفت الدنيا نفسها لما وصفت بمثل قول أبي نواس : (٢)

ألا كل حي هالك (٣) وابن هالك ... وذو نسب في الهالكين عريق

(١) وفيات الأعيان، ٤٢١/١

إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت ... له عن عدو في ثياب صديق والبيت الأول ينظر إلى قول امرئ القيس (٤) :

فبعض اللوم عاذلتي فإني ... سيكفيني التجارب وانتسابي

إلى عرق الثرى وشجت عروقي ... وهذا الموت يسلبني شبابي وقد سبق في ترجمة الحسن البصري نظير هذا المعنى.

وما أحسن ظنه بربه عز وجل حيث يقول (٥) :

[تكثر ما استطعت من الخطايا ... إذا كان القدوم على كريم وقال وهي من رواية أخرى:]

---

(١) زيادة من د.

(٢) ديوانه: ١٩٢.

(٣) الديوان: أرى كل حي هالكا.

(٤) ديوان امرئ القيس: ٩٧ - ٩٨.

(٥) لم ترد في باب الزهد من ديوانه.." (١)

"قليل الكلام كثير الخير مفيدا، أقام بدمشق مدة، واستوطن الموصل ورحل عنها إلى أصبهان، ثم عاد إلى الموصل، وأخذ عنه شيوخ ذلك العصر؛ وذكره الحافظ ابن السمعاني في كتاب " الذيل " وقال: إنه اجتمع به بدمشق (١) ، وسمع منه مشيخة أبي عبد الله الرازي، وانتخب عليه أجزاء، وسأله عن مولده، فقال: ولدت في سنة ست وثمانين وأربعمائة بمدينة قرطبة من ديار الأندلس، **ورأيت في بعض الكتب** أن مولده سنة سبع وثمانين، والأول أصح.

وكان شيخنا القاضي بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم المعروف بابن شداد قاضي حلب رحمه الله تعالى يفتخر برؤيته (٢) وقراءته عليه - وسيأتي ذلك في ترجمته إن شاء الله تعالى - وقال: كنا نقرأ عليه بالموصل ونأخذ عنه. وكنا نرى رجلا يأتي إليه كل يوم فيسلم عليه وهو قائم، ثم يمد يده إلى الشيخ بشيء ملفوف، فيأخذه الشيخ من يده، ولا نعلم ما هو، ويتركه ذلك الرجل ويذهب، ثم تقفينا ذلك فعلمنا أنها دجاجة مسموطة، كانت برسم الشيخ في كل يوم يبتاعها له ذلك الرجل ويسمطها ويحضرها، وإذا دخل الشيخ إلى منزله تولى طبخها بيده. وذكر في كتابه الذي سماه " دلائل الأحكام " أنه لازم القراءة

---

(١) وفيات الأعيان، ٢/٩٧

عليه إحدى عشرة سنة آخرها سنة سبع وستين وخمسمائة. وكان الشيخ أبو بكر القرطبي المذكور كثيرا ما ينشد مسندا إلى أبي الخير الكاتب الواسطي رواهما بالإسناد المتصل إليه أنهما له (٣) :

جرى قلم القضاء بما يكون ... فسيان التحرك والسكون

جنون منك أن تسعى لرزق ... ويرزق في غشاوته الجنين وقال: أنشدنا أبو الوفاء عبد الباقي بن وهب بن حسان قال: أنشدنا أبو عبد الله محمد بن منيع بمصر لنفسه:

لي حيلة فيمن ينم ... وليس في الكذاب حيله

---

(١) ص ر بر من: في دمشق.

(٢) ر: بروايته.

(٣) أنهما له: سقط من: ن ر بر من.." (١)

"علي بن عمر المشهور بالعقيبي الشيخ العارف بالله تعالى ابن الشيخ العارف بالله تعالى زين الدين نزيل دمشق المجمع على ولايته وكان حمويا وهو من أكبر تلامذة الشيخ علوان وكان أمره بالذهاب إلى دمشق فقدمها وسكن بمحلة العقيبة خارج دمشق عند جامع التوبة ولهذا لقب بالعقيبي وابنه علي هذا أدرك الشيخ علوان وولي مشيختهم بعد أخيه الشيخ محمد وكان له ذوق في بيان الخواطر إذا شكيت إليه وحكي أن الشهاب أحمد بن البدر الغزي لقيه يوما فقال له يا سيدي **رأيت في بعض الكتب** عن بعض السادة يا نفس هوني وعلى ما كانت الناس كوني وتأملت في ظاهر هذا الكلام فرأيته غير مسلم فقال له يا مولانا المراد بالناس الكاملون في الإنسانية مثل أبي بكر وعمر وأمثالهما فقال له الشهاب بارك الله تعالى فيك بهذا يزول إشكال هذا الكلام قال النجم في ترجمته لقيناه وصحبناه برهة من الزمان ودخلت عليه في مرض موته فسمعته يقول وهو في سكرات الموت يا سيدي يا حبيبي يا ربي والله إنك لتعلم أني أحبك ثم مات عشية ذلك اليوم وكان قد ضعف بصره في آخر عمره ويقال أنه أوفى على المائة سنة ومات في ليلة السبت سابع شهر ربيع الأول سنة إحدى بعد الألف ودفن عند أبيه بزاويتهم بمحلة العقيبة وكانت له جنازة مشهودة وجلس ولده الشيخ أبو الوفا مكانه بالزاوية يوم الثلاثاء رابع يوم دفنه واجتمعت عليه الفقراء.

علي بن عمر بن علي بن محمد فقيه بن عبد الرحمن بن الشيخ علي السيد العالم الهمام العلي القدر قال الشلي في ترجمته ولد بتريم وحفظ القرآن وعدة متون منها الإرشاد وعرض محفوظاته على مشايخه ثم

---

(١) وفيات الأعيان، ١٧٢/٦

اشتغل بتحصيل العلوم الشرعية والأدبية والصوفية وجد حتى عد من الفحول وتفقه على شافعي زمانه القاضي أحمد بن حسين بلفقيه وأخذ التفسير والحديث والمعاني والبيان عن العلامة أبي بكر بن عبد الرحمن بن شهاب الدين والعربية والفقه وغيرهما عن أحمد بن عمر عيديد والتصوف والحديث وغيرهما عن تاج العارفين الشيخ زين العابدين وابن أخيه عبد الرحمن السقاف وأخذ ذلك عن العارف بالله السيد علوي بن عبد الله العيدروس ولازمه وأكثر التردد إليه وكان جل انتفاعه به واعتنى به الشيخ علوي من بين أصحابه ورحل إلى وادي دوعن ووادي عمد وأخذ بهما عن أكابر العلماء ولبس الخرقة من مشايخه المشهورين وأذنوا له في الإلباس والإقراء ونفع الناس وبرع في عدة علوم إلا أن الفقه أشهر علومه والتصوف أكثر معلوماته وكان حسن المذاكرة كثير الفوائد كريما سخيا عفيفا ذكيا بصيرا بالأمور نظيف الثياب كثير البشاشة محبوبا لجميع الأنام مقبول الشفاعة وجمع كتبا كثيرة ووقفها على طلبة العلم بتريم وتوفي قبل الاكتهال في أوائل شوال سنة ثمان وثلاثين وألف ودفن بمقبرة زنبل رحمه الله تعالى.

علي بن عمر بن علي بن عبد الله بن عمر بن سالم بن محمد بن عمر بن علي بن أحمد بن الأستاذ الأعظم الفقيه المقدم اشتهر جده الأعلى بباعمر الولي العارف القطب قال الشلي في ترجمته ولد بمدينة ظفار ونشأ بها وحفظ القرآن واشتغل بالتحصيل فأخذ عن الشيخ عقيل بن عمران ولازمه في دروسه واعتنى به الاعتناء التام حتى وصل إلى رتبة السادة ثم قصد مكة فحج ثم دخل الهند وبلاد جاوة ثم رجع إلى وطنه وعظم قدره وأزال ما فيها من الفساد وانقادت لأمره أهل دائرتها وجلس للتدريس فقصده الناس ثم قصد مكة وأقام بها مدة وأخذ عن جمع كثير وأخذ عنه كثيرون قال الشلي وحضر بعض دروسي وسمع مني بقراءة غيره وأجزته بجميع مصنفاتي ومروياتي والبسته الخرقة ثم قصد المدينة وحصل له هناك غاية الإنعام وأخذ بها عن جماعة وأخذ عنه جماعة من المريدين ثم رجع إلى وطنه وهو فريد زمانه منحه الله تعالى حسن الأخلاق وحلما عظيما وغير ذلك من المحاسن وله نظم ونثر قلت لم يذكر له شيئا منهما وكانت وفاته بظفار في سنة ست وتسعين وألف.." (١)

"""""" صفحة رقم ١٧٠ """"""

- باب عسكر وعسكر

-

أما الأول بضم العين المهملة والكاف فهو

---

(١) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، ٢/٢٢٩

٤١٦٤ برح بن عسكر بن وتار وفد على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وشهد فتح مصر واختط بها قال ابن يونس ذكره سعيد بن عفير فقال حسكل قال ابن يونس ورأيت في بعض الكتب القديمة في النسب بخط ابن لهيعة برح بن عسكر وما علمت له رواية بمصر ولا بغيرها
وأما عسكر بفتح العين والكاف فهو." (١)

"٤٢ صدره سلعتان فكبرت وهللت وفزعت ويحي يضحك فقال بلسان فصيح زلق (أنا الزاغ أبو عجوه * أنا ابن الليث واللبوة) (أحب الراح والريحا * ن والنشوة والقهوة) (فلا غدري بدا يخشى * ولا يحذر لي سطوة) (ولي أشياء تستظرف * يوم العرس والدعوة) (فمنها سلعة في الظه * ر لا تسترها الفروه) (وأما السلعة الأخرى * فلو كان لها عروه) (لما شكت جميع النا * س فيها أنها ركوة) ثم قال يا كهل أنشدني شعرا غزلا فقال يحي قد أنشدك فأنشده فأنشدته (أغرك أن أذنبت ثم تتابعت * ذنوب فلم أهجرك ثم ذنوب) (وأكثرت حتى قلت ليس بصارمي * وقد يصرم الإنسان وهو حبيب) فصاح زاغ زاغ ثم طار وسقط في القمطر فقلت ليحي أعز الله القاضي وعاشق أيضا فقلت أيها القاضي ما هذا قال هو ما ترى وجه به صاحب اليمن إلى أمير المؤمنين وما رآه بعد وكتب كتابا لم أفضضه وأظنه ذكر فيه شأنه وحاله انتهى وقال ابن خلكان رحمه الله رأيت في بعض الكتب أن المأمون رحمه الله كان يقول لو وصفت الدنيا نفسها لما وصفت بمثل قول أبي نواس) (ألا كل حي هالك وابن هالك * وذو نسب في الهالكين عريق) (إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت * له عن عدو في ثياب صديق) انتهى وقال المأمون الإخوان ثلاث طبقات طبقة كالغذاء لا يستغنى عنه أبدا وهم إخوان الصفاء وإخوان كالدواء يحتاج إليهم في بعض الأوقات وهم الفقهاء وإخوان كالداء لا يحاج إليهم أبدا وهم المنافقون وكان سبب وفاة المأمون رحمه الله تعالى أنه جلس على شاطئ نهر السدون ودلى رجليه في مائه فأعجبه برد مائه وصفاؤه فقال لو أكلنا رطبا وشربنا من هذا الماء البارد لكان حسنا فلم يخرج الكلام من فيه إلا ومواقع حوافر خيل البريد أقبلت من ازاد وعليها حقائب." (٢)

" صدره سلعتان فكبرت وهللت وفزعت ويحيي يضحك فقال بلسان فصيح زلق

(أنا الزاغ أبو عجوه ** أنا ابن الليث واللبوة)

(أحب الراح والريحا ** ن والنشوة والقهوة)

---

(١) تكملة الإكمال، ١٧٠/٤

(٢) شذرات الذهب - ابن العماد، ٤١/٢

(فلا غدري بدا يخشى ** ولا يحذر لي سطوة)

(ولي أشياء تستظرف ** يوم العرس والدعوة)

(فمنها سلعة في الظهر لا تسترها الفروه)

(وأما السلعة الأخرى ** فلو كان لها عروه)

(لما شكت جميع النا ** س فيها أنها ركوة)

ثم قال يا كهل أنشدني شعرا غزلا فقال يحيى قد أنشدك فأنشده فأنشدته

(أغرك أن أذنبت ثم تتابعت ** ذنوب فلم أهجرك ثم ذنوب)

(وأكثرت حتى قلت ليس بصارمي ** وقد يصرم الإنسان وهو حبيب) فصاح زاغ زاغ ثم طار وسقط في القمطر فقلت ليحيى أعز الله القاضي وعاشق وضحك أيضا فقلت أيها القاضي ما هذا فقال هو ما ترى وجه به صاحب اليمن إلى أمير المؤمنين وما رآه بعد وكتب كتابا لم أفضضه وأظنه ذكر فيه شأنه وحاله انتهى وقال ابن خلكان رحمه الله **رأيت في بعض الكتب** أن المأمون رحمه الله كان يقول لو وصفت الدنيا نفسها لما وصفت بمثل قول أبي نواس

(ألا كل حي هالك وابن هالك ** وذو نسب في الهالكين عريق)

(إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت ** له عن عدو في ثياب صديق)

انتهى وقال المأمون الإخوان ثلاث طبقات طبقة كالغذاء لا يستغنى عنه أبدا وهم إخوان الصفاء وإخوان كالدواء يحتاج إليهم في بعض الأوقات وهم الفقهاء وإخوان كالداء لا يحتاج إليهم أبدا وهم المنافقون وكان سبب وفاة المأمون رحمه الله تعالى أنه جلس على شاطئ نهر السدون ودلى رجليه في مائه فأعجبه برد مائه وصفاؤه فقال لو أكلنا رطبا وشربنا من هذا الماء البارد لكان حسنا فلم يخرج الكلام من فيه إلا ومواقع حوافر خيل البريد أقبلت من ازاد وعليها حقائب

---

(١) ".

"قال ابن القوطية: لما توفي المصعب بن عمران القاضي، استشار الأمير الحكم فيمن يستقضيه، فأجمع له وزراؤه وأعلام الناس، على محمد، بن بشير كاتب المصعب، وكان قد شهر عفافه واستقلاله بعهد المصعب، فولاه القضاء. فأثر على المصعب، وبعد في الفضل والعدل وصيته، وخلدت آثاره بعد. فلم يزل

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب - مفهرس، ٤٢/٢

قاضيا إلى أن توفي فولي ابنه سعيد مكانه، قال ابن حارث: **رأيت في بعض الكتب**، أن ابن بشير لما وجه فيه، عدل في بعض طريقه إلى صديق له عابد، فنزل عليه، وتحدث معه في شأن نفسه، وتوقعه أنه وجه إليه في الكتابة التي قد تخلى عنها، فقال له صديقه: ما أرى بعث فيك إلا للقضاء. فقد مات قاضي قرطبة. فقال له ابن بشير: فإذا قبلتها فما ترى، فانصح لي وأشر علي. قال له العابد: أسألك عن ثلاثة أشياء فاصدقني فيها. كيف حبك لأكل الطيب، ولباس اللين، وركوب الغاره؟ فقال ابن بشير: والله ما أبالي ما رددت به جوعي، وسترت به عورتي، وحملت به رجلي، فقال هذه واحدة. فكيف حبك للوجوه الحسان وشبه هذا من الشهوات. فقال ابن بشير هذه حالة والله ما استشرقت نفسي إليها قط، ولا خطرت ببالي. قال: هذه ثانية. كيف حبك للمدح والثناء وكراهتك للعزل، وحب الولاية. قال والله ما أبالي في الحق من مدحني أو ذمني وما أسر بالولاية ولا أستوحش للعزل. فقال له: أقبل القضاء، ولا بأس عليك. وذكر أن ابن بشير ولي القضاء بقرطبة مرتين، وكان بعض أخوانه يعتبه في صلابته في الحكومة، ويقول: أخشى عليك العزل. فكان يقول: ليته رأى الشقراء تقطع الطريق إلى ماردة، فما قضى إلا يسير حتى حدثت حادثة أظهر ابن بشير صلابته، فكانت سببا لعزله. فانصرف لبلده كما تمنى. فما لبث إلا يسيرا حتى أتى فيه بريد من قبل الأمير، فرفعه إلى قرطبة، فعدل في بعض الطريق إلى صديق له زاهد، فاجتمع معه، وقال له قد أرسل في الأمير، وأظنه أنه يردني على القضاء ثانية. فما ترى؟ فقال له صديقه: إن كنت تعلم أنك تنفذ الحق على القريب، والبعيد ولا تأخذك في الله لومة لائم، فلست أرى لك أن تحرم الناس خيرك، وإن كنت تخاف أن لا تعدل فترك الولاية أفضل لك. قال ابن بشير: أما الحق فلست أبالي على ما أمررته، إذا ظهر لي. فقال له: لست أرى أن تمنع الناس خيرك. فورد إلى قرطبة وولي القضاء ثانية. وقال بعضهم: إن سبب عزله، أن يده قصرت عن بعض الخاصة، ومنع من الحكم عليها، فحلف بطلاق زوجته ثلاثا وعتق مماليكه وبصدقة ما يملك على المساكين أن حكم بين اثنين، فعزل. فلما أراد رده، اعتذر إليه، بتلك الأيمان، فعزم الأمير عليه، واعتق وطلق وتصدق وأخرج إليه الأمير جارية من جواريه ومالا عوضا من ماله، ومماليكا عوضا من مماليكه. قال أبو عبد الملك بن عبد البر: كان محمد بن بشير، قد اشترط على الأمير الحكم عندما تولى له القضاء، ثلاثة شروط مضمونة إن التزمتها لي تقدمت، وإلا فلا أقبل البتة، نفاذ الحكم على كل أحد ما بينك وبين حارس السوق، وإن ظهر لي من نفسي عجز، أستعفيتك، فأعفني. وأن يكون رزقي من الفيء. فضمنها له. قال ابن الحارث: وكان محمد بن بشير فيما قاله لي عنه بعض العلماء: أنه كان قبل الشاهد عنده على التوهم والفراسة. وربما عول على تزكية السر من أهل الثقة. قال: وكان يقضي في سقيفة

مغلقة بقبلي مسجد أبي عثمان، بأول الربض الغربي، فكان إذا قعد للقضاء هناك، جلس وحده وخريطته بين يديه. فتولى تقليبها بيده، ويتقدم إليه الخصوم على كتبته، مرتبة، فيقف الخصمان على أقدامهما، بين يديه. ويدليان بحجتهما من غير صخب، فيفصل بينهما. وكان رسمه القعود للخصوم من غدوة إلى وقت الزوال. ثم يعود للقعود بعد صلاة الظهر، إلى العصر، فلا ينظر غير أسماعه من البينات، ويقيد الشهادات، لا يسمع ذلك في غير ذلك الوقت، ولا يخلو به أحد في مجلس نظره، ولا داره. ولا يقرأ كتابا لأحد في سبب خصومه، ولا يرخص إليه. قال ابن وضاح: تولى محمد بن بشير القضاء، طبع عشر طوابع يرفع بها الناس إليه. ثم لم تزل في خريطته بعينها، إلى أن مات. فإذا سأله رجل طابعا لرفع خصم كشفه له، عما يريده له. فإن كان قريبا بقرطبة أعطاه إياه، وأمر كاتبه يزم اسمه ومسكنه، واسم من أخذ الطابع فيه، ويعهد إليه بصرف الطابع إليه، إذا حضر خصمه، ويعنفه ويدعوه إن كان أخذه مبطلا، فإن كان بعيدا أجل له بقدر بعده. قال يحيى لمحمد بن." (١)

"المعروف بالواهراني، وبالتجاني. ويعرف بابن الخراز. قال ابن غلبون: كان صالحا صاحب سنة. له رحلة قديمة لقي فيها الناس، وحج ورحل الى العراق وغيرها ولقي الأبهري، وروى عنه كتبه. ولقي بها جماعة سواه. ولقي بمصر والبصرة وغيرهما. قال غيره: لم يكن فيما أدركنا أوثق منه، ولا أورع ولا أحسن تمسكا منه بالسنة. وسمع منه جماعة الناس بالأندلس، كحاتم الطرابلسي، ومحمد بن غلبون الخولاني، وغيرهم. وله مشائخ كثيرة. سمع منهم بإفريقية ومصر والحجاز والعراق وخراسان والجبل. ورحل لابن مرد ولابن شبويه، فسمع منه صحيح البخاري، ورحل الى نيسابور وبلخ، وتفقه بالأبهري، ودرس عليه كتبه، سنين مع أصحابه. ولقي بالبصرة فقيهي المالكيين: أبا يعلى البصري، وأبا عبد الله بن عطية، وذاكرهم. وسمع من اليحرمي، وابن مالك، وابن السقا، وابن مامي، وابن سيف، وأبي الفضل العطار، وأبي الحسن ابن لؤلؤ وغيرهم من البغداديين. وسمع بالقيروان من أبي العباس، وابن أبي العرب، وأقام في رحلته نحو عشرين عاما. رحمه الله.

طبقة ثامنة

بسم الله الرحمن الرحيم. قال الفقيه القاضي أبو الفضل رضي الله عنه وقد غفر له بمنه: ثم انتهى الفقه والمذهب بعد هذه الطبقة الى أخرى تليها فمنهم:

من أهل العراق

---

(١) ترتيب المدارك وتقريب المسالك، ١٨٢/١

أبو محمد عبد الوهاب بن نصر القاضي

قال أبو بكر بن ثابت الحافظ في تاريخ: عبد الوهاب بن علي بن نصر بن أحمد بن الحسين بن هارون بن مالك أبو محمد الفقيه المالكي. سمع أبا عبد الله بن العسكري، وعمر بن محمد بن سبنك، وأبا حفص بن شاهين. كتبت عنه ولم ألق في المالكيين أفقه منه. وكان حسن النظر جيد العبارة وولي القضاء بالدينور وغيرها، وخرج في آخر عمره الى مصر، فمات بها **ورأيت في بعض الكتب** أنه ولي قضاء الدينور. وقال أبو إسحاق الشيرازي في تعريفه: أدركته وسمعت كلامه في النظر قال: وقد رأى أبا بكر الأبهري إلا أنه لم يسمع منه شيئا، وكان فقيها متأدبا شاعرا. وخرج في آخر عمره الى مصر فحصل له حال من الدنيا. قال الفقيه أبو الفضل قوله لم يسمع من أبي بكر غير صحيح، بل حدث عنه وأجازه وسمع أيضا من أبيه عن أبي ثابت الصيدلاني، وابن عمر بن السماك، وأبي خالد النصيبي والحاوي. وممن سمع منه أيضا القاضي أبو محمد بن زرقونه، وأبو عم الهاشمي، وأبو سعيد الكرخي، والمخلص، وأبو الحسن ابن الصلت، والمجد، وابن نافع، ومحمد بن أحمد الصياد، وأبو علي ابن شاذان وغيرهم. وكان تفقهه على كبار أصحاب الأبهري: أبي الحسن ابن القصار، وأبي القاسم ابن الجلاب، ودرس الفقه والأصول والكلام على القاضي أبي بكر الباقلاني وصحبه وألف في المذهب والخلاف والأصول تواليف بديعة مفيدة ككتاب التلقين. وكتاب شرحه لم يتم، وكتاب شرح الرسالة، وكتاب المهدي في شرح مختصر الشيخ أبي محمد. صنع منه نحو نصفه، وكتاب شرح المدونة لم يتم، وكتاب النصرة لمذهب إمام دار الهجرة، وكتاب المعونة لدرس مذهب عالم المدينة، وكتاب أوائل الأدلة في مسائل الخلاف، وكتاب الرد على المزني، وكتاب الإفادة في أصول الفقه، وكتاب التلخيص فيه أيضا، وكتاب عيون المسائل، وكتابه الآخر المسمى بالمروزي في الأصول، وكابه المسمى بالمفاخر، وعليه تفقه ابن عمروس، وأبو الفضل مسلم الدمشقي. وأبو العباس ابن قشير الدمشقي. وروى عنه جماعة، منهم: عبد الحق بن هارون الفقيه، وأبو عبد الله المازري البغدادي. وأبو بكر الخطيب، ومن الأندلس جماعة منهم: القاضي ابن شماخ الغافقي. ومهدي بن يوسف صاحبه.

ذكر ملح من أخباره ولمع من فضائله

وجدت فيما يذكر من أخباره والله أعلم بصحته؟ أنه لما خرج من بغداد الى مصر وتبعه الفقهاء والأشراف من أهلها، قالوا له: والله يعز علينا فراقك، فقال لهم: والله لو وجدت في بلدكم كبجلتين من ذرة، ما خرجت منها. ولق ترك أبي جملة دنانير ودارا، أنفقتها كلها على على صعاليك من كان ينهض بالطلب عندي. فنكس كل واحد منهم رأسه. ثم أمرهم بالانصراف، فانصرفوا. وأنشد:

لا تطلبن الى المجبوب أولادا ... ولا السراب لتسقي منه ورادا
ومن يروم من الأنذال مكرمة ... كمن يوتد في الأتبان أوتادا." (١)

"وقال: اعص الهوى وأطع من شئت، ولا تغتر بمال وإن كثر، ولا تطلب حاجة إلى كذوب، فإنه يبعدها وهي قريبة، ولا (إلى) جاهل فإنه يجعل حاجتك وقاية لحاجته.

وقال: لا تنجو مما تكره حتى تمتنع عن كثير مما تحب وتريد.

أبو زيد البلخي

كان من حكماء الإسلام وفصحائه وبلغائه وله تصانيف كثيرة في كل فن، منها كتاب الأمد الأقصى وكتاب بيان وجوه الحكمة في الأوامر والنواهي الشرعية وسماه كتاب الإبانة عن علل الديانة وكتاب في الأخلاق وكتب أخر.

قال: للصدق أصل وفرع ونبات(من أ) كل من ثماره وجد حلاوة طعمه، والكذب عقيم لا أصل له ولا ثمرة فاحذره.

وقال: إذا كثر الخزان للأسرار زادت ضياعاً.

وقال: من طلب لسره حافظاً أفشاه.

وقال: لا بد من الموت فلا تخف، وإن كنت تخاف مما بعد الموت فأصلح شأنك قبل موتك وخف سيئاتك لا موتك .

وقال لطباخ سيء الطبخ ما أكيسه يصير الطعام قبل لاكل والهضم برازاً، وقال يوماً لطبيب جاهل: عالج نفسك أولاً ثم شخص غيرك ثانياً وقال إذا مدحك واحد بما ليس فيك فلا تأمن أن يذمك أيضاً بما ليس فيك.

وقال: الشريعة الفلسفة الكبرى، ولا يكون الرجل متفلسفاً حتى يكون متعبداً مواظباً على أداء أوامر الشرع.

وقال: من سره ما ليس فيه من الفضائل ساءه ما فيه من الرذائل.

وقال: الدواء الأكبر هو العلم.

الفيلسوف أبو الفرج بن الطيب الجاثليق

كان الشيخ أبو علي يذمه ويهجن تصانيفه، ويقول في المباحث من حق تصنيفه أن يرد على بايعه، ويترك عليه ثمنه، ولعل ذلك لتحاسد يكون بين أهل العصر.

---

(١) ترتيب المدارك وتقريب المسالك، ٢٦/٢

وأبو الفرج كان من حكماء بغداد وكان حكيماً ملء إهابه، داخلاً بيت الحكمة من أبوابه، وله تصانيف في المنطق وغير ذلك وقد وجدت له تصنيفاً لطيفاً في كمية الأعمار ورسائل وكان عالماً باللغة الرومية واليونانية.

وكان أبو علي يعترف بتقدمه في صناعة الطب ثم يعترض على بعض رسائله في الطب ويقول ظننت أن أبا الفرج كان مقدماً في الطب إلا أن كلامه غير فصيح، فبعضه مستقيم وبعضه سقيم فهو من المستطرفين لا من أصحاب الصناعة وأنا قد رأيت كتاباً لأبي الفرج في علل الأشياء واستفدت منه واعترفت بأنه كان حكيماً ولكن بينه وبين أبي علي بون بعيد، وأبو علي كان مؤذياً مهجناً .

وقد رأيت في بعض الكتب أن أبا علي دخل على الحكيم أبي علي ابن مسكويه صاحب كتاب تجاب الأمم وكتاب الشوامل والهوامل، والتلامذة حوله فرمى أبو علي إليه جوزة وقال بين مساحة هذه الجوزة بالشعيرات، فرفع ابن مسكويه أجزاء في الأخلاق ورماها إلى ابن سينا وقال: أما أنت فأصلح أخلاقك أولاً حتى استخرج مساحة الجوزة وأنت أحوج إلى إصلاح أخلاقك مني إلى مساحة الجوزة .

وهكذا يطعن أبو علي في أثناء تصانيفه على أبي الفرج وليس الذم والتثريب والتهجين من دأب الحكماء المبرزين بل تقرير الحق، ومن قرر الحق، استغني عن تهجين أهل الباطل، صاننا الله عن الرذائل وأسبغ علينا نعم الفضائل .

وقد بعث أبو الريحان البيروني مسائل إلى أبي علي فأجاب عنها أبو علي، واعترض أبو الريحان على أجوبة أبي علي وهجنه وهجن كلامه وأذاقه مرارة التهجين وخاطب أبا علي بما لا يخاطب به العوام فضلا عن الحكماء فلما تأمل أبو الفرج الأسئلة و الأجوبة قال:من نخل الناس نخلوه ناب عني أبو الريحان .

وكان أبو الفرج يقول : أنا من أولاد فولوس وفولوس كان ابن أخت جالينوس. ولما بعث الله تعالى عيسى بالحق إلى الناس كان جالينوس شيخا عاجزاً فبعث إلى عيسى عليه السلام ابن أخته فولوس واعتذر إليه وقال: أنا محبوس الهرم . وكتب إلى عيسى عليه السلام كتابا، وكان عيسى يقرأ ويكتب، ومضمون الكتاب : يا طبيب النفوس ونبي الله ربما عجز المريض عن خدمة الطبيب بسبب عوارض جسمانية، وقد بعثت إليك بعضي وهو فولوس لتعالج نفسه بالآداب النبوية والسلام .

فلما وصل فولوس إلى عيسى أكرمه عيسى عليه السلام وصار من الحواريين وكتب عيسى إلى جالينوس : يا من أنصف من علمه، الصحيح لا يحتاج إلى الطبيب إلا في حفظ صحته والمسافة لا تحجب النفوس

عن النفوس والسلام وادعت النصارى أن فولوس صار بعد شمعون الصفا نبيا وله كتاب فيه دلائل البعث والحشر .." (١)

"سمع: أحمد بن مُطَرِّف، وأحمد بن سَعيد، وأبي إبراهيم، وابن عَوانَة، وأبي بكر القرشي بن الأحمر، وأبي القاسم بن الشمر، والدِّينَوري. وكان: حافظاً للقرآن، كثير الْتَهجد به، وقد أدَّب.

ولد سنة ثلاث وعشرين. وتُوفّي: غداة يوم السبت لِلَيْلَتين مضتا من ذي الحجة سَنَة ثلاث وتسعين وثلاث مائة. ودُفِنَ يوم الأحد لصلاة العصر بِمَقْبَرة مومرة، وصلّى عليه الفقيه أحمد بن هاشم.

باب وهب

من اسمه وهب: ١٥١٥ - وَهب بن نافِع الأسدي: من أهلِ قُرْطُبة: كان: فقِيهاً مُشاوِراً في أيام الأمير محمد رضي الله عنه. وكانت له رحلة سمع فيها: من سَحُنْوُن بن سعيد، وأبي الطّاهر أحمد بن عمرو بن السّرْح، وإبراهيم بن المُنذر الجُذامي. ودخل بَغداد فسمع بها: من الحَسَن بن عرفة، ونصر بن علي الجَهضمي.

رَوَى عنه محمد بن مِسْوَر، وسعيد بن عثمان الأعْناقِيّ وغيرهما. وتُوفّي (رحمه الله) سنة سبعين ومائتين.

ذكره خالِد وفيه عن غيره.

وذكَرَ بعض الرواة: أن وَهَب بن نافع أخذ كتب أبي عُبَيْد، عن عليّ بن ثابَت، وأبي جعفر محمد بن وَهَب المِسْعَرِيّ. وهو أول من أدخلها الأنْدَلُس، وأوّل منْ أُخِذَت عنه، ثم أدخلها الخُشْنَيّ بعده. وقد رَوى محمد بن فُطَيْس: شرح الحديث عن وَهَب بن نافِع، وعن المِسْعَري، عن أبي عُبَيْد. وقال بعضهم: توفّي: يوم الأربعاء مستهل جُمادى الآخرة سنة ثلاث وسبعين ومائتين.

١٥١٦ - وَهب بن عَمْرو بن وَهَب من أهل قُرْطُبَة؛ يُكَنَّى: أبَا الأَصْبَغ.

قَالَ لِي عبد الله بن عليّ: وَهَب بن عَمْرو بن وَهَب أصله من قُرْطُبَة، لقيه عمر بن حفص بن أَبي تمام بمصر وسَمِعَ منه، حَدَّثَه عن أَبي إبراهيم إسحاق بن سالم بمقام صالح بن عبد الجليل المُرِي، عن المهدي: وروى عن يَزِيد بن سِنَان. **ورأيتُ في بعض الكتب**: عن أَبي تَمام، نا وَهب بن إبراهيم بن وَهَب صاحبنا.

١٥١٧ - وَهْب بن حَزْم بن غَالب: من أهل طُلَيْطُلة، يقال له: الغزال.

له رِحلة إلى المَشْرِق شرك فيها قاسم بن أحمد بن جَحْدر، وكُلَيْب بن محمد. ودخل العراق، وسَكَن الشّام ومات في بعض ثغورها. وكان يغلي عليه الحَدِيث. من كتاب محمد بن أحمد.

---

(١) تتمة صوان الحكمة، ص/٦

وهب بن عيسى الأنْصَاري: من أهل طُلَيْطُلة؛ يُكَنّى: أبَا سليمان، ويعرف: بابن اشْبَانِتقة.

سَمِعَ: من محمد بن وضَّاح كثيراً، ومن سعيد بن عثمان الأَعْنَاقِيّ، وأَحمد بن خالد وجماعة سِوَاهم. وكان أَبُوه من المياسير. وكان يهَادِي محمد بن وضَّاح فكان يكرم ابنه من أَجل ذلك. وكان: رَجُلاً صالحاً. حَدَّثَ عنه من أَهلِ بلده محمد بن عَمْرو، وعبد الله بن معروف.

وحَدَّثَنِي عنه ابن تمام؟؟، وأَخبرني من سَمِعَهُ يقولُ: في جُمادى الأولى سنة سبع وثلاثين وثلاث مائة انا ابن سبع وسبعين سنة. وتُوفِّيَ: سنة اثنتين وأَربعين وثلاث مائة.

١٥١٨ - وَهب بن مَسَرَّة بن مُفَرّج بن حَكَم التميمي: من أَهلِ وَادِي الحِجَارَة؛ يُكَنَّى: أبَا الحَزْم.

سَمِعَ بقُرْطُبَة: من محمد بن وضَّاح، وعُبَيْد الله بن يحيى، وأَحمد بن إبراهيم الفرضي، والأَعْنَاقِيّ، وسَعد بن مُعَاذ، وأَبي صالح أيُّوب بن سليمان، وأسْلَم بن عبد العزيز، ومحمد بن وَلِيد، وابن أبي تمام، ومحمد بن عمر بن لُبابة، وطَاهر بن عبد العزيز، وأَحمد بن خالد، وابن أَيْمَن، ومحمد بن قَاسم، وقَاسِم بن أَصْبَغ، وابن الخُشَنِيّ.

وسَمِعَ بِوَادِي الحِجَارة: من أبي وَهب بن أبي نُخيلة، ومحمد بن عذرة، وعليّ بن الحسن، ومحمد بن إبراهيم بن حَيّون. وكان: حَافِظاً للفقه، بَصِيراً بالحديث مع ورع وفضل. وكانت الرحلة إليه من الثّغر كله للسماع منه. واسْتُقْدِمَ إلى قُرْطُبَة، وأُخْرِجت إليه أصول محمد بن وضَّاح التي سمع فيها. وقُرِئَ عليه: المُدَّونَة، ومُسْنَد ابن أَبي شَيْبَة وغير ذلِك من روايته.

سَمِعَ من ه جماعة من أهْلِ قُرْطُبَة وغيرها ورجع إلى بلده.

حَدَّثَنَا عنه عبد الله بن محمد القَاسِم الثّغرِي وأثْنَى عليه، وهو أَخْبَرني بتسمية رجاله الَّذِين رَوَى عنهم. وحَدَّثَني بعض من كَتَبْتُ عليه من أصحابه قال: تُوفِّيَ: وَهب بن مَسَرَّة - رحمه الله - ليلة الأحد لأربع عشرة ليلة خلت من شعبان سنة ست وأَربعين وثلاث مائة بوَادِي الحِجَارَة.." (١)

"١٥١٦ - وهب بن عمرو بن وهب من أهل قرطبة؛ يكنى: أبا الأصبغ.

قال لي عبد الله بن علي: وهب بن عمرو بن وهب أصله من قرطبة، لقيه عمر بن حفص بن أبي تمام بمصر وسمع منه، حدثه عن أبي إبراهيم إسحاق بن سالم بمقام صالح بن عبد الجليل المري، عن المهدي: وروى عن يزيد بن سنان. **ورأيت في بعض الكتب**: عن أبي تمام، نا وهب بن إبراهيم بن وهب صاحبنا.

---

(١) تاريخ علماء الأندلس، ص/١٩٩

١٥١٧ – وهب بن حزم بن غالب: من أهل طليطلة، يقال له: الغزال.
له رحلة إلى المشرق شرك فيها قاسم بن أحمد بن جحدر، وكليب بن محمد. ودخل العراق، وسكن الشام ومات في بعض ثغورها. وكان يغلي عليه الحديث. من كتاب محمد بن أحمد.
وهب بن عيسى الأنصاري: من أهل طليطلة؛ يكنى: أبا سليمان، ويعرف: بابن اشبانتقة.
سمع: من محمد بن وضاح كثيرا، ومن سعيد بن عثمان الأعناقي، وأحمد بن خالد وجماعة سواهم. وكان أبوه من المياسير. وكان يهادي محمد بن وضاح فكان يكرم ابنه من أجل ذلك. وكان: رجلا صالحا. حدث عنه من أهل بلده محمد بن عمرو، وعبد الله بن معروف.
وحدثني عنه ابن تمام؟؟، وأخبرني من سمعه يقول: في جمادى الأولى سنة سبع وثلاثين وثلاث مائة انا ابن سبع وسبعين سنة. وتوفي: سنة اثنتين وأربعين وثلاث مائة.

١٥١٨ – وهب بن مسرة بن مفرج بن حكم التميمي: من أهل وادي الحجارة؛ يكنى: أبا الحزم.
سمع بقرطبة: من محمد بن وضاح، وعبيد الله بن يحيى، وأحمد بن إبراهيم الفرضي، والأعناقي، وسعد بن معاذ، وأبي صالح أيوب بن سليمان، وأسلم بن." (١)

"ومثله روى يونس عن الحسن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرسلا.
روي حمزة عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «القنطار ألف دينار» [١٥] «١» .
سعيد بن جبير عن عكرمة: هو مائة ألف ومائة من، ومائة [رطل] ومائة مثقال ومائة درهم، ولقد جاء الإسلام يوم جاء [وبمكة] «٢» مائة رجل.
[وعن سفيان عن] إسماعيل بن أبي خالد عن أبي صالح قال: القنطار: مائة رطل «٣» .
فقال الحكم: القنطار ما بين السماء والأرض من مال.
أبو نظرة: مسك ثور ذهبا أو فضة.
سعيد بن المسيب وقتادة: ثمانون ألفا.
ليث عن مجاهد القنطار: سبعون ألفا.
شريك: أربعون ألف مثقال.
الحسن: القنطار دية أحدكم.

---

(١) تاريخ علماء الأندلس ابن الفرضي ١٦١/٢

ومثله روى الوالبي عن ابن عباس وجويبر عن الضحاك قال: إثنا عشر ألف درهم أو ألف دينار دية أحدكم.

وعن أبي حمزة الثمالي قال: القنطار بلسان أفريقيا والأندلس ثمانية آلاف جروال من ذهب أو فضة.

وروى الثمالي عن السدي قال: أربعة آلاف مثقال.

قال الثعلبي: **ورأيت في بعض الكتب** أن القناطير [مأخوذة من عقد الشيء وإحكامه] وأصلها من الإحكام يقال: قنطرت الشيء إذا أحكمته، ومنه سميت القنطرة المقنطرة «٤» .

قال الضحاك: المقنطرة: المحصنة المحكمة.

قتادة: هي الكثيرة المنضدة بعضها فوق بعض كأنها المدفونة يقال: قنطر إذا كثر.

السدي: المخزونة المنقوشة حتى صارت دراهم ودنانير.

قال الفراء: المضعفة كأن القنطار ثلاثة والمقنطرة تسعة.

---

(١) الدر المنثور: ٢/ ١٠.

(٢) كذا في المخطوط ولعله: والقناطر.

(٣) تفسير الطبري: ٣/ ٢٧٣.

(٤) تفسير القرطبي: ٤/ ٣٠، ونسبه للزجاج.." (١)

"وإلا فكذبوا، المبرد: أصله مؤيمن فقلبت الهمزة هاء كما قيل: أرقت الماء وهرقت، ولما ينثر عن الرأس عند الدلك أبرية وهبرية ونهاة وهيهات. وأتاك وهياك فهو مبني آمن أمين كما بيطر ومبيطر من بيطار.

قال النابغة:

شك المبيطر إذ شفا من العضد «١»

وقال الضحاك: ماضيا، عكرمة: دالا عليه، ابن زيد مصدقا، الخليل: رقيبا وحافظا، يقال: هيمن فلان على كذا إذا شاهده وحفظه.

قلت: سمعت أبا القاسم الحبيبي يقول: سمعت المنصور بن محمد بن أحمد بن منصور البستي يقول: سمعت أبا عمر محمد بن عبد الواحد اللغوي يقول: تقول العرب: الطائر إذا جعل يطير حول وكره وخاف على فرخه صيانة له، هيمن الطائر مهيمن. وكذلك يقول للطائر إذا أرخى جناحيه فألبسهما بيضه وفرخه مهيمن. وكذلك جعل اختباؤه ومنه قيل: الله تعالى المهيمن كان معناه الرقيب الرحيم. قال: **ورأيت في**

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ٣/٢٤

بعض الكتب إنها بلغة العجمانية فعربت، وقرأ عكرمة: هيمن ومـهـيمن. بقولهم الملوك فاحكم يا محمد بينهم بين أهل الكتاب، إذا ترافعوا إليك بما أنزل الله بالقرآن ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا، أي سبيلا وسنة وجمع الشرعة الشرع وكل ما شرعه فيه فهو شرعة وشريعة، ومنه شريعة الماء ومشرعته، ومنه شرائع الإسلام شروع أهلها فيها، ويقال: من شرع شرعا إذا دخلوا في أمر وساروا به. والمنهاج والمنهج والنهج الطريق البين الواضح.

قال الراجز:

من يك في شك فهلا ولج ... في طريق المهج «٢»

قال المفسرون: عنى بذلك جميع أهل الملل المختلفة جعل الله لكل أهل ملة شريعة ومنهاجا، فلأهل التوراة شريعة، ولأهل الإنجيل شريعة، ولأهل القرآن شريعة، يحل فيها ما يشاء ويحرم ما يشاء، والدين واحد والشرائع مختلفة ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة كلكم ملة واحدة ولكن ليبلوكم ليخبركم وهو أعلم وقد مضى معنى الابتلاء في ما آتاكم من الكتب وبين لكم من [السنن] فبين المطيع من العاصي والمواظب من المخالف فاستبقوا الخيرات فبادروا بالطيبات والأعمال الصالحات إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك.

---

(١) لسان العرب: ٣/ ٢٩٥

. (٢) جامع البيان: ٦/ ٣٦٥. وفيه:

من يك في شك فهذا أفلج ... ماء رواء وطريق نهج

.." (١)

"قال: وهابت صاحب الحلة أن تأتيه فتسأله عنه، فأرسل إليها أيوب فدعاها فقال: ما تريدين يا أمة الله؟ فبكت وقالت: أردت ذلك المبتلى الذي كان منبوذا على الكناسة لا أدري أضاع أم ما فعل؟.

فقال لها أيوب: ما كان منك؟ فبكت وقالت: أردت بعلي فهل رأيته؟ قال: وهل تعرفينه إذا رأيته؟ قالت: وهل يخفى على أحد رآه؟ ثم جعلت تنظر إليه وهي تهابه، ثم قالت: أما إنه كان أشبه خلق الله بك إذ كان صحيحا، قال: فإني أنا أيوب الذي أمرتني أن أذبح لإبليس، وإني أطعت الله وعصيت الشيطان

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ٧٤/٤

ودعوت الله سبحانه وتعالى فرد علي ما ترين.

وقال كعب: كان أيوب في بلائه سبع سنين.

وقال وهب: لبث أيوب في ذلك البلاء ثلاث سنين لم يزد يوما واحدا، فلما غلب أيوب إبليس ولم يستطع منه شيئا اعترض امرأته في هيئة ليس كهيئة بني آدم في العظم والجسم والجمال، على مركب ليس من مراكب الناس، له عظم وبهاء وجمال، فقال لها: أنت صاحبة أيوب هذا الرجل المبتلى؟ قالت: نعم قال: هل تعرفينني؟ قالت: لا، قال: فأنا إله الأرض، وأنا الذي صنعت، بصاحبك ما صنعت وذلك أنه عبد إله السماء وتركني فأغضبني، ولو سجد لي سجدة واحدة رددت عليه وعليك كل ما كان لكما من مال وولد فإنه عندي، ثم أراها إياهم فيما ترى ببطن الوادي الذي لقيها فيه.

قال وهب: وقد سمعت أنه إنما قال: لو أن صاحبك أكل طعاما ولم يسم عليه لعوفي مما به من البلاء، والله أعلم، وأراد إبليس لعنه الله أن يأتيه من قبلها.

ورأيت في بعض الكتب أن إبليس قال لرحمة: وإن شئت فاسجدي لي سجدة واحدة حتى أرد عليك المال والأولاد وأعافي زوجك، فرجعت إلى أيوب فأخبرته بما قال لها وما أراها، قال: قد أتاك عدو الله ليفتنك عن دينك، ثم أقسم إن عافاه الله ليضربنها مائة جلدة.

وقال عند ذلك: مسني الضر من طمع إبليس في سجود حرمتي له، ودعائه إياها وإياي إلى الكفر، قالوا: ثم الله سبحانه رحم رحمة امرأة أيوب بصبرها معه على البلاء، وخفف عنها، وأراد أن يبرئ يمين أيوب فأمره أن يأخذ جماعة من الشجر فيضربها بها ضربة واحدة كما قال الله سبحانه وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث «١» الآية.

وقال وهب وغيره: كانت امرأة أيوب تكسب له وتعمل للناس وتجيئه بقوته، فلما طال عليهما البلاء وسئمها الناس فلم يستعملها التمست له يوما من الأيام ما تطعمه، فما وجدت شيئا

---

(١) سورة ص: ٤٤.." (١)

"فسار بمن اصطحبه إلى اليمن، فسلك المدينة مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم فقال سليمان: هذه دار هجرة نبي في آخر الزمان، طوبى لمن آمن به، وطوبى لمن اتبعه، وطوبى لمن اقتدى به، ورأى حول البيت أصناما تعبد من دون الله سبحانه، فلما جاوز سليمان البيت بكى البيت فأوحى الله سبحانه

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ٢٩٧/٦

إلى البيت: ما يبكيك؟ فقال: يا رب أبكاني هذا نبي من أنبيائك وقوم من أولياءك مروا علي، فلم يهبطوا في ولم يصلوا عندي ولم يذكروك بحضرتي، والأصنام تعبد حولي من دونك، فأوحى الله سبحانه إليه أن لا تبك وإني سوف أملأك وجوها سجدا، وأنزل فيك قرآنا جديدا، وأبعث منك نبيا في آخر الزمان أحب أنبيائي إلي، وأجعل فيك عمارا من خلقي يعبدونني وأفرض على عبادي فريضة يرفون إليك رفة النسور الى وكرها ويحنون إليك حنين الناقة إلى ولدها والحمامة إلى بيضتها، وأطهرك من الأوثان وعبدة الشيطان.

قال: ثم مضى سليمان حتى مر بوادي السدير، واد من الطائف فأتى على واد النمل ف قالت نملة تمشي، وكانت عرجاء تتكاوس، وكانت مثل المذنب في العظم، فنادت النملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون يعني أن سليمان يفهم مقالتها وكان لا يتكلم خلق إلا حملت الريح ذلك فألقته في مسامع سليمان (عليه السلام) .

قال فتبسم ضاحكا من قولها وقال رب أوزعني إلى قوله في عبادك الصالحين يعني مع عبادك الموحدين.

وقال قتادة ومقاتل: وادي النمل بأرض الشام.

قال نوف الحميري: كان نمل وادي سليمان مثل الذباب.

وقال الشعبي: النملة التي فقه سليمان كلامها كانت ذات جناحين.

قال مقاتل: سمع سليمان كلامها من ثلاثة أميال. واختلفوا في اسم تلك النملة.

فأخبرني أبو عبد الله الحسين بن محمد الحسني الدينوري قال: حدثنا أبو العباس أحمد ابن محمد بن يوسف الصرصري قال: حدثنا الهيثم بن خلف الدوري قال: حدثنا هارون بن حاتم البزاز قال: حدثنا إبراهيم بن الزبرقان التيمي عن أبي روق عن الضحاك قال: كان اسم النملة التي كلمت سليمان بن داود (عليه السلام) طاحية.

وأخبرني ابن فنجويه قال: حدثنا طلحة وعبيد الله قالا: حدثنا ابن مجاهد قال: حدثني الفضل بن الحسن قال: حدثنا أبو محمد النعمان بن شبل الباهلي قال: حدثنا ابن أبي روق عن أبيه قال: كان اسم نملة سليمان حرمي، وهو قول مقاتل.

ورأيت في بعض الكتب أن سليمان لما سمع قول النملة قال: ائتوني بها، فأتوه بها فقال لها: لم حذرت النمل ظلمي؟ أما علمت أني نبي عدل؟ فلم قلت: لا يحطمنكم سليمان وجنوده؟." (١)

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ١٩٧/٧

"يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل قال بعض النحاة: هذه الكناية راجعة إلى الخطيئة والمعصية، يعني: إن المعصية إن تك. يدل عليه قول مقاتل: قال أنعم بن لقمان لأبيه: يا أبة إن عملت بالخطيئة حيث لا يراني أحد كيف يعلمها الله؟ فقال له: يا بني إنها إن تك. وقال آخرون: هذه الهاء عماد، وإنما أنث لأنه ذهب بها إلى الحبة، كقول الشاعر:

ويشرق بالقول الذي قد أذعته ... كما شرقت صدر القناة من الدم «١»

ويرفع المثقال وينصب، فالنصب على خبر كان والرفع على اسمها ومجازه: إن تقع وحينئذ لا خبر له: فتكن في صخرة قال قتادة: في جبل، وقال ابن عباس: هي صخرة تحت الأرضين السبع وهي التي يكتب فيها أعمال الفجار، وخضرة السماء منها، وقال السدي: خلق الله الأرض على حوت وهو النون الذي ذكره الله عز وجل في القرآن ن. والقلم «٢» والحوت في الماء، والماء على ظهر صفاة، والصفاة على ظهر ملك والملك، على صخرة، وهي الصخرة التي ذكر لقمان ليست في السماء ولا في الأرض، والصخرة على الريح.

أو في السماوات أو في الأرض يأت بها الله إن الله لطيف باستخراجها خبير عالم بمكانها. **ورأيت في بعض الكتب** أن لقمان (عليه السلام) قال لابنه: يا بني إنها إن تك مثقال حبة ... إلى آخر الآية. فانفطر من هيبة هذه الكلمة فمات فكانت آخر حكمته.

قوله: يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور أي الأمور الواجبة التي أمر الله بها، وقال ابن عباس: حزم الأمور. مقاتل: حق الأمور.

ولا تصعر خدك للناس قرأ النخعي ونافع وأبو عمرو وابن محيص ويحيى بن وثاب والأعمش وحمزة والكسائي تصاعر بالألف.

أخبرني أبو عبد الله بن فنجويه قال: أخبرني أبو حبش قال أبو القاسم بن الفضل قال أبو زرعة: حدثني نضر بن علي قال: أخبرني أبي عن معلى الوراق عن عاصم الجحدري ولا تصعر خدك بضم التاء وجزم الصاد من أصعر. الباقون تصعر من التصعير. قال ابن عباس:

يقول لا تتكبر فتحقر الناس وتعرض عنهم بوجهك إذا كلموك. مجاهد: هو الرجل يكون بينه وبينك إحنة فتلقاه فيعرض عنك بوجهه. عكرمة: هو الذي إذا سلم عليه لوى عنقه تكبرا. الربيع وقتادة: لا تحقر الفقراء، ليكن الفقير والغني عندك سواء.

عطاء: هو الذي يلوي شدقه. أخبرنا عبد الله بن حامد، عن حامد بن محمد، عن محمد

(١) الصحاح: ٢/ ٧٠٩.

(٢) سورة القلم: ١. ٢.." (١)

"ذكر خط مدينة المنصور وتحديدها ومن جعل إليه النظر في ترتيبها

أخبرنا أبو عمر الحسن بن عثمان بن أحمد بن الفلو الواعظ قال أنبأنا جعفر بن محمد بن أحمد بن الحكم الواسطي قال حدثني أبو الفضل العباس بن أحمد الحداد، قال سمعت أحمد [ابن [١]] البربري يقول: مدينة أبي جعفر ثلاثون ومائة جريب، خنادقها وسورها ثلاثون جريبا، وأنفق عليها ثمانية عشر ألف ألف، وبنيت في سنة خمس وأربعين ومائة [٢] .

وقال أبو الفضل حدثني أبو الطيب البزار قال قال لي خالي- وكان قيم بدر- قال لنا بدر غلام المعتضد: قال أمير المؤمنين: انظروا كم هي مدينة أبي جعفر؟ فنظرنا وحسبنا فإذا هي ميلين مكسر في ميلين [٣] .

قال الشيخ أبو بكر: **ورأيت في بعض الكتب** أن أبا جعفر المنصور أنفق على مدينته وجامعها وقصر الذهب فيها والأبواب والأسواق إلى أن فرغ من بنائها أربعة آلاف [٤] وثمانمائة وثلاثة وثمانين درهما، مبلغها من الفلوس مائة ألف فلس وثلاثة وعشرون ألف فلس. وذلك أن الأستاذ من الصناع كان يعمل يومه بقيراط إلى خمس حبات، والروز جاري يعمل بحبتين إلى ثلاث حبات [٥] .

قال أبو بكر الخطيب: وهذا خلاف ما تقدم ذكره من مبلغ النفقة على المدينة، وأرى بين القولين تفاوتا كثيرا، والله أعلم [٦] .

أخبرنا أبو الحسن محمد بن أحمد بن رزق البزار قال نبأنا جعفر المخلدي إملاء قال نبأنا الفضل بن مخلد الدقاق قال سمعت داود بن صعير بن شبيب بن رستم البخاري، يقول: رأيت في زمن أبي جعفر كبشا بدرهم، وحملا بأربعة دوانق، والتمر ستين رطلا بدرهم، والزيت ستة عشر رطلا بدرهم، والسمن ثمانية أرطال بدرهم، والرجل يعمل بالروزجار في السور كل يوم بخمس حبات.

[١] ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل، وأضفناه من مطبوعة باريس.

[٢] انظر الخبر في: المنتظم ٨/٧٥.

[٣] انظر الخبر في: المنتظم ٨/٧٥.

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ٣١٤/٧

[٤] في مطبوعة باريس: «أربعة آل اف ألف وثلاثمائة وثلاثة وثمانين» . وما أثبتناه من الأصل، والمنتظم، ويؤيده تعليق المصنف بقوله: «وأرى بين القولين تفاوتا كثيرا» يعني في الروايتين.

[٥] انظر الخبر في: المنتظم ٨/٧٥.

[٦] انظر قول الخطيب في: المنتظم ٨/٧٥.." (١)

"عاصم بن عمر بن قتادة عن أبيه عن جده قتادة بن النعمان. قال: كان أهل بيت يقال لهم بنو أبيرق بشير وبشر ومبشر، وكان بشير رجلا منافقا يقول الشعر ويهجو به أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ثم ينحله بعض العرب- وذكر الحديث بطوله.

قال أبو شعيب قال لي أبي: سمعه مني يحيى بن معين ببغداد في مسجد الجامع، وأحمد بن حنبل، وعلي بن المديني، وإسحاق بن أبي إسرائيل.

أخبرني تمام بن محمد الرازي حدثنا علي بن الحسن [١] بن علان الحراني الحافظ قال: الحسن بن أحمد بن أبي شعيب الحراني ثقة مأمون [٢] .

أخبرنا أحمد بن أبي جعفر القطيعي حدثنا محمد بن المظفر قال: قال عبد الله بن محمد البغوي: ومات محمود بن خداش في سنة ستين في شعبان وفيها مات أبو مسلم الحسن بن أحمد بن أبي شعيب بسامرا. قلت: وهذا القول وهم ولا أشك أنه من بعض النقلة، لأن محمودا مات في سنة خمسين ومائتين لا يختلف في ذلك.

وقد ذكره جماعة من أهل العلم- **ورأيت في بعض الكتب-** عن موسى بن هارون: أن أبا مسلم الحسن بن أحمد بن أبي شعيب مات بسر من رأى سنة خمسين ومائتين [٣] .

وقرأت على أبي بكر البرقاني عن أبي إسحاق المزكي قال: أخبرنا أبو العباس محمد بن إسحاق الثقفي قال: مات أبو مسلم الحسن بن أحمد بن أبي شعيب بالعسكر- وكان مكتبنا [٤]- في الفتنة أو قبل الفتنة بقليل سنة اثنتين وخمسين ومائتين أو نحوه [٥] .

٣٧٥٠- الحسن بن أحمد بن فهد، ويعرف بالنرسي:

حدث عن إبراهيم بن سعيد الجوهري. روى عنه أبو القاسم الطبراني.

أخبرنا محمد بن عبد الله بن شهريار الأصبهاني أخبرنا سليمان بن أحمد بن

---

(١) تاريخ بغداد وذيوله ط العلمية الخطيب البغدادي ٩٠/١

[١] في المطبوعة: بن الحسين تصحيف.

[٢] انظر الخبر في: تهذيب الكمال ٦/٥٠.

[٣] انظر الخبر في: تهذيب الكمال ٦/٥٠.

[٤] في المطبوعة: مكتبا تصحيف.

[٥] انظر الخبر في: تهذيب الكمال ٦/٥٠.." (١)

"باب برج وبزج وبرح:

أما برج بالراء فهو البرج بن مسهر، شاعر.

وبزج بالباء والزاي فهو مبارك بن زيد بن حريش بن بزج أبو إسحاق من قرية سرفدن، بخاري حدث عن يحيى بن جعفر وحفص بن داود وأحمد بن الفضل المزريني١ وهانئ بن النظر، توفي لست بقين من شهر رمضان سنة أربع وثمانين ومائتين.

وأما برح بكسر الباء المعجمة بواحدة وسكون الراء والحاء المهملة فهو برح بن عسكر بن وتار بن كزغ بن حضرمين بن التغما٢ بن مهري٣ ابن حيدان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة، وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد فتح مصر، واختط بها وسكنها، وهو معروف من أهل مصر، ذكره سعيد بن عفير فقال: ابن حبنكل؛ قال ابن يونس: **ورأيت في بعض الكتب** القديمة في النسب القديم بخط ابن لهيعة: برح بن عسكر وذكر نسبه الذي ذكرناه؛ وما علمت له رواية بمصر ولا بغيرها.

---

١ هكذا ضبط في الأصل، وهكذا ضبط ياقوت القرية التي نسب إليها ه ذا الرجل وهي "مزرين" ومثله في التاج "م ز ر" عن الصاغاني كلها بفتح الميم وسكون الزاء بعدها راء مكسورة فتحتية ساكنة فنون فياء النسبة، ووقع في الأنساب واللباب أنه بميم مضمومة فراء ساكنة فزاي مكسورة والباقي سواء، والأول أثبت.

٢ في أسد الغابة والإصابة مخالفة لما هنا في بعض الأسماء وأصلنا أولى بالاعتماد، والتغما ذكره القاموس في "ت غ م" "تغمى كبهمى قبيلة من مهرة بن حيدان" قال شارحه "نسبوا إلى أمهم".

٣ تقدم عن القاموس "مهرة" ومهرة بن حيدان معروف وقد يكون "مهرى" صحيحا ويكون من ذرية "مهرة"

---

(١) تاريخ بغداد وذيوله ط العلمية الخطيب البغدادي ٢٧٧/٧

فإن النسب هنا غير متصل؛ إذ ليس فيه بين برح وحيدان غير ستة مع أن المنسوبين من الصحابة إلى أخوي حيدان وهما بهراء وبلى لا يتصل نسبهم بهما إلا ببضعة عشر أبا.." (١)

"العلماء ألفاظا يستدل بها على أنهم رأوا تحريمه

وقال الشافعي رحمه الله في

كتاب آداب القضاء إن الغناء لهو مكروه يشبه الباطل ومن استكثر منه

فهو سفيه ترد شهادته

وقال القاضي أبو الطيب استماعة من المرأة التي ليست بمحرم له لا يجوز عند أصحاب الشافعي رحمه الله بحال سواء كانت مكشوفة أو من وراء حجاب وسواء كانت حرة أو مملوكة وقال قال الشافعي رضي الله عنه صاحب الجارية إذا جمع الناس لسماعها فهو سفيه ترد شهادته وقال وحكي عن الشافعي أنه كان يكره الطقطقة بالقضيب ويقول وضعته الزنادقة ليشتغلوا به عن القرآن

وقال الشافعي رحمه الله ويكره من جهة الخبر اللعب بالنرد أكثر مما يكره اللعب بشيء من الملاهي ولا أحب اللعب بالشطرنج وأكره كل ما يلعب به الناس لأن اللعب ليس من صنعة أهل الدين ولا المروءة

وأما مالك رحمه الله فقد نهى عن الغناء وقال إذا اشترى جارية فوجدها مغنية كان له ردها

وهو مذهب سائر أهل المدينة إلا ابن سعد وحده

وأما أبو حنيفة رضي الله عنه فإنه كان يكره ذلك ويجعل سماع الغناء من الذنوب وكذلك سائر أهل الكوفة سفيان الثوري وحماد وإبراهيم والشعبي وغيرهم

فهذا كله نقله القاضي أبو الطيب الطبري

ونقل أبو طالب المكي إباحة السماع من جماعة فقال سمع من الصحابة عبد الله بن جعفر وعبد الله بن الزبير والمغيرة بن شعبة ومعاوية وغيرهم وقال قد فعل ذلك كثير من السلف الصالح صحابي وتابعي بإحسان وقال لم يزل الحجازيون عندنا بمكة يسمعون السماع في أفضل أيام السنة وهى الايام المعدودات التي أمر الله عباده فيها بذكره كأيام التشريق ولم يزل أهل المدينة مواظبين كأهل مكة على السماع إلى زماننا هذا فأدركنا أبا مروان القاضي وله جوار يسمعن الناس التلحين قد أعدهن للصوفية قال وكان لعطاء جاريتان يلحنان فكان إخوانه يستمعون إليهما قال وقيل لأبي الحسن بن سالم كيف تنكر السماع وقد كان الجنيد وسرى السقطى وذو النون يستمعون فقال وكيف أنكر السماع وقد أجازه وسمعه من هو خير مني فقد كان

---

(١) الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب ابن ماكولا ٢٢٦/١

عبد الله بن جعفر الطيار يسمع وإنما أنكر اللهو واللعب في السماع

وروي عن يحيى بن معاذ أنه قال فقدنا ثلاثة أشياء فما نراها ولا أراها تزداد إلا قلة حسن الوجه مع الصيانة وحسن القول مع الديانة وحسن الإخاء مع الوفاء

ورأيت في بعض الكتب هذا محكيا بعينه عن الحارث المحاسبي وفيه ما يدل على تجويزه السماع مع زهده وتصاونه وجده في الدين وتشميره

قال وكان ابن مجاهد لا يجيب دعوة إلا أن يكون فيه سماع

وحكي غير واحد أنه قال اجتمعنا في دعوة ومعنا أبو القاسم ابن بنت منيع وأبو بكر ابن داود وابن مجاهد في نظرائهم فحضر سماع فجعل ابن مجاهد يحرض ابن بنت منيع على ابن داود في أن يسمع فقال ابن داود حدثني أبي عن أحمد بن حنبل أنه كره السماع وكان أبي يكرهه وأنا على مذهب أبي فقال أبو القاسم ابن بنت منيع أما جدى احمد ابن بنت منيع فحدثني عن صالح بن أحمد أن أباه كان يسمع قول ابن الخبازة فقال ابن مجاهد لابن داود دعني أنت من أبيك وقال لابن بنت منيع دعني أنت من جدك أي شيء تقول يا أبا بكر فيمن أنشد بيت شعر أهو حرام فقال ابن داود لا قال فإن كان حسن الصوت حرم عليه إنشاده قال لا قال فإن أنشده وطوله وقصر منه الممدود ومد منه المقصور أيحرم عليه قال أنا لم أقو لشيطان واحد فكيف." (١)

"أصحاب الأخدود، وقيل: أصحاب الأخدود ذو نواس في قصة عبد الله بن التامر التي وقعت في السير، وقيل: كان أصحاب الأخدود في بني إسرائيل.

قال القاضي أبو محمد: **ورأيت في بعض الكتب** أن أصحاب الأخدود هو محرق وآله الذي حرق من بني تميم المائة، ويعترض هذا القول بقوله تعالى: وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود، فينفصل عن هذا الاعتراض بأن هذا الكلام من قصة أصحاب الأخدود، وأن المراد بقوله: وهم قريش الذين كانوا يفتنون المؤمنين والمؤمنات، واختلف الناس في جواب القسم، فقال بعض النحاة: هو محذوف لعلم السامع به، وقال آخرون: هو في قوله تعالى: قتل، والتقدير لقتل، وقال قتادة: هو في قوله: إن بطش ربك لشديد [البروج: ١٢] . وقال آخرون: هو في قوله: إن الذين فتنوا المؤمنين [البروج: ١٠] . وقوله تعالى: النار، بدل من الأخدود، وهو بدل اشتمال، وهي قراءة الجمهور:

«النار» بخفض الراء، وقرأ قوم «النار ذات» بالرفع على معنى: قتلهم النار، و «الوقود» بالضم مصدر من

---

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ٢/٢٦٩

وقدت النار إذا اضطرمت، و «الوقود» : بفتح الواو، ما توقد به، وقرأ الجمهور: بفتح الواو، وقرأ الحسن وأبو رجاء وأبو حيوة: بضمها، وكان من قصة هؤلاء أن الكفار قعدوا وضم المؤمنون، وعرض عليهم الكفر، فمن أبي رمي في أخدود النار فاحترق، فروي أنه أحرق عشرين ألفا، وقال الربيع بن أنس وأصحابه وابن إسحاق وأبو العالية: بعث الله تعالى على المؤمنين ريحا فقبضت أرواحهم أو نحو هذا، وخرجت النار فأحرقت الكافرين الذين كانوا على جانبي الأخدود، وعلى هذا يجيء قتل خبر الادعاء، وقال قتادة:
إذ هم عليها قعود، يعني المؤمنين، ونقموا معناه: اعتدوا، وقرأ جمهور الناس: «نقموا» ، بفتح القاف، وقرأ أبو حيوة وابن أبي عبلة: «نقموا» بكسر القاف.
قوله عز وجل:

[سورة البروج (٨٥) : الآيات ١٠ الى ١٦]
إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق (١٠) إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجري من تحتها الأنهار ذلك الفوز الكبير (١١) إن بطش ربك لشديد (١٢) إنه هو يبدئ ويعيد (١٣) وهو الغفور الودود (١٤)
ذو العرش المجيد (١٥) فعال لما يريد (١٦)
فتنوا معناه: أحرقوا، وفتنت الذهب والفضة في النار أحرقتهما، والفتين حجارة الحرة السود لأن الشمس كأنها أحرقتها، ومن قال إن هذه الآيات الأواخر في قريش جعل الفتنة الامتحان والتعذيب، ويقوي هذا التأويل بعض التقوية قوله تعالى: ثم لم يتوبوا لأن هذا اللفظ في قريش أحكم منه في أولئك الذين قد علم أنهم ماتوا على كفرهم، وأما قريش فكان فيهم وقت نزول الآية من تاب بعد ذلك وآمن بمحمد صلى الله عليه وسلم، و «جهنم» و «الحريق» طبقتان من النار، ومن قال إن النار خرجت وأحرقت الكافرين القعود، جعل «الحريق» في الدنيا، و «البطش» : الأخذ بقوة وشرعة، ويبدئ ويعيد، قال الضحاك وابن زيد معناه: يبدئ الخلق بالإنشاء ويعيد بالحشر، وقال ابن عباس ما معناه: إن ذلك عام في جميع الأشياء، فهي عبارة عن أنه يفعل كل شيء إنه يبدئ ويعيد كلما ينعاد، وهذان قسمان." (١)
"ولايته القضاء وسيرته
قال ابن القوطية: لما توفي المصعب بن عمران القاضي، استشار الأمير الحكم فيمن يستقضيه، فأجمع له

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٤٦٢/٥

وزراؤه وأعلام الناس، على محمد، بن بشير كاتب المصعب، وكان قد شهر عفافه واستقلاله بعهد المصعب، فولاه القضاء. فأثر على المصعب، وبعد في الفضل والعدل وصيته، وخلدت آثاره بعد. فلم يزل قاضيا إلى أن توفي فولي ابنه سعيد مكانه، قال ابن حارث: **رأيت في بعض الكتب**، أن ابن بشير لما وجه فيه، عدل في بعض طريقه إلى صديق له عابد، فنزل عليه، وتحدث معه في شأن نفسه، وتوقعه أنه وجه إليه في الكتابة التي قد تخلى عنها، فقال له صديقه: ما أرى بعث فيك إلا للقضاء. فقد مات قاضي قرطبة. فقال له ابن بشير: فإذا قبلتها فما ترى، فانصح لي وأشر علي. قال له العابد: أسألك عن ثلاثة أشياء فاصدقني فيها. كيف حبك لأكل الطيب، ولباس اللين، وركوب الغاره؟ فقال ابن بشير: والله ما أبالي ما رددت به جوعي، وسترت به عورتي، وحملت به رجلي، فقال هذه واحدة. فكيف حبك للوجوه الحسان وشبه هذا من الشهوات. فقال ابن بشير هذه حالة والله ما استشرقت نفسي إليها قط، ولا خطرت ببالي. قال: هذه ثانية. كيف حبك للمدح والثناء وكراهتك للعزل، وحب الولاية.." (١)

"طبقة ثامنة

بسم الله الرحمن الرحيم. قال الفقيه القاضي أبو الفضل رضي الله عنه وقد غفر له بمنه: ثم انتهى الفقه والمذهب بعد هذه الطبقة الى أخرى تليها فمنهم:

من أهل العراق

أبو محمد عبد الوهاب بن نصر القاضي

قال أبو بكر بن ثابت الحافظ في تاريخ: عبد الوهاب بن علي بن نصر بن أحمد بن الحسين بن هارون بن مالك أبو محمد الفقيه المالكي. سمع أبا عبد الله بن العسكري، وعمر بن محمد بن سبنك، وأبا حفص بن شاهين. كتبت عنه ولم ألق في المالكيين أفقه منه. وكان حسن النظر جيد العبارة وولي القضاء بالدينور وغيرها، وخرج في آخر عمره الى مصر، فمات بها **ورأيت في بعض الكتب** أنه ولي قضاء الدينور.." (٢)

"وقال: اعص الهوى وأطع من شئت، ولا تغتر بمال وإن كثر، ولا تطلب حاجة إلى كذوب، فإنه يبعدها وهي قريبة، ولا (إلى) جاهل فإنه يجعل حاجتك وقاية لحاجته.

---

(١) ترتيب المدارك وتقريب المسالك القاضي عياض ٣/٣٢٩

(٢) ترتيب المدارك وتقريب المسالك القاضي عياض ٧/٢٢٠

وقال: لا تنجو مما تكره حتى تمتنع عن كثير مما تحب وتريد.

أبو زيد البلخي

كان من حكماء الإسلام وفصحائه وبلغائه وله تصانيف كثيرة في كل فن، منها كتاب الأمد الأقصى وكتاب بيان وجوه الحكمة في الأوامر والنواهي الشرعية وسماه كتاب الإبانة عن علل الديانة وكتاب في الأخلاق وكتب أخر.

قال: للصدق أصل وفرع ونبات (من أ) كل من ثماره وجد حلاوة طعمه، والكذب عقيم لا أصل له ولا ثمرة فاحذره.

وقال: إذا كثر الخزان للأسرار زادت ضياعا.

وقال: من طلب لسره حافظا أفشاه.

وقال: لا بد من الموت فلا تخف، وإن كنت تخاف مما بعد الموت فأصلح شأنك قبل موتك وخف سيئاتك لا موتك.

وقال لطباخ سيء الطبخ ما أكيسه يصير الطعام قبل لا كل والهضم برازا، وقال يوما لطبيب ج اهل: عالج نفسك أولا ثم شخص غيرك ثانيا وقال إذا مدحك واحد بما ليس فيك فلا تأمن أن يذمك أيضا بما ليس فيك.

وقال: الشريعة الفلسفة الكبرى، ولا يكون الرجل متفلسفا حتى يكون متعبدا مواظبا على أداء أوامر الشرع.

وقال: من سره ما ليس فيه من الفضائل ساءه ما فيه من الرذائل.

وقال: الدواء الأكبر هو العلم.

الفيلسوف أبو الفرج بن الطيب الجاثليق

كان الشيخ أبو علي يذمه ويهجن تصانيفه، ويقول في المباحث من حق تصنيفه أن يرد على بايعه، ويترك عليه ثمنه، ولعل ذلك لتحاسد يكون بين أهل العصر.

وأبو الفرج كان من حكماء بغداد وكان حكيما ملء إهابه، داخلا بيت الحكمة من أبوابه، وله تصانيف في المنطق وغير ذلك وقد وجدت له تصنيفا لطيفا في كمية الأعمار ورسائل وكان عالما باللغة الرومية واليونانية. وكان أبو علي يعترف بتقدمه في صناعة الطب ثم يعترض على بعض رسائله في الطب ويقول ظننت أن أبا الفرج كان مقدما في الطب إلا أن كلامه غير فصيح، فبعضه مستقيم وبعضه سقيم فهو من المستطرفين لا من أصحاب الصناعة وأنا قد رأيت كتابا لأبي الفرج في علل الأشياء واستفدت منه واعترفت بأنه كان

حكيما ولكن بينه وبين أبي علي بون بعيد، وأبو علي كان مؤذيا مهجنا.

وقد رأيت في بعض الكتب أن أبا علي دخل على الحكيم أبي علي ابن مسكويه صاحب كتاب تجاب الأمم وكتاب الشوامل والهوامل، والتلامذة حوله فرمى أبو علي إليه جوزة وقال بين مساحة هذه الجوزة بالشعيرات، فرفع ابن مسكويه أجزاء في الأخلاق ورماها إلى ابن سينا وقال: أما أنت فأصلح أخلاقك أولا حتى استخرج مساحة الجوزة وأنت أحوج إلى إصلاح أخلاقك مني إلى مساحة الجوزة.

وهكذا يطعن أبو علي في أثناء تصانيفه على أبي الفرج وليس الذم والتثريب والتهجين من دأب الحكماء المبرزين بل تقرير الحق، ومن قرر الحق، استغني عن تهجين أهل الباطل، صاننا الله عن الرذائل وأسبغ عليna نعم الفضائل.

وقد بعث أبو الريحان البيروني مسائل إلى أبي علي فأجاب عنها أبو علي، واعترض أبو الريحان على أجوبة أبي علي وهجنه وهجن كلامه وأذاقه مرارة التهجين وخاطب أبا علي بما لا يخاطب به العوام فضلا عن الحكماء فلما تأمل أبو الفرج الأسئلة والأجوبة قال: من نخل الناس نخلوه ناب عني أبو الريحان.

وكان أبو الفرج يقول: أنا من أولاد فولوس وفولوس كان ابن أخت جالينوس. ولما بعث الله تعالى عيسى بالحق إلى الناس كان جالينوس شيخا عاجزا فبعث إلى عيسى عليه السلام ابن أخته فولوس واعتذر إليه وقال: أنا محبوس الهرم. وكتب إلى عيسى عليه السلام كتابا، وكان عيسى يقرأ ويكتب، ومضمون الكتاب: يا طبيب النفوس ونبي الله ربما عجز المريض عن خدمة الطبيب بسبب عوارض جسمانية، وقد بعثت إليك بعضي وهو فولوس لتعالج نفسه بالآداب النبوية والسلام.

فلما وصل فولوس إلى عيسى أكرمه عيسى عليه السلام وصار من الحواريين وكتب عيسى إلى جالينوس: يا من أنصف من علمه، الصحيح لا يحتاج إلى الطبيب إلا في حفظ صحته والمسافة لا تحجب النفوس عن النفوس والسلام وادعت النصارى أن فولوس صار بعد شمعون الصفا نبيا وله كتاب فيه دلائل البعث والحشر.." (١)

"أخبرنا أبو محمد بن الآبنوسي في كتابه ثم أخبرني أبو الفضل بن ناصر عنه أنا أبو محمد الجوهري أنا أبو الحسين بن المظفر أنا أبو علي المدائني أنا أبو بكر بن البرقي قال ولد أبو هاشم بن عتبة عبد الله وأم حبيب وأم خالد وكانت أم حبيب عند يزيد بن معاوية فولدت له معاوية وعبد الله ثم خلف على أختها أم خالد بنت أبي هاشم فولدت له خالد بن يزيد بن معاوية ذكر أبو العباس أحمد بن يونس بن المسيب

---

(١) تتمة صوان الحكمة البيهقي، ظهير الدين ص/٦

الضبي أن معاوية بن يزيد ولد سنة ثلاث وأربعين وذكر سعيد بن محمد بن عفير أنه كان أبيض قضيفا (١) حسن الوجه دقيقه (٢) أخبرنا أبو غالب بن البنا أنا ابن الآبنوسي أنا أبو القاسم بن جنيقا أنا إسماعيل بن علي الخطبي (٣) قال **ورأيت في بعض الكتب** صفته أنه كان رجلا أبيض شديد البياض كثير الشعر كبير العينين جعد الشعر أقنى الأنف مدور الرأس جميل الوجه من الرجال حسن الجسم (٤) قال وأنا الخطبي أنا محمد بن حي ان يعني القاضي حدثني أبو طالب القطان عن معاوية بن صالح عن أبي غسان عن معمر بن مثنى عن سعيد بن ثروان مولى عباد بن زياد أن يزيد بن معاوية استخلف ابنه معاوية بن يزيد فولي ثلاثة أشهر فلم يخرج إلى الناس ولم يزل مريضا (٥) والضحاك بن قيس يصلي بالناس فقيل له اعهد فقال لا يسألني الله عن ذلك ولكن إذا مت فليصل للناس الوليد بن عتبة والضحاك بن قيس حتى يقوم بالخلافة قائم

---

(١) بالاصل ود و " ز ": قصيفا بالصاد المهملة ولعل الصواب ما أثبت جاء في القاموس: القضف: النحافة وهو قضيف

(٢) زيادة عن د و " ز "

(٣) ضبطت عن اللباب بضم الخاء المعجمة وفتح الطاء المهملة وهذا النسة إلى الخطب وإنشائها

(٤) تاريخ الاسلام (٦١ - ٨٠) ص ٢٥١

(٥) كذا بالاصل ود و " ز " ولم يرد في الطبري ولا في الكامل لابن الاثير ولا في مروج الذهب أنه كان مريضا." (١)

"وهلك معاوية بن يزيد وهو ابن إحدى وعشرين سنة وولي أربعين ليلة أخبرنا أبو غالب الماوردي أنا السيرافي أنا أحمد بن إسحاق نا أحمد بن عمران نا موسى نا خليفة قال ونا ابن الكلبي عن عوانة قال ولي أربعين يوما ومات وهو ابن خمس عشرة سنة وصلى عليه أخوه خالد بن يزيد (١) حدثنا أبو بكر يحيى بن إبراهيم السلماسي أنا نعمة الله بن محمد المرندي (٢) نا أبو مسعود البجلي نا محمد بن أحمد بن سليمان أنا أبو الحسن سفيان بن محمد حدثني عمي أبو بكر نا محمد بن علي ابن عم رواد بن الجراح عن محمد بن إسحاق قال سمعت أبا عمر الضرير يقول ثم ولي معاوية بن يزيد أربعة أشهر أخبرنا أبو غالب بن البنا أنا الحسين بن الآبنوسي أنا أبو القاسم بن جنيقا أنا إسماعيل بن علي قال **رأيت في بعض الكتب** أنه توفي

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٢٩٩/٩٥

وله ثلاث وعشرون سنة وثمانية عشر يوما قرأت على أبي محمد السلمي عن أبي محمد التميمي أنا مكي بن محمد أنا أبو سليمان بن زبر قال وفيها يعني سنة أربع وستين مات يزيد بن معاوية للنصف من شهر ربيع الأول وبويع ابنه معاوية بن يزيد فعاش أربعين يوما ثم مات وقيل له لما حضرته الوفاة لو استخلفت فقال كفيتها حيا وأتضمنها ميتا مات معاوية وهو ابن إحدى وعشرين سنة

٧٥٣٧ - معاوية (٣) بن يزيد بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي (٤) وفد مع أبيه على عمر بن عبد العزيز وسجنه معه فلما ثقل عمر بن عبد العزيز هرب يزيد (٥) ومعاوية من السجن ولحقا بالعراق فلما غلب أبوه يزيد على البصرة استخلف معاوية على واسط وتوجه نحو العقر (٦) فلما بلغه قتلة أبيه قتل من كان معه من أسارى أهل الشام

---

(١) ليس في تاريخ خليفة بن خياط المطبوع الذي بين يدي (ت العمري)

(٢) في " ز ": المرثدي

(٣) سقطت ترجمته بكاملها من " ز "

(٤) جمهرة ابن حزم ٣٦٨

(٥) راجع مروج الذهب ٣ / ٢٤٣

(٦) العقر بفتح أوله وسكون ثانيه في عدة مواضع والمراد هنا عقر بابل قرب كربلاء من الكوفة (راجع معجم البلدان)." (١)

"أخبرنا عبد الرحمن قال: أخبرنا أحمد بن علي قال: أخبرنا أبو عمر الحسن بن عثمان بن الفلو قال: أخبرنا جعفر بن محمد بن أحمد بن الحكم قال: حدثني أبو الفضل العباس بن أحمد الحداد قال: سمعت أحمد البربري [١] يقول: مدينة أبي جعفر ثلاثون ومائة جريب، خنادقها وسورها ثلاثون جريبا، وأنفق عليها ثمانية عشر ألف ألف [٢] .

قال الخطيب: **ورأيت في بعض الكتب** أن المنصور أنفق على مدينته وجامعها وقصر الذهب فيها والأبواب والأسواق إلى أن فرغ من بنائها أربعة آلاف وثلاثة وثمانين درهما، مبلغها من الفلوس مائة ألف فلس وثلاثة وعشرون ألف فلس، وذلك أن الأستاذ من الصناع كان يعمل يومه بقيراط إلى خمس حبات، والروزداري

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٣٠٥/٥٩

يعمل بحبتين إلى ثلاث حبات، وهذا خلاف ما تقدم ذكره، وبين القولين تفاوت كثير [٣] .
أخبرنا عبد الرحمن قال: أخبرنا أبو بكر بن ثابت الخطيب قال: أخبرنا محمد بن علي الوراق قال: أخبرنا محمد بن جعفر النحوي قال: حدثنا الحسن بن محمد السكوني قال: حدثنا محمد بن خلف قال: قال يحيى بن الحسن بن عبد الخالق: خط المدينة ميل في ميل [٤] ، / ولبنها ذراع في ذراع [٥] .
قال ابن خلف: قال أحمد بن محمد الشروي: وهدمنا من السور الذي على باب المحول قطعة، فوجدنا فيها لبنة مكتوب عليها بمغرة وزنها مائة وسبعة عشر رطلا، فوزناها فوجدناها كذلك [٦] قال الخطيب: وبلغني عن محمد بن خلف أن أبا حنيفة النعمان بن ثابت كان يتولى القيام بضرب لبن المدينة وعدده حتى فرغ من استتمام بناء حائط المدينة مما يلي الخندق. وكان أبو حنيفة يعد اللبن بالقصب، وهو أول من فعل ذلك، فاستفاده الناس منه [٧] .

---

[١] في تاريخ بغداد: «أحمد بن البربري» .

[٢] انظر الخبر في: تاريخ بغداد ١/ ٦٩.

[٣] انظر الخبر في: تاريخ بغداد ١/ ٦٩- ٧٠.

[٤] في الأصل: «مثل في مثل» وما أثبتناه من ت وتاريخ بغداد.

[٥] انظر: تاريخ بغداد ١/ ٧٠.

[٦] انظر الخبر في: تاريخ بغداد ١/ ٧٢.

[٧] انظر الخبر في: تاريخ بغداد ١/ ٧١.." (١)

"[سورة الأعراف (٧) : الآيات ٥٠ الى ٥١]
ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا إن الله حرمهما على الكافرين (٥٠) الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا وغرتهم الحياة الدنيا فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا وما كانوا بآياتنا يجحدون (٥١)
اعلم أنه تعالى لما بين ما يقوله أصحاب الأعراف لأهل النار أتبعه بذكر ما يقوله أهل النار لأهل الجنة.
قال ابن عباس رضي الله عنهما: لما صار أصحاب الأعراف إلى الجنة طمع أهل النار بفرج بعد اليأس فقالوا:

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ٧٥/٨

يا رب إن لنا قرابات من أهل الجنة فأذن لنا حتى نراهم ونكلمهم فأمر الله الجنة فتزحزحت ثم نظر أهل جهنم إلى قراباتهم في الجنة وما هم فيه من النعيم فعرفوهم ونظر أهل الجنة إلى قراباتهم من أهل جهنم فلم يعرفوهم وقد اسودت وجوههم وصاروا خلقا آخر فنادى أصحاب النار أصحاب الجنة بأسمائهم وقالوا: أفيضوا علينا من الماء وإنما طلبوا الماء خاصة لشدة ما في بواطنهم من الاحتراق واللهيب بسبب شدة حر جهنم. وقوله: أفيضوا كالدلالة على أن أهل الجنة أعلى مكانا من أهل النار.

فإن قيل: أسألوا مع الرجاء والجواز ومع اليأس؟

قلنا: ما حكيناه عن ابن عباس يدل على أنهم طلبوا الماء مع جواز الحصول. وقال القاضي: بل مع اليأس لأنهم قد عرفوا دوام عقابهم وأنه لا يفتر عنهم ولكن الآيس من الشيء قد يطلبه كما/ يقال في المثل: الغريق يتعلق بالزبد وإن علم أنه لا يغيثه. وقوله: أو مما رزقكم الله قيل إنه الثمار وقيل إنه الطعام وهذا الكلام يدل على حصول العطش الشديد والجوع الشديد لهم عن أبي الدرداء أن الله تعالى يرسل على أهل النار الجوع حتى يزداد عذابهم فيستغيثون فيغاثون بالضريع لا يسمن ولا يغني من جوع ثم يستغيثون فيغاثون بطعام ذي غصة ثم يذكرون الشراب ويستغيثون فيدفع إليهم الحميم والصديد بكلاليب الحديد فيقطع ما في بطونهم ويستغيثون إلى أهل الجنة كما في هذه الآية فيقول أهل الجنة: إن الله حرمهما على الكافرين ويقولون لمالك: ليقض علينا ربك [الزخرف: ٧٧] فيجيبهم على ما قيل بعد ألف عام ويقولون: ربنا أخرجنا منها [المؤمنون: ١٠٧] فيجيبهم اخسؤا فيها ولا تكلمون [المؤمنون: ١٠٨] فعند ذلك ييأسون من كل خير ويأخذون في الزفير والشهيق. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أنه ذكر في صفة أهل الجنة أنهم يرون الله عز وجل كل جمعة ولمنزل كل واحد منهم ألف باب فإذا رأوا الله تعالى دخل من كل باب ملك معه الهدايا الشريفة وقال: إن نخل الجنة خشبها الزمرد وترابها الذهب الأحمر وسعفها حلل وكسوة لأهل الجنة وثمرها أمثال القلال أو الدلاء أشد بياضا من الفضة وألين من الزبد وأحلى من العسل لا عجم له فهذا صفة أهل الجنة وصفة أهل النار **ورأيت في بعض الكتب**: أن قارئا قرأ قوله تعالى حكاية عن الكفار: أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله في تذكرة الأستاذ أبي علي الدقاق فقال الأستاذ: هؤلاء كانت رغبتهم وشهوتهم في الدنيا في الشرب والأكل وفي الآخرة بقوا على هذه الحالة وذلك يدل على أن الرجل يموت على ما عاش عليه ويحشر على ما مات عليه ثم بين تعالى أن هؤلاء الكفار لما طلبوا الماء والطعام من

أهل الجنة قال أهل الجنة إن الله حرمهما على الكافرين ولا شك أن ذلك يفيد الخيبة التامة ثم إنه تعالى وصف." (١)

"المسألة الأولى: قال العلماء من أهل اللغة، يقال: رجل عربي. إذا كان نسبه في العرب وجمعه العرب.

كما تقول مجوسي ويهودي، ثم يحذف ياء النسبة في الجمع، فيقال: المجوس واليهود، ورجل أعرابي، بالألف إذا كان بدويا، يطلب مساقط الغيث والكلإ، سواء كان من العرب أو من مواليهم، ويجمع الأعرابي على الأعراب والأعاريب، فالأعرابي إذا قيل له يا عربي: فرح، والعربي إذا قيل له: يا أعرابي، غضب له، فمن استوطن القرى العربية فهم عرب، ومن نزل البادية فهم أعراب، والذي يدل على الفرق وجوه: الأول: أنه عليه السلام قال: «حب العرب من الإيمان»

وأما الأعراب فقد ذمهم الله في هذه الآية. والثاني: أنه لا يجوز أن يقال: للمهاجرين والأنصار أعراب، إنما هم عرب، وهم متقدمون في مراتب الدين على الأعراب.

قال عليه السلام: «لا تؤمن امرأة رجلا ولا فاسق مؤمنا ولا أعرابي مهاجرا»

الثالث: قيل إنما سمي العرب عربا لأن أولاد إسماعيل نشأوا بعربة، وهي من تهامة. فنسبوا إلى بلدهم وكل من يسكن جزيرة العرب وينطق بلسانهم فهو منهم، لأنهم إنما تولدوا من أولاد إسماعيل وقيل: سموا بالعرب، لأنه ألسنتهم معربة عما في ضمائرهم، ولا شك أن اللسان العربي مختص بأنواع من الفصاحة والجزالة لا توجد في سائر الألسنة، **ورأيت في بعض الكتب** عن بعض الحكماء أنه قال: حكمة الروم في أدمغتهم وذلك لأنهم يقدرون على التركيبات العجيبة، وحكمة الهند في أوهامهم، وحكمة يونان في أفئدتهم. وذلك لكثرة ما لهم من المباحث العقلية، وحكمة العرب في ألسنتهم، وذلك لحلاوة ألفاظهم وعذوبة عباراتهم.

المسألة الثانية: من الناس من قال: الجمع المحلى بالألف واللام الأصل فيه أن ينصرف إلى المعهود السابق، فإن لم يوجد المعهود السابق، حمل على الاستغراق للضرورة. قالوا: لأن صيغة الجمع يكفي في حصول معناها الثلاثة فما فوقها، والألف واللام للتعريف، فإن حصل جمع هو معهود سابق وجب الانصراف إليه، وإن لم يوجد فحينئذ يحمل على الاستغراق دفعا للإجمال.

قالوا إذا ثبت هذا فنقول: قوله: الأعراب المراد منه جمع معينون من منافقي الأعراب، كانوا يوالون منافقي المدينة فانصرف هذا اللفظ إليهم.

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ١٤/٢٥٢

المسألة الثالثة: أنه تعالى حكم على الأعراب بحكمين:

الحكم الأول أنهم أشد كفرا ونفاقا، والسبب فيه وجوه: الأول: أن أهل البدو يشبهون الوحوش. والثاني: استيلاء الهواء الحار اليابس عليهم، وذلك يوجب مزيد التيه والتكبر والنخوة والفخر والطيش عليهم، والثالث: أنهم ما كانوا تحت سياسة سائس، ولا تأديب مؤدب، ولا ضبط ضبط فنشاؤا كما شاؤوا، ومن كان كذلك خرج على أشد الجهات فسادا. والرابع: أن من أصبح وو أمسى مشاهدا لوعظ رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبياناته الشافية، وتأديباته الكاملة، كيف يكون مساويا لمن لم يؤاثر هذا الخير، ولم يسمع خبره. والخامس: قابل الفواكه الجبلية بالفواكه البستانية لتعرف الفرق بين أهل الحضر والبادية.." (١)

"وحقد حتى يقال: إنه لأجل ذلك الحقد لم يقبل منه هذا الإقرار؟

والجواب: العلماء ذكروا فيه وجوها:

الوجه الأول: أنه إنما آمن عند نزول العذاب، والإيمان في هذا الوقت غير مقبول، لأن عند نزول العذاب يصير الحال وقت الإلجاء، وفي هذا الحال لا تكون التوبة مقبولة، ولهذا السبب قال تعالى: فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا [غافر: ٨٥] .

الوجه الثاني: هو أنه إنما ذكر هذه الكلمة ليتوسل بها إلى دفع تلك البلية الحاضرة والمحنة الناجزة، فما كان مقصوده من هذه الكلمة الإقرار بوحدانية الله تعالى، والاعتراف بعزة الربوبية/ وذلة العبودية، وعلى هذا التقدير فما كان ذكر هذه الكلمة مقرونا بالإخلاص، فلهذا السبب ما كان مقبولا.

الوجه الثالث: هو أن ذلك الإقرار كان مبنيا على محض التقليد، ألا ترى أنه قال: لا إله إلا الذي آمنت به بنوا إسرائيل فكأنه اعترف بأنه لا يعرف الله، إلا أنه سمع من بني إسرائيل أن للعالم إلها، فهو أقر بذلك الإله الذي سمع من بني إسرائيل أنهم أقروا بوجوده، فكان هذا محض التقليد، فلهذا السبب لم تصر الكلمة مقبولة منه، ومزيد التحقيق فيه أن فرعون على ما بيناه في سورة طه كان من الدهرية، وكان من المنكرين لوجود الصانع تعالى، ومثل هذا الاعتقاد الفاحش لا تزول ظلمته، إلا بنور الحجج القطعية، والدلائل اليقينية، وأما بالتقليد المحض فهو لا يفيد، لأنه يكون ضما لظلمة التقليد إلى ظلمة الجهل السابق.

الوجه الرابع: **رأيت في بعض الكتب** أن بعض أقوام من بني إسرائيل لما جاوزوا البحر اشتغلوا بعبادة العجل، فلما قال فرعون آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنوا إسرائيل انصرف ذلك إلى العجل الذي آمنوا بعبادته في ذلك الوقت، فكانت هذه الكلمة في حقه سببا لزيادة الكفر.

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ١٦/١٢٥

الوجه الخامس: أن اليهود كانت قلوبهم مائلة إلى التشبيه والتجسيم ولهذا السبب اشتغلوا بعبادة العجل لظنهم أنه تعالى حل في جسد ذلك العجل ونزل فيه، فلما كان الأمر كذلك وقال فرعون آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنوا إسرائيل فكأنه آمن بالإله الموصوف بالجسمية والحلول والنزول، وكل من اعتقد ذلك كان كافرا فلهذا السبب ما صح إيمان فرعون.

الوجه السادس: لعل الإيمان إنما كان يتم بالإقرار بوحدانية الله تعالى، والإقرار بنبوة موسى عليه السلام فهنا لما أقر فرعون بالوحدانية ولم يقر بالنبوة لا جرم لم يصح إيمانه ونظيره أن الواحد من الكفار لو قال ألف مرة أشهد أن لا إله إلا الله فإنه لا يصح إيمان إلا إذا قال معه وأشهد أن محمدا رسول الله، فكذا هاهنا.

الوجه السابع: روى صاحب «الكشاف» أن جبريل عليه السلام أتى فرعون بفتيا فيها ما قول الأمير في عبد نشأ في مال مولاه ونعمته، فكفر نعمته وجحد حقه، وادعى السيادة دونه، فكتب فرعون فيها يقول أبو العباس الوليد بن مصعب جزاء العبد الخارج على سيده الكافر بنعمته أن يغرق في البحر، ثم إن فرعون لما غرق رفع جبريل عليه السلام فتياه إليه.

أما قوله تعالى: آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين ففيه سؤالات:

السؤال الأول: من القائل له آلآن وقد عصيت قبل.." (١)

"لحقها وتعظيما لجانبها وإخفاء للأمر عليها، فأرادت أن تكافئه على هذا الفعل الحسن فلا جرم أزالت الغطاء والوطاء واعترفت بأن الذنب كله كان من جانبها وأن يوسف عليه السلام كان مبرأ عن الكل، **ورأيت في بعض الكتب** أن امرأة جاءت بزوجها إلى القاضي وادعت عليه المهر، فأمر القاضي بأن يكشف عن وجهها حتى تتمكن الشهود من إقامة الشهادة، فقال الزوج: لا حاجة إلى ذلك، فإني مقر بصدقها في دعواها، فقالت المرأة لما أكرمتني إلى هذا الحد فاشهدوا أني أبرأت ذمتك من كل حق لي عليك.

المسألة الثانية: قال أهل اللغة: حصحص الحق معناه: وضح وانكشف وتمكن في القلوب والنفوس من قولهم: حصحص البعير في بروكه، إذا تمكن واستقر في الأرض. قال الزجاج: اشتقاقه في اللغة من الحصة، أي بانت حصة الحق من حصة الباطل.

المسألة الثالثة: اختلفوا في أن قوله: ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب كلام من؟ وفيه أقوال:

القول الأول: وهو قول الأكثرين أنه قول يوسف عليه السلام. قال الفراء: ولا يبعد وصل كلام إنسان بكلام

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٢٩٦/١٧

إنسان آخر إذا دلت القرينة عليه ومثاله قوله تعالى: إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة [النمل: ٣٤] وهذا كلام بلقيس. ثم إنه تعالى قال: وكذلك يفعلون وأيضا قوله تعالى: ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه [آل عمران: ٩] كلام الداعي.

ثم قال: إن الله لا يخلف الميعاد بقي على هذا القول سؤالات:

السؤال الأول: قوله: ذلك إشارة إلى الغائب، والمراد هاهنا: الإشارة إلى تلك الحادثة الحاضرة.

والجواب: أجبنا عنه في قوله: ذلك الكتاب [البقرة: ٢] وقيل: ذلك إشارة إلى ما فعله من رد الرسول كأنه يقول ذلك الذي فعلت من ردي الرسول إنما كان، ليعلم الملك أني لم أخنه بالغيب.

السؤال الثاني: متى قال يوسف عليه السلام هذا القول؟

الجواب: روى عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما أن يوسف عليه السلام لما دخل على الملك قال ذلك ليعلم وإنما ذكره على لفظ الغيبة تعظيما للملك عن الخطاب والأولى أنه عليه السلام إنما قال ذلك عند عود الرسول إليه لأن ذكر هذا الكلام في حضرة الملك سوء أدب.

السؤال الثالث: هذه الخيانة وقعت في حق العزيز فكيف يقول: ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب.

والجواب: قيل المراد ليعلم الملك أني لم أخن العزيز بالغيبة، وقيل إنه إذا خان وزيره فقد خانه من بعض الوجوه، وقيل إن الشرابي لما رجع إلى يوسف عليه السلام وهو في السجن قال ذلك ليعلم العزيز أني لم أخنه بالغيب ثم ختم الكلام بقوله: وأن الله لا يهدي كيد الخائنين ولعل المراد منه أني لو كنت خائنا لما خلصني الله تعالى من هذه الورطة، وحيث خلصني منها ظهر أني كنت مبرأ عما نسبوني إليه.

والقول الثاني: أن قوله: ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب كلام امرأة العزيز والمعنى: أني وإن أحلت الذنب عليه عند حضوره لكني ما أحلت الذنب عليه عند غيبته، أي لم أقل فيه وهو في السجن خلاف الحق. ثم إنها بالغت في تأكيد الحق بهذا القول، وقالت: وأن الله لا يهدي كيد الخائنين يعني أني لما أقدمت على." (١)

"عين الجهل لأن الملائكة قالوا: لا علم لنا إلا ما علمتنا [البقرة: ٣٢] وقال تعالى: وما قدروا الله حق قدره [الأنعام: ٩١] وأيضا قد ثبت بالبرهان اليقيني أنه لا حق لأحد من الخلق على الحق فكيف يحصل ظن الاستحقاق.

الحجة الثانية: أن الكرامات أشياء مغايرة للحق سبحانه فالفرح بالكرامة فرح بغير الحق والفرح بغير الحق

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٤٦٨/١٨

حجاب عن الحق والمحجوب عن الحق كيف يليق به الفرح والسرور.

الحجة الثالثة: أن من اعتقد في نفسه أنه صار مستحقا للكرامة بسبب عمله حصل لعمله وقع عظيم في قلبه ومن كان لعمله وقع عنده كان جاهلا ولو عرف ربه لعلم أن كل طاعات الخلق في جنب جلال الله تقصير وكل شكرهم في جنب آلائه ونعمائه قصور وكل معارفهم وعلومهم فهي في مقابلة عزته حيرة وجهل. **رأيت في بعض الكتب** أنه قرأ المقرئ في مجلس الأستاذ أبي علي الدقاق قوله تعالى: إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه [فاطر: ١٠] فقال ء‌لامة أن الحق رفع عملك أن لا يبقي [ذكره] عندك فإن بقي عملك في نظرك فهو مدفوع وإن لم يبق معك فهو مرفوع مقبول.

الحجة الرابعة: أن صاحب الكرامة إنما وجد الكرامة لإظهار الذل والتواضع في حضرة الله فإذا ترفع وتجبر وتكبر بسبب تلك الكرامات فقد بطل ما به وصل إلى الكرامات فهذا طريق ثبوته يؤديه إلى عدمه فكان مردودا ولهذا المعنى لما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم مناقب نفسه/ وفضائلها كان يقول في آخر كل واحد منها ولا فخر يعني لا أفتخر بهذه الكرامات وإنما أفتخر بالمكرم والمعطي.

الحجة الخامسة: أن ظاهر الكرامات في حق إبليس وفي حق بلعام كان عظيما ثم قيل لإبليس وكان من الكافرين وقيل لبلعام فمثله كمثل الكلب وقيل لعلماء بني إسرائيل: مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا [الجمعة: ٥] وقيل أيضا في حقهم: وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم [آل عمران: ١٩] فبين أن وقوعهم في الظلمات والضلالات كان بسبب فرحهم بما أوتوا من العلم والزهد.

الحجة السادسة: أن الكرامة غير المكرم وكل ما هو غير المكرم فهو ذليل وكل من تعزز بالذليل فهو ذليل، ولهذا المعنى

قال الخليل صلوات الله عليه: «١» أما إليك فلا، فالاستغناء بالفقير فقر والتقوي بالعاجز عجز والاستكمال بالناقص نقصان والفرح بالمحدث بله والإقبال بالكلية على الحق خلاص،

فثبت أن الفقير إذا ابتهج بالكرامة سقط عن درجته. أما إذا كان لا يشاهد في الكرامات إلا المكرم ولا في الإعزاز إلا المعز ولا في الخلق إلا الخالق فهناك يحق الوصول.

الحجة السابعة: أن الافتخار بالنفس وبصفاتها من صفات إبليس وفرعون، قال إبليس: أنا خير منه [الأعراف: ١٢] وقال فرعون: أليس لي ملك مصر [الزخرف: ٥١] وكل من ادعى الإلهية أو النبوة بالكذب فليس له غرض إلا تزيين النفس وتقوية الحرص والعجب ولهذا

قال عليه السلام: «ثلاث مهلكات، وختمها بقوله: وإعجاب المرء بنفسه» .

---

(١) هذا من خطابه لجبريل عليه السلام فإنه

لما ألقي في النار سأله جبريل فقال: ألك حاجة؟ فقال إبراهيم عليه السلام أما إليك فلا!

[.....]."(١)

"للأمر وأن يكون نهيا بدلا من الأمر، والمعنى لا تكونوا حيث أنتم فيحطمنكم على طريقة: لا أرينك هاهنا. وفي هذه الآية تنبيه على أمور: أحدها: أن من يسير في الطريق لا يلزمه التحرز، وإنما يلزم من في الطريق التحرز وثانيها: أن النملة قالت: وهم لا يشعرون كأنها عرفت أن النبي معصوم فلا يقع منه قتل هذه الحيوانات إلا على سبيل السهو، وهذا تنبيه عظيم على وجوب الجزم بعصمة الأنبياء عليهم السلام وثالثها: ما **رأيت في بعض الكتب** أن تلك النملة إنما أمرت غيرها بالدخول لأنها خافت على قومها أنها إذا رأت سليمان في جلالته، فربما وقعت في كفران نعمة الله تعالى وهذا هو المراد بقوله: لا يحطمنكم/ سليمان فأمرتها بالدخول في مساكنها لئلا ترى تلك النعم فلا تقع في كفران نعمة الله تعالى، وهذا تنبيه على أن مجالسة أرباب الدنيا محذورة ورابعها: قرئ (مسكنكم) و (لا يحطمنكم) بتخفيف النون، وقرئ (لا يحطمنكم) بفتح الطاء وكسرها وأصلها (يحطمنكم) «١» .

أما قوله تعالى: فتبسم ضاحكا من قولها يعني تبسم شارعا في الضحك [وآخذا فيه] «٢» ، بمعنى أنه قد تجاوز حد التبسم إلى الضحك، وإنما ضحك لأمرين: أحدهما: إعجابه بما دل من قولها على ظهور رحمته ورحمة جنوده [وشفقتهم] «٣» وعلى شهرة حاله وحالهم في باب التقوى، وذلك قولها: وهم لا يشعرون والثاني: سروره بما آتاه الله مما لم يؤت أحدا من سماعه لكلام النملة وإحاطته بمعناه.

وأما قوله تعالى: رب أوزعني فقال صاحب «الكشاف» : حقيقة أوزعني: اجعلني أزع شكر نعمتك عندي وأكفه عن أن ينقلب عني، حتى أكون شاكرا لك أبدا، وهذا يدل على مذهبا فإن عند المعتزلة كل ما أمكن فعله من الألطاف فقد صارت مفعولة وطلب تحصيل الحاصل عبث.

وأما قوله تعالى: وعلى والدي فذلك لأنه عد نعم الله تعالى على والديه نعمة عليه. ومعنى قوله: وأن أعمل صالحا ترضاه طلب الإعانة في الشكر وفي العمل الصالح، ثم قال: وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين فلما طلب في الدنيا الإعانة على الخيرات طلب أن يجعل في الآخرة من الصالحين، وقوله:

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٤٣٩/٢١

برحمتك يدل على أن دخول الجنة برحمته وفضله لا باستحقاق من جانب العبد واعلم أن سليمان عليه السلام طلب ما يكون وسيلة إلى ثواب الآخرة أولا ثم طلب ثواب الآخرة ثانيا، أما وسيلة الثواب فهي أمران: أحدهما: شكر النعمة السالفة والثاني: الاشتغال بسائر أنواع الخدمة، أما الاشتغال بشكر النعمة السالفة، فهي قوله تعالى: رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي ولما كان الإنعام على الآباء إنعاما على الأبناء لأن انتساب الابن إلى أب شريف نعمة من الله تعالى على الابن، لا جرم اشتغل بشكر نعم الله على الآباء بقوله:

وعلى والدي وأما الاشتغال بسائر أنواع الخدمة، فقوله: وأن أعمل صالحا ترضاه وأما طلب ثواب الآخرة فقوله: وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين فإن قيل درجات الأنبياء أعظم من درجات الأولياء والصالحين، فما السبب في أن الأنبياء يطلبون جعلهم من الصالحين فقال يوسف: توفني مسلما وألحقني بالصالحين وقال سليمان: أدخلني برحمتك في عبادك الصالحين؟ جوابه: الصالح الكامل هو الذي لا يعصي الله ولا يهم بمعصية وهذه درجة عالية، والله أعلم.

---

(١) في الكشاف (يحتطمنكم) .

(٢) زيادة من الكشاف. [.....]

(٣) زيادة من الكشاف.." (١)

"- باب عسكر وعسكر

-

أما الأول بضم العين المهملة والكاف فهو

٤١٦٤ - برح بن عسكر بن وتار وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد فتح مصر واختط بها قال ابن يونس ذكره سعيد بن عفير فقال حسكل قال ابن يونس **ورأيت في بعض الكتب** القديمة في النسب بخط ابن لهيعة برح بن عسكر وما علمت له رواية بمصر ولا بغيرها

وأما عسكر بفتح العين والكاف فهو." (٢)

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٥٤٩/٢٤

(٢) إكمال الإكمال لابن نقطة ابن نقطة ١٧٠/٤

"قال: فاعترض القول- والبراء يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم- أبو الهيثم بن التيهان حليف بني عبد الأشهل، فكان البراء أول من ضرب على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم تتابع القوم.

وتوفي في سفر قبل قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة مهاجرا بشهر، فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى قبره في أصحابه، فكبر عليه، وصلى وكبر أربعا، ولما حضره الموت أوصى أن يدفن وتستقبل به الكعبة، ففعلوا ذلك» .

أخرجه الثلاثة.

سلمة: بكسر اللام، فإذا نسبت إليه فتحتها.

وتزيد: بالتاء فوقها نقطتان، وبالزاي.

ومعرور: بالعين المهملة.

وساردة: بالسين المهملة، والراء والدال المهملة.

٣٩٣- برح بن عسكر

(د ع) برح بن عسكر بن وتار. قاله ابن منده وأبو نعيم وقالا: أنه وفد على النبي صلى الله عليه وسلم وشهد فتح مصر، عن ابن يونس.

وقال ابن ماكولا: وأما برح بكسر الباء العجمة بواحدة، وسكون الراء، وبالحاء المهملة، فهو:

برح بن عسكر بن وتار بن كرع بن حضرمي بن النعمان بن مهري [١] بن حيدان بن عمرو بن الحاف ابن قضاعة، وفد على النبي صلى الله عليه وسلم وشهد فتح مصر، واختط بها وسكنها، وهو معروف من أهل مصر، وقال: قال ابن يونس: **ورأيت في بعض الكتب** القديمة في النسب القديم بخط ابن لهيعة: برح بن عسكر وذكر نسبه الذي ذكرناه.. كذا ضبطه ابن ماكولا بالعين، والكاف المضمومتين، والله أعلم.

أخرجه ابن منده وأبو نعيم.

٣٩٤- برذع بن زيد الجذامي

(د ع) برذع بن زيد الجذامي. أخو رفاعة بن زيد، نزل بيت جبرين بالشام.

روى حديثه محمد بن سلام بن زيد بن رفاعة بن زيد الرفاعي من بني الضبيب. عن أبيه سلام، عن أبيه زيد، عن أبيه رفاعة بن زيد قال: قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا وجماعة من قومي، وكنا عشرة، فذكر رجوعه إلى قومه، وإسلام برذع وسويد» .

أخرجه ابن منده وأبو نعيم.

٣٩٥- برذع بن زيد ابن النعمان

برذع بن زيد بن النعمان بن زيد بن عامر بن سواد بن ظفر الأنصاري الأوسي. شهد أحدا وما بعدها، وهو ابن أخي قتادة بن النعمان، وهو شاعر، قاله ابن ماكولا وهذا غير الذي قبله، لأن هذا أنصاري والأول جذامي، وهذا قديم الإسلام، والأول متأخر الإسلام.

---

[١] كذا في الأصل وفي المشتبه للذهبي: مهرة، انظر من: ٦١٨.." (١)

"قال: وحدثنا عبد الله بن أحمد، حدثنا محمد بن يحيى الأزدي، حدثنا الوليد بن القاسم حدثنا مطير بن ثعلبة التميمي [١] ، حدثنا أبو النوار بياع الكرابيس [٢] قال: أتاني علي بن أبي طالب ومعه غلام له، فاشترى مني قميصي كرابيس، فقال لغلامه: اختر أيهما شئت، فأخذ أحدهما، وأخذ علي الآخر، فلبسه، ثم مد يده فقال: اقطع الذي يفضل من قدر يدي. فقطعه وكفه [٣] ، ولبسه وذهب. أنبأنا عبد الله بن أحمد الخطيب، أنبأنا أبو الحسين بن طلحة النعال، إجازة إن لم يكن سماعا، أنبأنا أبو الحسين بن بشران حدثنا إسماعيل بن محمد الصفار، حدثنا يحيى بن آدم، حدثنا جعفر بن زياد الأحمر، عن عبد الملك بن عمير قال: حدثني رجل من ثقيف قال: استعملني علي بن أبي طالب على مدرج سابور، فقال: لا تضربن رجلا سوطا في جباية درهم، ولا تتبعن لهم رزقا ولا كسوة شتاء ولا صيفا، ولا دابة يعتملون عليها، ولا تقيمن رجلا قائما في طلب درهم. قلت: يا أمير المؤمنين، إذن أرجع إليك كما ذهبت من عندك. قال: وإن رجعت ويحك! إنما أمرنا أن نأخذ منهم العفو- يعني الفضل. وزهده وعدله رضي الله عنه لا يمكن استقصاء ذكرهما، فلنقتصر على هذا.

فضائله رضي الله عنه

أنبأنا أبو العباس أحمد بن عثمان بن أبي علي الزرزاري [٤] بإسناده إلى الأستاذ أبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي المفسر قال: **رأيت في بعض الكتب** أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أراد الهجرة، خلف علي بن أبي طالب بمكة لقضاء ديونه ورد الودائع التي كانت عنده، وأمره ليلة خرج إلى الغار وقد أحاط المشركون بالدار، أن ينام على فراشه، وقال له: اتشح ببردي الحضرمي الأخضر، فإنه لا يخلص إليك منهم مكروه، إن شاء الله تعالى. ففعل ذلك، فأوحى الله إلى جبريل وميكائيل عليهما السلام أني آخيت بينكما، وجعلت عمر أحدكما أطول من عمر الآخر، فأيكما يؤثر صاحبه بالحياة؟ فاختارا

---

(١) أسد الغابة ط الفكر ابن الأثير، أبو الحسن ٢٠٨/١

كلاهما الحياة، فأوحى الله عز وجل إليهما:

---

[١] ينظر ترجمته في الجرح لابن أبى حاتم: ٤/ ١/ ٣٩٤.

[٢] الكرابيس: جمع كرباس- بكسر فسكون- وهو ثوب من القطن، وهي كلمة فارسية.

[٣] كف الثوب: خاط حواشيه.

[٤] في المطبوعة «الدزدازى وهو خطأ، والمثبت عن مقدمة ابن الأثير في بيان سنده ومخطوطة دار الكتب «١١١» مصطلح حديث.." (١)

"٣٩٣- برح بن عسكر

د ع: برح بن عسكر بن وتار قاله ابن منده، وأبو نعيم، وقالا: إنه وفد على النبي صلى الله عليه وسلم وشهد فتح مصر، عن ابن يونس.

وقال ابن ماكولا: وأما برح بكسر الباء المعجمة بواحدة، وسكون الراء، وبالحاء المهملة، فهو: برح بن عسكر بن وتار بن كرع بن حضرمي بن النعمان بن مهري بن حيدان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة، وفد على النبي صلى الله عليه وسلم وشهد فتح مصر، واختط بها وسكنها، وهو معروف من أهل مصر.

وقال: قال ابن يونس: **ورأيت في بعض الكتب** القديمة في النسب القديم بخط ابن لهيعة: برح بن عسكر، وذكر نسبه الذي ذكرناه.

كذا ضبطه ابن ماكولا بالعين، والكاف المضمومتين، والله أعلم.

أخرجه ابن منده، وأبو نعيم.." (٢)

"٣٧٨٩- علي بن أبي طالب

ب د ع: علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن -[٨٨]- كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي القرشي الهاشمي ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم واسم أبي طالب عبد مناف، وقيل: اسمه كنيته، واسم هاشم: عمرو، وأم علي فاطمة بنت أسد بن هاشم، وكنيته: أبو الحسن أخو رسول الله صلى الله عليه وسلم وصهره على ابنته فاطمة سيدة نساء العالمين، وأبو السبطين، وهو أول هاشمي والد بين هاشميين، وأول خليفة من بني هاشم، وكان علي أصغر من جعفر، وعقيل، وطالب.

---

(١) أسد الغابة ط الفكر ابن الأثير، أبو الحسن ٣/٦٠٠

(٢) أسد الغابة ط العلمية ابن الأثير، أبو الحسن ١/٣٦٦

وهو أول الناس إسلاما في قول كثير من العلماء على ما نذكره..
وهاجر إلى المدينة، وشهد بدرا، وأحدا، والخندق، وبيعه الرضوان، وجميع المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا تبوك، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه على أهله، وله في الجميع بلاء عظيم وأثر حسن، وأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم اللواء في مواطن كثيرة بيده، منها يوم بدر، وفيه خلاف، ولما قتل مصعب بن عمير يوم أحد وكان اللواء بيده، دفعه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى علي، وآخاه رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتين، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم آخى بين المهاجرين، ثم آخى بين المهاجرين والأنصار بعد الهجرة، وقال لعلي في كل واحدة منها: " أنت أخي في الدنيا والآخرة ".
إسلامه رضي الله عنه
(١٠٨٦) أنبأنا أبو جعفر عبيد الله بن أحمد بن علي، بإسناده إلى يونس بن بكير، عن ابن إسحاق، قال: ثم إن علي بن أبي طالب جاء بعد ذلك بيوم، يعني بعد إسلام خديجة وصلاتها معه، قال: فوجدهما يصليان، فقال علي: يا محمد، ما هذا؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " دين الله الذي اصطفى لنفسه، وبعث به رسله، فأدعوك إلى الله، وإلى عبادته، وكفر باللات والعزى "،
-[٨٩]-
فقال له علي: هذا أمر لم أسمع به قبل اليوم، فلست بقاض أمرا حتى أحدث أبا طالب، فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يفشي عليه سره قبل أن يستعلن أمره، فقال له: " يا علي، إن لم تسلم فاكتم "، فمكث علي تلك الليلة، ثم إن الله أوقع في قلب علي الإسلام، فأصبح غاديا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاءه، فقال: ماذا عرضت علي يا محمد؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: " تشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وتكفر باللات والعزى، وتبرأ من الأنداد "، ففعل علي وأسلم، ومكث علي يأتيه سرا خوفا من أبي طالب، وكتم علي إسلامه، وكان مما أنعم الله به على علي أنه ربي في حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الإسلام
(١٠٨٧) قال يونس: عن ابن إسحاق، قال: حدثني عبد الله بن أبي نجيع، قال: رواه عن مجاهد، قال: أسلم علي وهو ابن عشر سنين
(١٠٨٨) أنبأنا إبراهيم بن محمد بن مهران الفقيه، وغير واحد، بإسنادهم إلى أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي، عن محمد بن حميد، عن إبراهيم بن المختار، عن شعبة، عن أبي بلج، عن عمرو بن ميمون، عن ابن عباس، قال: " أول من أسلم علي ".

ومثله روى مقسم، عن ابن عباس، واسم أبي بلج: يحيى بن أبي سليم
(١٠٨٩) قال: وحدثنا أبو عيسى، حدثنا إسماعيل بن موسى، حدثنا علي بن عابس، عن سلم الملائي، عن أنس بن مالك، قال: " بعث النبي صلى الله عليه وسلم يوم الإثنين، وأسلم علي يوم الثلاثاء "
(١٠٩٠) قال: وحدثنا محمد بن عيسى، حدثنا محمد بن بشار وابن مثنى، قالا: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن عمرو بن مرة، عن أبي حمزة رجل من الأنصار، عن زيد بن أرقم، قال: أول من أسلم علي، قال عمرو بن مرة: فذكرت ذلك لإبراهيم النخعي، فأنكره، وقال: أول من أسلم أبو بكر، وأبو حمزة اسمه: طلحة بن يزيد
(١٠٩١) أنبأنا أبو الفضل بن أبي الحسن بن أبي عبد الله المخزومي بإسناده، عن أحمد بن علي، حدثنا أبو هشام الرفاعي، حدثنا محمد بن فضيل، حدثنا الأجلح، عن سلمة بن -[٩٠]- كهيل، عن حبة بن جوين، عن علي، قال: " لم أعلم أحدا من هذه الأمة عبد الله قبلي، لقد عبدته قبل أن يعبده أحد منهم خمس سنين، أو سبع سنين ".
رواه إسماعيل بن إبراهيم بن بسام، عن شعيب بن صفوان، عن الأجلح، نحوه
(١٠٩٢) أنبأنا عبد الله بن أحمد الطوسي الخطيب بإسناده، عن أبي داود الطيالسي: حدثنا شعبة، حدثنا سلمة بن كهيل، عن حبة العرني، قال: سمعت عليا، يقول: " أنا أول من صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم "
(١٠٩٣) وأنبأنا أبو الطيب محمد بن أبي بكر بن أحمد المعروف بكلي الأصبهاني كتابة، وحدثني به عثمان بن أبي بكر بن جلدك الموصلي عنه، أخبرنا أبو علي الحداد، أنبأنا أحمد بن عبد الله بن إسحاق، أنبأنا سليمان بن أحمد بن أيوب، حدثنا ابن عبد الأعلى الصنعاني، حدثنا عبد الرزاق، حدثنا الثوري، عن سلمة بن كهيل، عن أبي صادق، عن عليم الكندي، عن سلمان الفارسي، قال: قال: " أول هذه الأمة ورودا على نبيها أولها إسلاما، علي بن أبي طالب ".
رواه الدبري عن عبد الرزاق، عن الثوري، عن قيس بن مسلم
(١٠٩٤) أنبأنا ذاكر بن كامل الخفاف، أنبأنا الحسن بن محمد بن إسحاق بن إبراهيم الباقرحي، أنبأنا أبو طاهر محمد بن علي بن محمد بن يوسف المقري العلاف، أنبأنا أبو علي مخلد بن جعفر بن مخلد الباقرحي، حدثنا محمد بن جرير الطبري، حدثنا عبد الأعلى بن واصل، حدثنا إسحاق بن إبراهيم، عن عبد الرحمن بن الأسود، عن محمد بن عبيد الله عن ابن عبد الرحمن بن مسلم، عن أبيه، عن أبي أيوب

الأنصاري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لقد صلت الملائكة علي وعلى علي سبع سنين، وذلك أنه لم يصل معي رجل غيره "

(١٠٩٥) أنبأنا يحيى بن محمود بن سعد، حدثنا الحسن بن أحمد، قراءة عليه وأنا حاضر أسمع، أنبأنا أحمد بن عبد الله أبو نعيم، أنبأنا أبو القاسم الطبراني، حدثنا العباس بن الفضل الأسفاطي، حدثنا عبد العزيز بن الخطاب، حدثنا علي بن غراب، عن يوسف بن -[٩١]- صهيب، عن ابن بريد، عن أبيه، قال: " خديجة أول من أسلم مع النبي صلى الله عليه وسلم ثم علي " وقال أبو ذر والمقداد، وخباب، وجابر، وأبو سعيد الخدري، وغيرهم: إن عليا أول من أسلم بعد خديجة، وفضله هؤلاء على غيره، قاله أبو عمر.

وروى معمر، عن قتادة، عن الحسن، وغيره، قال: " أول من أسلم علي بعد خديجة، وهو ابن خمس عشرة سنة ".

وسئل محمد بن كعب القرظي عن أول من أسلم: علي، أو أبو بكر؟ قال: سبحان الله! علي أولهما إسلاما، وإنما اشتبه على الناس، لأن عليا أخفى إسلامه عن أبي طالب، وأسلم أبو بكر، وأظهر إسلامه.

وقد ذكرنا حديث عفيف الكندي في أن أول من أسلم علي في ترجمته، وقال أبو الأسود تيم بن عروة: إن عليا، والزبير أسلما وهما ابنا ثمان سنين، قال أبو عمر: ولا أعلم أحدا يقول بقوله هذا، وقد قال جماعة غير من ذكرنا: إن عليا أول من أسلم، وقيل: أبو بكر، والله أعلم.

هجرته رضي الله عنه

(١٠٩٦) أنبأنا عبيد الله بن أحمد بإسناده، عن يونس بن بكير، عن ابن إسحاق، قال: " وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني بعد أن هاجر أصحابه إلى المدينة، ينتظر مجيء جبريل عليه السلام، وأمر له أن يخرج من مكة، بإذن الله له في الهجرة إلى المدينة، حتى إذا اجتمعت قريش فمكرت بالنبي، وأرادوا برسول الله صلى الله عليه وسلم ما أرادوا، أتاه جبريل عليه السلام، وأمره أن لا يبيت في مكانه الذي يبيت فيه، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب فأمره أن يبيت على فراشه، ويتسجى ببرد له أخضر، ففعل، ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على القوم، وهم على بابه، قال ابن إسحاق: وتتابع الناس في الهجرة، وكان آخر من قدم المدينة من الناس، ولم يفتن في دينه علي بن أبي طالب، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخره بمكة، وأمره أن ينام على فراشه، وأجله ثلاثا، وأمره أن يؤدي إلى كل ذي حق حقه ففعل، ثم لحق برسول الله صلى الله عليه وسلم "

(١٠٩٧) أنبأنا أبو محمد بن أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الدمشقي إجازة، أنبأنا أبي، أنبأنا أبو

الأغر قراتكين بن الأسعد، حدثنا أبو محمد الجوهري، حدثنا أبو حفص بن شاهين، حدثنا أحمد بن محمد بن سعيد الهمداني، حدثنا أحمد بن يوسف، حدثنا أحمد بن يزيد النخعي، حدثنا عبيد بن الحسن، حدثني معاوية بن عبد الله بن عبيد الله بن أبي رافع، عن أبيه، عن جده، عن أبي رافع.

ح قال عبيد الله بن الحسن: -[٩٢]- وحدثني محمد بن عبيد الله بن علي بن أبي رافع، عن أبيه، عن جده، عن أبي رافع، في هجرة النبي صلى الله عليه وسلم قال: وخلفه النبي صلى الله عليه وسلم يعني خلف عليا، يخرج إليه بأهله، وأمره أن يؤدي عنه أمانته، ووصايا من كان يوصي إليه، وما كان يؤتمن عليه من مال، فأدى علي أمانته كلها، وأمره أن يضطجع على فراشه ليلة خرج، وقال: " إن قريشا لم يفقدوني ما رأوك "، فاضطجع على فراشه، وكانت قريش تنظر إلى فراش النبي صلى الله عليه وسلم فيرون عليه عليا، فيظنونه النبي صلى الله عليه وسلم حتى إذا أصبحوا رأوا عليه عليا، فقالوا: لو خرج محمد لخرج بعلي معه، فحبسهم الله بذلك عن طلب النبي صلى الله عليه وسلم حين رأوا عليا، وأمر النبي صلى الله عليه وسلم عليا أن يلحقه بالمدينة، فخرج علي في طلبه بعد ما أخرج إليه أهله يمشي الليل ويكمن النهار، حتى قدم المدينة، فلما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم قدومه، قال: " ادعوا لي عليا "، قيل: يا رسول الله، لا يقدر أن يمشي، فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم فلما رآه اعتنقه وبكى، رحمة لما بقدميه من الورم، وكانتا تقطران دما، فتفل النبي صلى الله عليه وسلم في يديه، ومسح بهما رجليه، ودعا له بالعافية فلم يشتكهما حتى استشهد رضي الله تعالى عنه

شهوده رضي الله عنه بدرا وغيرها

(١٠٩٨) أنبأنا أبو جعفر بن السمين، بإسناده إلى يونس بن بكير، عن أبي إسحاق، بإسناده إلى يونس بن بكير، عن أبي إسحاق، في تسمية من شهد بدرا من قريش، ثم من بني هاشم، قال: وعلي بن أبي طالب، وهو أول من آمن به وأجمع أهل التاريخ، والسند على أنه شهد بدرا وغيرها من المشاهد، وأنه لم يشهد غزوة تبوك لا غير، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه على أهله.

(١٠٩٩) أنبأنا أبو عبد الله محمد بن محمد بن سرايا الفقيه، وغير واحد، بإسنادهم إلى محمد بن إسماعيل، حدثنا أحمد بن سعيد أبو عبد الله، حدثنا إسحاق بن منصور السلولي، حدثنا إبراهيم بن يوسف، عن أبيه، عن أبي إسحاق، قال: سأل رجل البراء وأنا أسمع: أشهد علي بدرا؟ قال: بارز وظاهر

(١١٠٠) أخبرنا يحيى بن محمود، أنبأنا عم جدي أبو الفضل جعفر بن عبد الواحد الثقفي، أنبأنا أبو طاهر عم والدي، وأبو الفتح، قالا: أنبأنا أبو بكر بن زاذان، حدثنا أبو عروبة، حدثنا أبو رفاعة، حدثنا

محمد بن الحسن، يعرف بالهجيمي، حدثنا أبو عوانة، عن الأعمش، عن الحكم، عن مصعب بن سعد، عن سعد، قال: لقد رأيته، يعني عليا، يخطر بالسيف هام المشركين، يقول: سنحنح الليل كأني جني

-[٩٣]-

(١١٠١) أنبأنا أبو أحمد عبد الوهاب بن علي الأمين، أنبأنا أبو الفتح محمد بن عبد الباقي بن أحمد بن سليمان، أنبأنا أبو الفضل أحمد بن الحسن بن صرون وأبو طاهر أحمد بن الحسن بن أحمد الباقلاني، كلاهما إجازة، قالا: أنبأنا أبو الحسن بن أحمد بن شاذان، قال: قرئ على أبي محمد الحسن بن محمد بن يحيى بن الحسن بن جعفر بن عبيد الله بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، قال جدي أبو الحسين يحيي بن الحسن بن جعفر، قال: كتب إلي محمد بن علي ومحمد بن يحيى يخبراني، عن محمد بن الجنيد، حدثنا حصن بن جن١دة، عن يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيب، قال: " لقد أصابت عليا يوم أحد ست عشرة ضربة، كل ضربة تلزمه الأرض، فما كان يرفعه إلا جبريل عليه السلام "

(١١٠٢) قال: وحدثنا جدي، حدثنا بكر بن عبد الوهاب، حدثنا محمد بن عمر، حدثنا إسماعيل بن عياش الحمصي، عن يحيى بن سعيد، عن ثعلبة بن أبي مالك، قال: كان سعد بن عبادة صاحب راية رسول الله صلى الله عليه وسلم في المواطن كلها، فإذا كان وقت القتال أخذها علي بن أبي طالب

(١١٠٣) أنبأنا أبو محمد القاسم بن علي بن الحسن بن هبة الله الحافظ، أنبأنا أبي، أنبأنا أبو الحسين بن الفراء وأبو غالب وأبو عبد الله، أنبأنا البناء، قالوا: حدثنا أبو جعفر بن المسلمة، أنبأنا أبو طاهر المخلص، حدثنا أحمد بن سليمان، حدثنا الزبير بن بكار، قال: وله، يعني لعلي بن أبي طالب، يقول أسيد بن أبي أناس بن زنيم، وهو يحرض مشركي قريش على قتله ويعيرهم:

في كل مجمع غاية أخزاكم جذع أبر على المذاكي القرح

لله دركم ألما تنكروا قد ينكر الحي الكريم ويستحي

هذا ابن فاطمة الذي أفناكم ذبحا، وقتلة قعصة لم تذبح

أعطوه خرجا واتقوا بضريبة فعل الذليل وبيعة لم تربح

أين الكهول وأين كل دعامة في المعضلات؟ وأين زين الأبطح

أفناهم قعصا وضربا يفرى بالسيف يعمل حده لم يصفح

-[٩٤]-

(١١٠٤) أنبأنا أبو الفضل المنصور بن أبي الحسن المديني بإسناده، عن أحمد بن علي بن المثنى، حدثنا

أبو موسى، حدثنا محمد بن مروان العقيلي، عن عمارة بن أبي حفصة، عن عكرمة، قال: قال علي " لما تخلى الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد نظرت في القتلى، فلم أر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: والله ما كان ليفر وما أراه في القتلى، ولكن الله غضب علينا بما صنعنا فرفع نبيه، فما في خير من أن أقاتل حتى أقتل، فكسرت جفن سيفي، ثم حملت على القوم، فأفرجوا لي، فإذا برسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم "

(١١٠٥) أنبأنا أبو البركات الحسن بن محمد بن هبة الله الدمشقي، أنبأنا أبو العشائر محمد بن الخليل القيسي، أنبأنا أبو القاسم علي بن محمد بن علي بن أبي العلاء المصيصي، أنبأنا أبو محمد عبد الرحمن بن عثمان بن القاسم، أنبأنا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن أبي ثابت، حدثنا يحيى بن أبي طالب، أنبأنا زيد بن الحباب، حدثنا الحسين بن واقد، عن عبد الله بن بريدة، عن أبيه، قال: لما كان يوم خيبر أخذ أبو بكر اللواء، فلما كان من الغد أخذه عمر، وقيل: محمد بن مسلمة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لأدفعن لوائي إلى رجل لم يرجع حتى يفتح الله عليه "، فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الغداة، ثم دعا باللواء، فدعا عليا، وهو يشتكي عينيه، فمسحها ثم دفع إليه اللواء ففتح، قال: فسمعت عبد الله بن بريدة، يقول: حدثني أبي أنه كان صاحب مرحب، يعني عليا.

وأخباره في حروبه كثيرة لا نطول بذكرها

علمه رضي الله عنه

روى علي: عن النبي صلى الله عليه وسلم فأكثر.

وروى عنه: بنوه الحسن، والحسين، ومحمد، وعمر، وعبد الله بن مسعود، وابن عمر، وعبد الله بن جعفر، وعبد الله بن الزبير، وأبو موسى الأشعري، وأبو سعيد الخدري، وأبو رافع، وصهيب، وزيد بن أرقم، وجابر بن عبد الله، وأبو أمامة، وأبو سريحة حذيفة بن أسيد، وأبو هريرة، وسفينة، وأبو حجيفة السوائي، وجابر بن سمرة، وعمرو بن حريث، وأبو ليلى، والبراء بن عازب، وعمارة بن روية، وبشر بن سحيم، وأبو الطفيل، وعبد الله بن ثعلبة بن صعير، وجرير بن عبد الله، وعبد الرحمن بن أشيم، وغيرهم من الصحابة.

-[٩٥]-

وروى عنه من التابعين: سعيد بن المسيب، ومسعود بن الحكم الزرقي، وقيس بن أبي حازم، وعبيدة السلماني، وعلقمة بن قيس، والأسود بن يزيد، وعبد الرحمن بن أبي ليلى، والأحنف بن قيس، وأبو عبد الرحمن السلمي، وأبو الأسود الديلي، وزر بن حبيش، وشريح بن هانئ، والشعبي، وشقيق، وخلق كثير

غيرهم.
(١١٠٦) أنبأنا يحيى بن محمود، أنبأنا زاهر بن طاهر، أنبأنا محمد بن عبد الرحمن، أنبأنا أبو سعيد محمد بن عبد الرحمن، أنبأنا أبو سعد محمد بن بشر بن العباس، أنبأنا أبو الوليد محمد بن إدريس الشامي، حدثنا سويد بن سعيد، أنبأنا علي بن مسهر، عن الأعمش، عن عمرو بن مرة، عن أبي البختري، عن علي، قال: بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن، فقلت: يا رسول الله، تبعثني إلى اليمن، ويسألوني عن القضاء ولا علم لي به! قال: " ادن "، فدنوت، فضرب بيده على صدري، ثم قال: " اللهم ثبت لسانه، واهد قلبه "، فلا والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة ما شككت في قضاء بين اثنين بعد
(١١٠٧) أنبأنا زيد بن الحسن بن زيد أبو اليمن الكندي، وغيره كتابة، قالوا: أنبأنا أبو منصور زريق، أنبأنا أحمد بن علي بن ثابت، أنبأنا محمد بن أحمد بن زريق، أنبأنا أبو بكر بن مكرم بن أحمد بن مكرم القاضي، حدثنا القاسم بن عبد الرحمن الأنباري، حدثنا أبو الصلت الهروي، حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن مجاهد، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أنا مدينة العلم، وعلي بابها، فمن أراد العلم فليأت بابه ".
رواه غير أبي معاوية، عن الأعمش، كان أبو معاوية يحدث به قديما ثم تركه.
وروى شعبة، عن أبي إسحاق، عن عبد الرحمن بن يزيد، عن علقمة، عن عبد الله بن مسعود، قال: "كنا نتحدث أن أقضى أهل المدينة علي بن أبي طالب ".
وقال سعيد بن المسيب: " ما كان أحد من الناس، يقول: سلوني، غير علي بن أبي طالب ".
وروى يحيى بن معين، عن عبدة بن سليمان، عن عبد الملك بن أبي سليمان، قال: قلت لعطاء: أكان في أصحاب محمد أعلم من علي؟ قال: لا، والله لا أعلمه.
-[٩٦]-
وقال ابن عباس: لقد أعطى علي تسعة أعشار العلم، وايم الله لقد شاركهم في العشر العاشر.
وقال سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص لعبيد الله بن عياش بن أبي ربيعة: يا عم، لم كان ضغو الناس إلى علي؟ قال: يا ابن أخي، إن عليا كان له ما شئت من ضرس قاطع في العلم، وكان له البسطة في العشيرة، والقدم في الإسلام، والصهر لرسول الله صلى الله عليه وسلم والفقه في السنة والنجدة في الحرب، والجود بالماعون.
وروى ابن عيينة، عن يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيب، قال: "كان عمر يتعوذ من معضلة ليس لها

أبو حسن ".

وروى سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: إذا ثبت لنا الشيء، عن علي، لما نعدل عنه إلى غيره.

وروى يزيد بن هارون، عن قطر، عن أبي الطفيل، قال: قال بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم: لقد كان لعلي من السوابق ما لو أن سابقة منها بين الخلائق لو سعتهم خيرا، وله في هذا أخبار كثيرة نقتصر على هذا منها، ولو ذكرنا ما سأله الصحابه، مثل عمر، وغيره رضي الله عنهم، لأطلنا.

زهده وعدله رضي الله عنه

(١١٠٨) أنبأنا أبو أحمد عبد الوهاب بن علي الأمين، أنبأنا أبو القاسم هبة الله بن عبد الواحد، أنبأنا أبو طالب بن غيلان، أنبأنا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد المزكي، حدثنا محمد بن المسيب، قال: سمعت عبد الله بن حنيف، يقول: قال يوسف بن أسباط الدنيا دار نعيم الظالمين

(١١٠٩) قال: وقال علي بن أبي طالب " الدنيا جيفة، فمن أراد منها شيئا، فليصبر على مخالطة الكلاب "

(١١١٠) أخبرنا أبو ياسر عبد الوهاب بن هبة الله، أنبأنا أبو غالب بن البناء، أنبأنا محمد بن أحمد بن محمد بن حسنون النرسي، حدثنا محمد بن إسماعيل بن العباس إملاء، حدثنا أحمد بن علي الرقي، أخبرنا القاسم بن علي بن أبان، حدثنا سهل بن صقير، حدثنا يحيى بن هاشم الغساني، عن علي بن جزء، قال: سمعت أبا مريم السلولي، يقول: سمعت عمار بن ياسر، يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعلي بن أبي طالب: " يا علي، إن الله عز وجل قد زينك بزينة لم يتزين العباد بزينة أحب إليه منها: الزهد في الدنيا، فجعلك لا تنال من الدنيا شيئا، ولا تنال الدنيا منك شيئا، ووهب لك حب المساكين، ورضوا بك إماما، ورضيت بهم أتباعا، فطوبى لمن أحبك، وصدق فيك، وويل لمن أبغضك، وكذب عليك، فأما الذين أحبوك وصدقوا فيك، فهم جيرانك في دارك، ورفقاؤك في قصرك، وأما الذين -[٩٧]- أبغضوك وكذبوا عليك، فحق على الله أن يوقفهم موقف الكذابين يوم القيامة "

(١١١١) أنبأنا عمر بن محمد بن المعمر بن طبرزد، أنبأنا أبو غالب بن البناء، أنبأنا أبو محمد الجوهري، أنبأنا أبو الفضل عبيد الله بن عبد الرحمن الزهري، حدثنا حمزة بن القاسم الإمام، حدثنا الحسين بن عبيد الله، حدثني إبراهيم يعني الجوهري، حدثنا المأمون هو أمير المؤمنين، حدثنا الرشيد، حدثنا شريك بن عبد الله، عن عاصم بن كليب، عن محمد بن كعب القرظي، قال: سمعت علي بن أبي طالب، يقول: لقد رأيتني وإني لأربط الحجر على بطني من الجوع، وإن صدقتي لتبلغ اليوم أربعة آلاف دينار.

ورواه حجاج الأصبهاني، وأسود عن شريك، فقالا: أربعين ألف دينار.
ورواه حجاج، عن شريك، فقال: أربعين ألفا.
لم يرد بقوله: " أربعين ألفا " زكاة ماله، وإنما أراد الوقوف التي جعلها صدقة كان الحاصل من دخلها صدقة هذا العدد، فإن أمير المؤمنين عليا رضي الله عنه، لم يدخر مالا، ودليله ما ذكره من كلام ابنه الحسن رضي الله عنهما، في مقتله أنه لم يترك إلا ستمائة درهم، اشترى بها خادما.
(١١١٢) أخبرني أبو محمد بن أبي القاسم الدمشقي، أنبأنا أبي، أنبأنا أبو محمد هبة الله بن سهل الفقيه، أنبأنا جدي أبو المعالي عمر بن محمد بن الحسين، قال: وأنبأنا أبي، وأنبأنا زاهر، أنبأنا أبو بكر أحمد بن الحسين، قالا: حدثنا أبو عبد الله الحافظ، حدثنا أبو قتيبة سالم بن الفضل الآدمي، بمكة، حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة، عن أبيه، قال: سمعت أبا نعيم، قال: سمعت سفيان، يقول: ما بني علي لبنة على لبنة، ولا قصبة على قصبة، وإن كان ليؤتي بجبوته من المدينة في جراب
(١١١٣) أنبأنا السيد أبو الفتوح حيدر بن محمد بن زيد العلوي الحسيني، أنبأنا أبو محمد عبد الله بن جعفر الدرستوي، بالموصل، أنبأنا النقيب الطاهر أبو عبد الله أحمد بن علي بن المعمر الحسيني، أنبأنا أبو الحسين بن عبد الجبار، أنبأنا أبو طاهر محمد بن علي بن محمد بن يوسف، أنبأنا أبو بكر بن مالك، أنبأنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، حدثني أبي، حدثنا وكيع، حدثنا مسعر، عن أبي بحر، عن شيخ لهم، قال: رأيت على علي عليه السلام إزارا غليظا، قال: اشتريته بخمسة دراهم، فمن أربحني فيه درهما بعته قال: ورأيت معه دراهم مصرورة، فقال: هذه بقية نفقتنا من ينبع
(١١١٤) قال: وحدثنا عبد الله بن أحمد، حدثنا محمد بن يحيى الأزدي، حدثنا الوليد بن القاسم، حدثنا مطير بن ثعلبة التميمي، حدثنا أبو النوار بياع الكرابيس، قال: أتاني علي بن أبي طالب ومعه غلام له، فاشترى مني قميصي كرابيس، فقال لغلامه: " اختر أيهما شئت "، -[٩٨]- فأخذ أحدهما، وأخذ علي الآخر، فلبسه، ثم مد يده، فقال: " اقطع الذي يفضل من قدر يدي "، فقطعه وكفه، ولبسه وذهب
(١١١٥) أنبأنا عبد الله بن أحمد الخطيب، أنبأنا أبو الحسين بن طلحة النعال، إجازة إن لم يكن سماعا، أنبأنا أبو الحسين بن بشران، حدثنا إسماعيل بن محمد الصفار، حدثنا يحيى بن آدم، حدثنا جعفر بن زياد الأحمر، عن عبد الله بن عمير، قال: حدثنا رجل من ثقيف، قال: استعملني علي بن أبي طالب على مدرج سابور، فقال: " لا تضربن رجلا سوطا في جباية درهم، ولا تتبعن لهم رزقا، ولا كسوة شتاء ولا صيفا، ولا دابة يعتملون عليها، ولا تقيمن رجلا قائما في طلب درهم "، قلت: يا أمير المؤمنين، إذن أرجع إليك

كما ذهبت من عندك، قال: " وإن رجعت ويحك! إنما أمرنا أن نأخذ منهم العفو، يعني الفضل " وزهده وعدله رضي الله عنه لا يمكن استقصاء ذكرهما، فلنقتصر على هذا.

فضائله رضي الله عنه

(١١١٦) أنبأنا أبو العباس أحمد بن عثمان بن أحمد بن عثمان بن أبي علي الزرزاري، بإسناده إلى الأستاذ أبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي المفسر، قال: **رأيت في بعض الكتب** أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أراد الهجرة، خلف علي بن أبي طالب بمكة لقضاء ديونه ورد الودائع التي كانت عنده، وأمره ليلة خرج إلى الغار، وقد أحاط المشركون بالدار، أن ينام على فراشه، وقال له: " اتشح ببردي الحضرمي الأخضر، فإنه لا يخلص إليك منهم مكروه، إن شاء الله تعالى "، ففعل ذلك، فأوحى الله إلى جبريل، وميكائيل عليه السلام، أني آخيت بينكما، وجعلت عمر أحدكما أطول من عمر الآخر، فأيكما يؤثر صاحبه بالحياة؟ فاختارا كلاهما الحياة، فأوحى الله عز وجل إليهما: أفلا كنتما مثل علي بن أبي طالب؟ ! آخيت بينه وبين نبيي محمد، فبات على فراشه، يفديه بنفسه، ويؤثره بالحياة، اهبطا إلى الأرض فاحفظاه من عدوه، فنزلا، فكان جبريل عند رأس علي، وميكائيل عند رجليه، وجبريل ينادي: بخ بخ! من مثلك يابن أبي طالب يباهي الله عز وجل به الملائكة! !؟ فأنزل الله عز وجل على رسوله وهو متوجه إلى المدينة في شأن علي: ﴿ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله﴾

(١١١٧) أنبأنا أبو محمد عبد الله بن علي بن سويدة التكريتي، أنبأنا أبو الفضل أحمد بن أبي الخير الميهني، قراءة عليه، قال: أنبأنا أبو الحسن علي بن أحمد بن متويه، قال أبو محمد: -[٩٩]- وأنبأنا أبو القاسم بن أبي الخير الميهني والحسين بن الفرحان السمناني، قالا: أنبأنا علي بن أحمد، أنبأنا أبو بكر التميمي، أنبأنا أبو محمد بن حبان، حدثنا محمد بن يحيى بن مالك الضبي، حدثنا محمد بن سهل الجرجاني، حدثنا عبد الرزاق، حدثنا عبد الوهاب بن مجاهد، عن أبيه، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية﴾ قال: " نزلت في علي بن أبي طالب، كان عنده أربعة دراهم، فأنفق بالليل واحدا، وبالنهار واحدا، وفي السر واحدا وفي العلانية واحدا.

ورواه عفان بن مسلم، عن وهيب، عن أيوب، عن مجاهد، عن ابن عباس، مثله.

(١١١٨) أنبأنا إسماعيل بن علي وإبراهيم بن محمد، وغيرهما، بإسنادهم إلى محمد بن عيسى بن سورة، قال: حدثنا قتيبة، حدثنا حاتم بن إسماعيل، عن بكير بن مسمار، عن عامر بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه، قال: أمر معاوية سعدا، فقال: ما يمنعك أن تسب أبا تراب؟ قال: أما ما ذكرت، ثلاثا قالهن رسول

الله صلى الله عليه وسلم فلن أسبه، لأن يكون لي واحدة منهن أحب إلي من حمر النعم، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعلي وخلفه في بعض مغازيه: فقال له علي: يا رسول الله، تخلفني مع النساء والصبيان؟ ! فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبوة بعدي "

(١١١٩) وسمعته يقول يوم خيبر: " لأعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله "، قال: فتطاولنا لها، فقال: " ادعوا لي عليا "، فأتاه وبه رمد، فبصق في عينيه، ودفع الراية إليه، ففتح الله عليه، وأنزلت هذه الآية: ﴿فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم﴾

(١١٢٠) دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا، وفاطمة، وحسنا، وحسينا، فقال: " اللهم هؤلاء أهلي "

(١١٢١) قال: وحدثنا محمد بن عيسى، حدثنا سفيان بن وكيع، حدثنا أبي، عن شريك، عن منصور، عن ربعي بن حراش، حدثنا علي بن أبي طالب، بالرحبة، قال: لما كان يوم الحديبية خرج إلينا ناس من المشركين، فيهم: سهيل بن عمرو، وأناس من رؤساء المشركين، فقالوا: خرج إليك ناس من أبنائنا وإخواننا وأرقائنا، وليس بهم فقه في الدين، وإنما خرجوا فرارا من أموالنا وضياعنا، فارددهم إلينا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " يا معشر قريش، لتنتهن أو ليبعثن الله عليكم من يضرب رقابكم بالسيف على الدين، قد امتحن قلبه على -[١٠٠]- الإيمان "، قالوا: من هو يا رسول الله؟ فقال أبو بكر: من هو يا رسول الله؟ وقال عمر: من هو يا رسول الله؟ قال: " خاصف النعل "، وكان قد أعطى عليا نعلا يخصفها

(١١٢٢) قال: ثم التفت إلينا علي، فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار "

(١١٢٣) قال: وحدثنا محمد بن عيسى، حدثنا عيسى بن عثمان ابن أخي يحيى بن عيسى الرملي، أخبرنا يحيى بن عيسى الرملي، حدثنا الأعمش، عن عدي بن ثابت، عن زر بن حبيش، عن علي، قال: لقد عهد إلي النبي صلى الله عليه وسلم النبي الأمي، " أن لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق "

(٤١١٢) قال: وحدثنا محمد بن عيسى، حدثنا محمد بن بشار ويعقوب بن إبراهيم، وغير واحد، قالوا: حدثنا أبو عاصم، عن أبي الجراح، قال: حدثنا جابر بن صبح، قال: حدثتني أم شراحيل، عن أم عطية، قالت: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم جيشا فيهم علي، قالت: فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " اللهم لا تمتني حتى تريني عليا "

(١١٢٥) أنبأنا أبو منصور مسلم بن علي بن محمد بن السيحي، أنبأنا أبو البركات بن خميس، أنبأنا أبو نصر بن طوق، أنبأنا أبو القاسم بن المرجي، أنبأنا أبو يعلى الموصلي، حدثنا سعيد بن مطرف الباهلي، حدثنا يوسف بن يعقوب الماجشون، عن أبي المنذر، عن سعيد بن المسيب، عن عامر بن سعد، عن سعد، أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعلي: " أنت مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي "، قال سعيد: فأحببت أن أشافه بذلك سعدا، فلقيته فذكرت له ما ذكر لي عامر، -[١١٠]- فقلت: أنت سمعته؟ فأدخل يده في أذنيه، وقال: نعم، وإلا فاستكتا.

(١١٢٦) أنبأنا أبو بكر مسمار بن عمر بن العويس البغدادي، أنبأنا أبو العباس أحمد بن أبي غالب بن الطلاية، أنبأنا أبو القاسم عبد العزيز بن علي بن أحمد بن الحسين الأنماطي، أنبأنا أبو طاهر المخلص، حدثنا محمد بن هارون الحضرمي أبو حامد، حدثنا أبو هشام محمد بن يزيد بن رفاعة، حدثنا محمد بن فضل، حدثنا الأعمش، عن أبي الزبير، عن جابر، قال: لما كان يوم الطائف دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا، فناجاه طويلا، فقال بعض أصحابه: لقد أطال نجوى ابن عمه، قال: يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ما أنا انتجيته، ولكن الله انتجاه "

(١١٢٧) أنبأنا إبراهيم بن محمد، وغير واحد، بإسنادهم إلى أبي عيسى الترمذي، حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا جعفر بن سليمان الضبعي، عن يزيد الرشك، عن مطرف بن عبد الله، عن عمران بن حصين، قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم جيشا، واستعمل عليهم علي بن أبي طالب، فمضى في السرية، فأصاب جارية، فأنكروا عليه، فتعاقد أربعة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: إذا لقينا رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرناه بما صنع علي، وكان المسلمون إذا رجعوا من سفر بدءوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فسلموا عليه، ثم انصرفوا إلى رحالهم، فلما قدمت السرية سلموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام أحد الأربعة، فقال: يا رسول الله، ألم تر علي بن أبي طالب صنع كذا وكذا؟ فأعرض عنه رسول الله، ثم قال الثاني، فقال مثل مقالته، فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قام الثالث، فقال مثل مقالته، فأعرض عنه، ثم قام الرابع، فقال مثل ما قالوا، فأقبل إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والغضب يعرف في وجهه، فقال: " ما تريدون من علي؟ ما تريدون من علي؟ ما تريدون من علي؟ إن عليا مني، وأنا من علي، وهو ولي كل مؤمن من بعدي "." (١)

---

(١) أسد الغابة ط العلمية ابن الأثير، أبو الحسن ٤/٨٧

"قال أبو عبيدة (١) : لقب المرعث لأنه كان في أذنه وهو صغير رعاث والرعاث القرطة واحدتها رعثة وجمعها رعاث، ورعثات الديك اللحم المتدلي تحت حنكه.

قال محمد بن يزيد العجلي: سمعت الأصمعي يذكر أن بشارا كان أشد تبرما بالناس، وكان يقول: الحمد لله الذي أذهب بصري، فقيل له: ولم ذاك يا أبا معاذ فقال: لئلا أرى من أبغض. وكان يلبس قميصا له لبنتان فإذا أراد أن ينزعه نزعه من أسفله، وبذلك تسمى المرعث.

قال الأصمعي: ولد بشار أعمى فما نظر إلى الدنيا قط، وكان يشبه الأشياء في شعره بعضها ببعض فيأتي بما لا يقدر البصراء على أن يأتوا بمثله، فقيل له يوما وقد أنشد قوله:

كأن مثار النقع فوق رؤوسنا ... وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه ما قيل أحسن من هذا التشبيه، فمن أين لك هذا ولم تر الدنيا قط ولا شيئا فيها فقال: إن عدم النظر يقوي ذكاء القلب ويقطع عنه الشغل بما ينظر إليه من الأشياء فيتوفر حسه وتذكر قريحته.

وقال أبو العواذل زكريا بن هارون: قال لي بشار: لي اثنا عشر ألف قصيدة أفما في كل قصيدة بيت جيد وحكي عنه أنه قال: هجوت جريرا فأعرض عني ولو هجاني لكنت أشعر الناس.

وكان بشار يدين بالرجعة ويكفر الجميع من الأمم ويصوب رأي إبليس في تقديم النار على الطين، وقد ذكر ذلك في شعره حيث يقول:

الأرض مظلمة والنار مشرقة ... والنار معبودة مذ كانت النار **رأيت في بعض الكتب** أن عبد الله بن ظاهر لما قدم نيسابور صحبه من

---

(١) أكثر هذا من الأغاني ٣: ١٣٤ وما بعدها.." (١)

"وهو بالمسجد الجامع: أنت غير مدافع في الشعر ولكنك لا تخطب، فقام من فوره فقال مرتجلا:

نحلتكم يا أهل مصر نصيحتي ... ألا فخذوا من ناصح بنصيب

رماكم أمير المؤمنين بحية ... أكول لحيات البلاد شروب

فإن يك باقي إثم فرعون فيكم ... فإن عصا موسى بكف خصيب ثم التفت إليه وقال: والله لا يأتي بمثلها خطيب مصقع فكيف رأيت فاعتذر إليه وحلف: ما كنت إلا مازحا] (١) .

ورأيت في بعض الكتب أن المأمون كان يقول: لو وصفت الدنيا نفسها لما وصفت بمثل قول أبي نواس

---

(١) وفيات الأعيان ابن خلكان ٤٢١/١

: (٢)

ألا كل حي هالك (٣) وابن هالك ... وذو نسب في الهالكين عريق

إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت ... له عن عدو في ثياب صديق والبيت الأول ينظر إلى قول امرئ القيس

: (٤)

فبعض اللوم عاذلتي فإني ... سيكفيني التجارب وانتسابي

إلى عرق الثرى وشجت عروقي ... وهذا الموت يسلبني شبابي وقد سبق في ترجمة الحسن البصري نظير هذا المعنى.

وما أحسن ظنه بربه عز وجل حيث يقول (٥) :

[تكثر ما استطعت من الخطايا ... إذا كان القدوم على كريم وقال وهي من رواية أخرى:]

---

(١) زيادة من د.

(٢) ديوانه: ١٩٢.

(٣) الديوان: أرى كل حي هالكا.

(٤) ديوان امرئ القيس: ٩٧ - ٩٨.

(٥) لم ترد في باب الزهد من ديوانه.." (١)

"قليل الكلام كثير الخير مفيدا، أقام بدمشق مدة، واستوطن الموصل ورحل عنها إلى أصبهان، ثم عاد إلى الموصل، وأخذ عنه شيوخ ذلك العصر؛ وذكره الحافظ ابن السمعاني في كتاب " الذيل " وقال: إنه اجتمع به بدمشق (١) ، وسمع منه مشيخة أبي عبد الله الرازي، وانتخب عليه أجزاء، وسأله عن مولده، فقال: ولدت في سنة ست وثمانين وأربعمائة بمدينة قرطبة من ديار الأندلس، ورأيت في بعض الكتب أن مولده سنة سبع وثمانين، والأول أصح.

وكان شيخنا القاضي بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم المعروف بابن شداد قاضي حلب رحمه الله تعالى يفتخر برؤيته (٢) وقراءته عليه - وسيأتي ذلك في ترجمته إن شاء الله تعالى - وقال: كنا نقرأ عليه بالموصل ونأخذ عنه. وكنا نرى رجلا يأتي إليه كل يوم فيسلم عليه وهو قائم، ثم يمد يده إلى الشيخ بشيء ملفوف، فيأخذه الشيخ من يده، ولا نعلم ما هو، ويتركه ذلك الرجل ويذهب، ثم تـقفينا ذلك

---

(١) وفيات الأعيان ابن خلكان ٢/٩٧

فعلمنا أنها دجاجة مسموطة، كانت برسم الشيخ في كل يوم يبتاعها له ذلك الرجل ويسمطها ويحضرها، وإذا دخل الشيخ إلى منزله تولى طبخها بيده. وذكر في كتابه الذي سماه " دلائل الأحكام " أنه لازم القراءة عليه إحدى عشرة سنة آخرها سنة سبع وستين وخمسمائة. وكان الشيخ أبو بكر القرطبي المذكور كثيرا ما ينشد مسندا إلى أبي الخير الكاتب الواسطي رواهما بالإسناد المتصل إليه أنهما له (٣) :

جرى قلم القضاء بما يكون ... فسيان التحرك والسكون

جنون منك أن تسعى لرزق ... ويرزق في غشاوته الجنين وقال: أنشدنا أبو الوفاء عبد الباقي بن وهب بن حسان قال: أنشدنا أبو عبد الله محمد بن منيع بمصر لنفسه:

لي حيلة فيمن ينم ... وليس في الكذاب حيله

---

(١) ص ر بر من: في دمشق.

(٢) ر: بروايته.

(٣) أنهما له: سقط من: ن ر بر من.." (١)

"المازني وقال: إنما وزنها نفتعل، هكذا **رأيت في بعض الكتب**، وهذا ليس بخطأ؛ لأن التصريفيين نصوا على أنه إذا كان في الكلمة حذف أو قلب حذفت في الزنة وقلبت فنقول: وزن بعت وقمت: فعت وفعت، ووزن عد، عل، ووزن ناء: فلع، وإن شئت أتيت بالأصل، فعلى هذا لا خطأ في قوله: وزن نكتل نفتل، لأنه اعتبر اللفظ لا الأصل. **ورأيت في بعض الكتب** أنه قال: نفعل بالعين وهذا خطأ محض، على أن الظاهر من أمر يعقوب أنه لم يتقن هذا، ولو أتقنه لقال: وزنه على الأصل كذا، وعلى اللفظ كذا، ولذلك أنحى عليه المازني فلم يرد عليه بشيء.." (٢)

"وبعت: فعت، وفعت، ووزن» عدة «» علة «، وإن شئت أتيت بالأصل؛ فعلى هذا لا خطأ في قوله: وزن» نكتل «: نفتل؛ لأنه اعتبر اللفظ، لا الأصل، **ورأيت في بعض الكتب** أن وزنها:» نفعل «بالعين، وهذا خطأ محض، على أن الظاهر من أمر يعقوب أنه لم يتقن هذا، ولو أتقنه لقال: وزنه على الأصل كذا،

---

(١) وفيات الأعيان ابن خلكان ١٧٢/٦

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٥١٨/٦

وعلى اللفظ كذا، ولذلك أنحى عليه المازني، فلم يرد عليه بشيء» .
ثم قال سبحانه وتعالى: ﴿وإنا له لحافظون﴾ ضمنوا كونهم حافظين له: لما قالوا ذلك، قال يعقوب عليه الصلاة والسلام ﴿هل آمنكم عليه إلا كمآ أمنتكم على أخيه من قبل﴾ والمعنى: أنكم ذكرتم مثل هذا الكلام في يوسف، وضمنتم لي حفظه حيث قلت: ﴿وإنا له لحافظون﴾ وهاهنا ذكرتم هذا اللفظ بعينه، فهل يكون هاهنا إلا ما كان هناك، فكما لا يحصل الأمان هناك لا يحصل هنا.
قوله: ﴿إلا كمآ أمنتكم﴾ منصوب على نعت مصدر حذوف، أو على الحال منه إي: إلا أئتمانا كائتمانه لكم ءلى أخيه، شبه ائتمانه لهم على هذه بائتمانه لهم على ذلك، و «من قبل» متعلق ب «أمنتكم» .
قال: ﴿فالله خير حافظا﴾ ، قرأ الأخوان، وحفص «حافظا» وفيه وجهان:
أظهرهما: أنه تمييز؛ كقوله: هو خيرهم رجلا، والله دره فارسا.
قال أبو البقاء: «ومثل هذا يجوز إضافته» وقد قرأ بذلك الأعمش: فالله خير حافظ «والله تعالى متصف بأن حفظه يزيد على حفظ غيره؛ كقولك: هو أفضل عالم
والثاني: أنه حال ذكر ذلك الزمخشري وأبوا البقاء، وغيرهما.
قال أبو حيان: وقد نقله عن الزمخشري وحده:» وليس بجيد؛ لأن فيه تقييد خير بهذه الحال «.
قال شهاب الدين:» ولا محذور، فإن هذه الحال لازمة؛ لأنها مؤكدة لا مبينة وليس هذا بأول حال وردت لازمة «.
وقرأ الباقون» حفظا «ولم يجيزوا فيهاغير التمييز؛ لأنهم لو جعلوها حالا، لكانت من صفة ما يصدق عليه» خير «ولا يصدق ذلك على ما يصدق عليه» خير «؛ لأن الحفظ معنى من المعاني.." (١)
"فرع: ولو قال رجل لرجل: يا مرائي عوقب بقدر ما يرى الإمام على قدر حال القائل والمقول له.
قال ابن القاسم: أرأيت لو قال رجل لليث بن سعد يا مرائي؟ وقال لي مثل ذلك، أترى أن يضرب الذي قال لي مثل الذي قال ذلك لليث؟ وعن الناس لو قيل له ذلك كان له أهل من البيان.

فرع: وروي عن مالك أن من اتهم بالفاحشة يضرب خمسة وسبعين سوطا ولا يبلغ به الحد، وإليه ميل أصبغ ونحوه لابن مسلمة.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٤٦/١١

فرع: وفي مفيد الحكام لابن هشام قال بعض العلماء: من شتم رجلا في مجلس حاكم بما لا حد فيه ضرب عشرة أسواط.

فرع: إذا قال الرجل للرجل يا كلب، فإن ذلك يفترق فيه ذو الهيئة من غيره، فإن كان القائل والمقول له من أهل الهيئة كل منهما جميعا، عوقب القائل عقوبة خفيفة يهان ولا يبلغ به السجن، وإن كان جميعا من غير ذوي الهيئة، عوقب القائل أشد من عقوبة القائل الأول المتقدم ذكره يبلغ فيها السجن، وإن كان القائل من ذوي الهيئة والمقول له من غير ذوي الهيئة عوقب بالتوبيخ ولا يبلغ به الإهانة ولا السجن، وإن كان القائل من غير ذوي الهيئة والمقول له من ذوي الهيئة، فيؤخذ من البيان في باب حد القذف وفيها بسط فانظره فيه.

فرع: إذا شتم الأخ أخاه فإن كان الأخ كبيرا وكان شتمه لأخيه على وجه الأدب لم يحد من الطرر، قال **ورأيت في بعض الكتب** سئل بعضهم عن شاتم عمه أو خاله، فقال: لا أرى عليه في ذلك شيئا، وكذلك هما إذا كان على وجه الأدب، قال ابن محرز في كتاب اللعان من تبصرته ومن عرض لولده بالقذف فإنه لا يحد لبعده من التهمة في ولده، ولذلك لم يقتل بولده إذا قتله إلا أن يتبين عمده لذلك أن يضجعه فيذبحه.

فرع: من سل سيفا على وجه القتال ضرب أربعين وكان السيف فيئا، وقيل يقتل إذا سله على وجه الحرابة، ولو سل سكينا في جماعة على وجه المزاح ضرب عشرة أسواط من المفيد.." (١)

"قال: و [عسكر] بالضم.

قلت: في أوله وفي الكاف.

قال: برح بن عسكر، شهد فتح مصر. قال ابن يونس: هكذا رأيته بخط ابن لهيعة، وقال سعيد بن عفير: برح بن حسكل.

قلت: ظاهر كلام المصنف أن ابن يونس رآه بالضم كما تقدم بخط ابن لهيعة، وليس كذلك، وإنما مراد ابن يونس والله أعلم أن لهيعة قاله: ابن عسكر، كما صدر به الترجمة، وان ابن عفير قاله ابن حسكل، فقال

(١) تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام ابن فرحون ٢/ ٣٠١

ابن يونس في " تاريخه ": برح بن عسكر بن وثار، وساق نسبه إلى قضاعة، وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وشهد فتح مصر، واختط بها، وسكنها، ورجل معروف من أهل مصر، ذكره سعيد بن عفير في كتبه، فقال: ابن حسكل، **ورأيت في بعض الكتب** القديمة في النسب القديم بخط ابن لهيعة: برح بن عسكر، وذكر نسبه الذي ذكرناه. وما علمت له رواية بمصر ولا بغيرها. انتهى.

ولم يقيد ابن يونس والد برح بضم ولا غيره، بل أطلقه، لكن ضبطه الأمير فيما حكاه عن ابن يونس بارضم، والله أعلم.

قال: عسل بن سفيان، عن عطاء.." (١)

"الباب التاسع

في تنبيه المجيب من المسائل الشرعية مما جمعه المحقق أبو الليث السمرقندي رحمه الله

ينبغي للمفتي أن يمعن النظر في المسائل الشرعية، فإن كانت من جنس ما يفصل في جوابها يفصل، ولا يجيب على الإطلاق، فإنه يكون مخطئا نحو ما إذا سئل عن هرة أخذت فأرة، فوقعتا جميعا في البئر، فماتتا جميعا، أو ماتت إحداهما وخرجت الأخرى حية.

فإن أجاب بنزح كل البئر، أو بنزح عشرين أو ثلاثين، أو أربعين، أو خمسين فقد أخطأ.

بل يجب أن يفصل، ويبين الشروط التي فيها، فيقول: لو جرحتها الهرة، نزح ماء البئر كله، وإن لم تكن جرحتها، فإن ماتت الهرة أو الفأرة ن فوظيفة كل واحدة معلومة، فإن ماتتا جميعا، يدخل أقل المقدارين في أكثرهما، فيكتفي بنزح الأكثر.

ولو قيل: خرجتا حيين، فالمسئول يخطئ في الجواب إلا أن يقول: إن كانت جرحتها الهرة، نزح ماء البئر كله، وإن لم تكن جرحتها يستحب نزح دلاء.

قلت: **ورأيت في بعض الكتب**: إذا وقعت في البئر من خوف الهرة، يجب نزح ماء البئر كله، لأنها إذا فرت من خوف الهرة، لا تخلو من نجاسة تنفصل منها.

وإذا استفتى عن إمام صلى بقوم ركعة، فأحدث وتأخر، وقدم رجلا والقوم قدموا آخر، فتقدما ونويا الإمامة،

---

(١) توضيح المشتبه ابن ناصر الدين الدمشقي ٦/٢٨٠

فإن أجاب بصحة صلاة كل القوم أو فسادها، أو تصح صلاة الأكثر دون الأقل، أو على العكس، فقد أخطأ، لكن ينبغي أن يقول: إن كان الإمامان نويا معا، أو سبقه نية من قدمه الإمام." (١)

"العلاء بن الحارث قال نعم وقال أبو طالب عن أحمد لا بأس به من صالحيهم وقال بن معين والنسائي ثقة وقال المفضل الغلابي قال غير بن معين كان يزيد غيلانيا وقال يعقوب بن سفيان سألت هشام بن عمار عن يزيد بن يزيد فقال ذاك أفسد نفسه خرج فاعان على قتل الوليد بن يزيد وأخذ مائة ألف دينار وقال الآجري عن أبي داود يزيد وأخوه عبد الرحمن من ثقات الثقات ذكر يزيد للقضاء فإذا هو أكبر من القضاء وذكره بن حبان في الثقات وقال كان من خيار عباد الله تعالى وقال بن أبي حاتم عرض شعيب بن حمزة اختلاف الزهري ومكحول فخطأ الزهري أحيانا وخطأ مكحول أحيانا وقال أبو زرعة الدمشقي **رأيت في بعض الكتب** مات يزيد بن يزيد بن جابر سنة ثلاث وثلاثين وفيها أرخه خليفة وعمرو بن دحيم وقال الواقدي وجماعة مات سنة أربع وثلاثين ومائة ولم يبلغ ستين سنة.

٧٠٤- "د – يزيد" بن يزيد بن جابر الرقي عن يزيد بن الأصم عن أبي هريرة في الحث على صلاة الجماعة وعنه أبو المليح الرقي قال حدثنا يزيد بن يزيد بن جابر شيخ من أهل الرقة فذكره كذا رواه الطبراني في المعجم الأوسط عن أحمد بن عبد الرحمن بن عفان عن أبي جعفر عن النفيلي عن أبي المليح ورواه أبو داود عن العقيلي فقال عن يزيد بن يزيد حسب.

٧١٥- "ع – يزيد" بن أبي يزيد الضبعي١ مولاهم أبو الأزهر البصري

---

١ الضبعي بضم المعجمة وفتح الموحدة بعدها مهملة و"الرشك" بكسر الراء وسكون المعجمة ١٢ تقريب.." (٢)

"إسرائيل، إن كانت لكم كل حلوة، ولهم كل مرة، لتسلكن طريقهم قذ الشراك «١» .

[سورة المائدة (٥) : آية ٤٥]

وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون (٤٥)

---

(١) الدرة الغراء في نصيحة السلاطين والقضاة والأمراء الخَيْرَبَيْتي ص/٣١٥

(٢) تهذيب التهذيب ابن حجر العسقلاني ١١/٣٧١

وقوله تعالى: وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس ... الآية، أي: وكتبنا على بني إسرائيل في التوراة، ومعنى هذه الآية: الخبر بأن الله تعالى كتب فرضا على بني إسرائيل أنه من قتل نفسا، فيجب في ذلك أخذ نفسه، ثم هذه الأعضاء المذكورة كذلك، ثم استمر هذا الحكم في هذه الأمة بما علم من شرع النبي صلى الله عليه وسلم، قال ابن عباس: «ورخص الله لهذه الأمة، ووسع لها بالدية، ولم يجعل لبني إسرائيل دية فيما نزل على موسى «٢» ، والجمهور أن النفس بالنفس: عموم يراد به الخصوص في المتماثلين كما ورد في الحديث، عن النبي صلى الله عليه وسلم: «لا يقتل مسلم بكافر» «٣» ، وكذلك قوله سبحانه: والجروح قصاص: عموم

- ولولا تقاعس العلماء عن الجد في استنباط أنظمة من التشريع الإسلامي تساير هذه الأنظمة في سهولتها وترتيبها ما لجأت الحكومات الإسلامية إلى العمل بهذه القوانين. ويدلك على هذا أن الخديوي إسماعيل باشا كان قد طلب من العلماء أن يستنبطوا له من الشرع الإسلامي قوانين مرتبة كترتيب قوانين أوربا لتكون قانونا للمحاكم المصرية: فاختلفوا وتكاسلوا فما وسعه إلا العمل بهذه القوانين. هكذا **رأيت في بعض الكتب**.

وعلى هذا، فالعمل بهذه القوانين في بلادنا ليس كفرا لما تبين لك من الدافع إليه- اللهم إلا إذا كان بعض الحكام والقضاة يستقبح حكمه تعالى أو يستهزىء به- فإن من يفعل ذلك منهم يكون كافرا- وإنما العمل بها من الذنوب الكبيرة التي هي دون الكفر، وليس العمل بهذه القوانين إجباريا من الدولة الإنجليزية المحتلة لبلادنا لأن الأخذ بهذه التنظيمات كان من أيام تبعيتها للدولة العلية. والإنجليز بما عرف عنهم من عدم التعرض للشؤون الداخلية في البلاد التي يحكمونها لا يعارضون إذا أرادت الأمة العمل بقانون دينها فلا يقال: إنا مرغمون على العمل بها فلا إثم علينا، فإذا أرادوا الخروج من الإثم فما عليهم إلا المبادرة بتأليف لجنة تقتبس من التشريع الإسلامي قانونا منظما كهذه القوانين، وما أيسر ذلك وأقربه، ثم إحلاله عند إتمامه محل هذه القوانين بالمحاكم. إنهم إن بادروا بذلك خرجوا من الإثم وأرضوا عنهم خالقهم وأمتهم، وكفلوا لأنفسهم السعادة في الدنيا والآخرة، ونسأله تعالى التوفيق.

ينظر: «قضاء الإسلام» لشيخنا علي سيد أحمد.

(١) ذكره ابن عطية في «تفسيره» (٢/ ١٩٦) .

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٥٩٩) (١٢٠٧٢) ، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٢/ ١٩٧) .

(٣) أخرجه أبو داود (٤/ ٦٧٠) ، كتاب «الديات» ، باب إيقاد المسلم بالكافر، حديث (٤٥٣١) ، والترمذي (٤/ ٢٥) كتاب «الديات» ، باب دية الكافر، حديث (١٤١٣) وابن ماجة (٢/ ٨٨٧) كتاب «الديات» ، باب لا يقتل مسلم بكافر، حديث (٢٦٥٩) وأحمد (٢/ ١٩٤) والبيهقي (٨/ ٢٩- ٣٠) كتاب «الجنايات» ، باب لا قصاص باختلاف الدينين كلهم من طريق عمرو بن شعيب، عن أبيه عن جده به.

وقال الترمذي: حديث حسن.." (١)

"قال ابن القيم: وأخبرني جماعة من الشيوخ أنهم كانوا يعهدون الثمار أكبر مما هي الآن.

وكثير من هذه الآفات التي تصيبها لم يكونوا يعرفونها» . انتهى.

ورأيت في بعض الكتب أن حبة القمح كانت بمقدار كلوة البقر «١» . وفي كلام بعضهم كانت بمقدار بيضة النعام.

لطيفة «٢»

: في سنة ثلاث وثمانين ومائتين أمر المعتضد أن يكتب إلى الآفاق والأقطار برد المواريث على ذوي الأرحام وأبطل ديوان المواريث «٣» . انتهى «٤» .

ومنها:

في سنة سبع عشرة وثلاثمائة وقع بسبب قوله تعالى: عسى أن يبعثك ربك

(١١ و) ف مقاما محمودا

«٥» ببغداد فتنة عظيمة بين الحنابلة وغيرهم «٦» دخل الجند والعام وقتل بينهم كثير.

قال أبو بكر المروزي الحنبلي: إن معنى ذلك أن الله تعالى يقعد للنبي صلى الله عليه وسلم معه على العرش.

وقالت الطائفة الأخرى إنما هي الشفاعة «٧» .

ومنها:

في سنة ست وثلاثين وثلاثمائة عدا أسد بأرض الشام لم يسمع بمثله كان يفترس في بلد." (٢)

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ٣٨٨/٢

(٢) كنوز الذهب فى تاريخ حلب سِبْط ابن العَجَمي، موفق الدين ١٣٨/١

"يقول الله الله الله فقال بقي من أجلك ثلاثة أيام فكان كما قال نسأل الله تعالى أن يختم أعمالنا بالتوحيد في عافية.

باب في ذكر الموت والأمل وفضل الصبر والرضا والأدب

قال الله تعالى إنك ميت وإنهم ميتون بدأ به صلى الله عليه وسلم تسلية للنفوس وقال صلى الله عليه وسلم الموت تحفة المؤمنين وتقدم عن بعض العارفين الدنيا بلا موت لا تساوي دانقا وقالت عائشة يا رسول الله هل يحشر مع الشهداء أحد قال نعم من يذكر الموت في اليوم والليلة عشرين مرة في حديث آخر يا علي من قال كل يوم إحدى وعشرين مرة اللهم بارك في الموت وفيما بعد الموت لم يحاسبه الله بما أنعم عليه من الدنيا وفي حديث آخر مثل المؤمن في الدنيا كمثل الجنين في بطن أمه فإذا خرج بكى فإذا رأى الضوء لم يحب أن يرجع إلى مكانه فكذلك المؤمن يجزع من الموت فإذا أفضى إلى ربه لم يحب أن يرجع إلى الدنيا وقالت عائشة رضي الله عنها قال النبي صلى الله عليه وسلم إذا عاين المؤمن الملائكة قالوا نرجعك إلى الدنيا فيقول دار الهموم والأحزان بل قدوما إلى الله عز وجل ... فائدة يكره تمنى الموت لمن أمن على دينه قال الرازي في قوله عز وجل يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي قدم الفعل إخراج الحي لأنه أشرف من الميت فوجب الاعتناء بإخراج الحي من الميت أكثر من إخراج الميت من الحي فلها قدم الأول قيل الحي المؤمن يخرج من الكافر وبالعكس وقيل النبات من الحب وبالعكس وقيل البيضة من الدجاجة وبالعكس ورأيت في الشفاء أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر أنه طرح بنتا له في وادي كذا فانطلق معه فنادها يا فلانة فقالت لبيك يا رسول الله قال أن أبويك قد أسلما فإن أحببتي أدلك عليهما فقالت لا حاجة لي بهما وجدت الله خيرا منهما قال كعب الأخبار رضي الله عنه من عرف الموت هانت عليه مصائب الدنيا وهمومها وفي الحديث أن الله تعالى إذا رضي عن عبده قال لملك الموت اذهب إلى فلان فأتى بروحه لأريحه من عمله قد بلوته فوجدته حيث أحب فينزل ملك الموت ومعه خمسمائة من الملائكة ومعهم قضبان الريحان وأصول الزعفران كل واحد منهم يبشره ببشارة جديدة سوى بشارة صاحبه وتقوم الملائكة صفين لقدوم روحه ومعهم الريحان فإذا نظر إليهم إبليس وضع يده على رأسه وصاح فيقول له جنوده مالك يا سيدنا فيقول ألا ترون إلي ما أعطى هذا العبد من الكرامة أين كنتم عنه قالوا قد جهدنا به فكان معصوما قال العلائي في تفسيره رأيت في بعض الكتب أن ملك الموت مكتوب على جبهته لا إله إلا الله فإذا رآها المؤمن تذكر الشهادة ... موعظة قال القرطبي في تذكرته عن بعضهم من أكثر ذكر الموت أكرم بثلاثة أشياء تعجيل التوبة وقناعة النفس والنشاطة في العبادة ومن نسي ذكره عوقب بثلاثة

أشياء تسويف التوبة وترك الرضا بالكفاف والتكامل في العبادة وقال صلى الله عليه وسلم لو تعلم البهائم من الموت ما تعلمون ما أكلتم منها سمينا ... حكاية: مر عيسى عليه السلام على راع يرعى إبلا فوجد بعيرا سمينا يفرح بنفسه وبعض واحدا بعد واحد فأخذ عيسى بإذنه." (١)

"وأما يعقوب ويوسف وإخوته فدخولهم مصر منصوص عليه في القرآن.

وكذا موسى وهارون وقد ولدا بها.

وأما لوط فيمكن دخلوه مع إبراهيم؛ ولكن لم أر التصريح به في حديث ولا أثر.

وأما يوشع فهو ابن نون بن أفرائيم بن يوسف. ولد بمصر، وخرج مع موسى إلى البحر لما سار ببني إسرائيل، ورد في أثر عن ابن عباس.

وأما أرميا فتقدم دخوله في قصة بخت نصر.

وأما عيسى فتقدم في قوله تعالى: ﴿وآويناهما إلى ربوة﴾ (١) إنها مصر على قول جماعة، **ورأيت في بعض الكتب** أن عيسى ولد بمصر بقرية أهناس، وبها النخلة التي في قوله تعالى: ﴿وهزي إليك بجذع النخلة﴾ (٢) ، وأنه نشأ بمصر، ثم سار على سفح المقطم ماشيا، وهذا كله غريب لا صحة له، بل الآثار دلت على أنه ولد ببيت المقدس، ونشأ به، ثم دخل مصر.

وأما دانيال، فلم أقف فيه على أثر إلى الآن، وعده ابن زولاق فيمن ولد بمصر.

والخلاف في نبوة إخوة يوسف شهير، ولي في ذلك تأليف مستقل؛ وهم مدفونون بمصر بلا خلاف؛ وهذه أسماؤهم لتستفاد!

أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم، عن السدي، قال: بنو يعقوب: يوسف، وبنيامين، وروبيل، ويهوذا، وشمعون، ولاوى، ودان، وقهاث، وكودى، وبانيون. هكذا سمى عشرة وبقي اثنان.

---

(١) سورة المؤمنون: ٥٠.

(٢) سورة مريم: ٢٥.." (٢)

"قال الذهبي: بايع تحت الشجرة (١) .

وقال الحسيني في رجال السند: مصري له صحبة ورواية، روى عنه زهير بن قيس البلوي.

---

(١) نزهة المجالس ومنتخب النفائس الصفوري ١/٦٤

(٢) حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة السيوطي ١/٥٣

٢٠٠- علقمة بن سمي الخولاني "ك". قال الذهبي: صحابي، شهد فتح مصر، ولا يعرف له رواية (٢) .

٢٠١- علقمة بن يزيد المرادي ثم الغطيفي. قال الذهبي: وله وفادة، وشهد فتح مصر، وولي الإسكندرية زمن معاوية (٣) .

٢٠٢- عمار بن ياسر العبسي أبو اليقظان. أحد السابقين الأولين. قال ابن الربيع: دخل مصر رسولا من قبل عثمان بن عفان وصار إلى صقلية، ولأهل مصر عنه حديث واحد. قتل بصفين سنة سبع وثلاثين، وهو ابن ثلاث وتسعين سنة، بتقديم التاء على السين (٤) .

٢٠٣- عمارة -ويقال عمار- بن شبيب السبأي. قال في التجريد: قدم مصر (٥) ، روى عنه أبو عبد الرحمن الشيباني الجبلي. حديثه في الترمذي.

قال ابن يونس: الحديث مرسل.

وقال في التهذيب: مختلف في صحبته (٦) .

٢٠٤- عمر بن الخطاب أمير المؤمنين. **رأيت في بعض الكتب** أنه دخل مصر

---

(١) فتوح مصر ٣٠٢.

(٢) الإصابة ٢: ٤٩٦.

(٣) الإصابة ٢: ٥٠٠.

(٤) الإصابة ٢: ٥٠٥-٥٠٦.

(٥) ضبطه في التقريب: "بفتح المهملة والموحدة وهمزة مقصورة".

(٦) الإصابة ٢: ٥٠٨، تهذيب التهذيب ٧: ٤٠٨.." [١]

"وعن زيد بن أسلم قال:) يؤتى المؤمن عند الموت فيقال له: لا تخف مما أنت قادم عليه فيذهب خوفه، ولا تحزن على الدنيا ولا على أهلها وأبشر بالجنة فيذهب خوفه، ولا تحزن على الدنيا فيموت وقد أقر الله عينه (.

وعن الحسن أنه سئل عن قوله تعالى: (يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية) قال: إن الله إذا أراد قبض روح عبده المؤمن اطمأنت النفس إلى الله تعالى واطمأن الله إليها.

وقال البيهقي في المشيخة البغدادية:

---

(١) حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة السيوطي ١/٢٢٢

سمعت أبا سعيد والحسن بن علي الواعظ يقول: سمعت محمد بن الحسن الواعظ يقول: سمعت أبي يقول: **رأيت في بعض الكتب** أن الله تعالى يظهر على كف ملك الموت بسم الله الرحمن الرحيم بخط من نور، ثم يأمره أن يبسط كفيه للعارف في وقت وفاته فيريه تلك الكتابة، فإذا رأتها روح العارف طارت إليه في أسرع من طرفة العين.

وعن ابن عباس مرفوعا:) إذا أمر الله ملك الموت بقبض أرواح من استوجب النار من مذنبي أمتي قال: بشرهم بالجنة بعد انتقام كذا وكذا على قدر ما يعملون يحبسون في النار. فالله سبحانه أرحم الراحمين (.."(١)

"بإسقاطها أم لا؟ فأجاب ليس للزوجة أن تسقط عن زوجها حكم الطوع ولا ينتفع الزوج به إن فعلت؛ لأن حق الأولاد تعلق بالطوع فليس لأمهم إسقاطه وإن كانت وصيا عليهم؛ لأن وصي المحجور لا يفوت عليه مالا بغير عوض، وقد نص ابن رشد في النوازل على أن المرأة ليس لها أن تسقط عن زوجها من الشروط إلا ما لا يتعلق به حق لغيرها كتطليق نفسها إن تزوج عليها، فإن كان الشرط أن الداخلة عليها طالق فهذا لا يسقط لأنه تعلق به حق الله تعالى. من

(الفائق) للونشريسي وانظر إذا تطوع بنفقة ولدها هل تنقطع ببلوغه عاقلا قادرا على التكسب كما تنقطع بذلك عن الأب أو لا تنقطع إلا بموت أحد الزوجين أو فراقهما لقول الموثق في وثيقة الالتزام مدة الزوجية بينه وبين أمه: قال الحطاب في الالتزام (فرع) قال ابن زرب: وفي الطرر: **رأيت في بعض الكتب** إن كان الطوع بنفقة الولد لمدة الزوجية فإنما يلزم الزوج الإنفاق على الربيب ما دام صغيرا لا يقدر على الكسب اهـ. وجزم به ابن سلمون ونصه: وإن كان الطوع لمدة الزوجية فإنما يلزم الزوج الإنفاق على الربيب ما دام صغيرا لا يقدر على الكسب اهـ.

(الحطاب) وهذا خلاف ما تقدم عن مختصر المتيطية معين الحكام، قال في معين الحكام: إذا طاع الزوج بنفقة ابن امرأته أمد الزوجية جاز بعد ثبوت العقد، وإن كان ذلك في العقد لم يجز للغرر ويفسخ قبل البناء ويثبت بعده بصداق المثل ويبطل الشرط.

كذا جرى العمل في التمتيع ... بأنه يرجع بالرجوع

وشيخنا أبو سعيد فرقا ... بينهما ردا على من سبقا

وقال قد قاس قياسا فاسدا ... من جعل البابين بابا واحدا

---

(١) بشرى الكئيب بلقاء الحبيب السيوطي ص/٣٠

لأنه حق له قد أسقطه ... فلا يعود دون أن يشترطه

وذاك لم يسقطه مستوجبه ... فعاد عندما بدا موجبه

والأظهر العود كمن تختلع ... فكل ما تتركه مرتجع

تقدم في شرح قوله آخر فصل في حكم فاسد النكاح وما يتعلق به:

ويفسد النكاح بالإمتاع في ... عقدته ،وهو على الطوع اقتفي

أن الإمتاع هو أن تعطي الزوجة وأبوها للزوج دارا يسكنها أو أرضا يعمرها ونحو ذلك، وأن ذلك إن كان في نفس عقد النكاح فالنكاح فاسد.

وإن كان طوعا بعد العقد فجائز. ولما ذكر الناظم في الأبيات قبل هذه حكم ما التزمه الزوج لزوجته.

وإن طلقها سقط عنه وإن راجعها رجع عليه إلا إذا طلقها ثلاثا وراجعها بعد زوج فلا يعود عليه إلا إذا التزمه ثانية في هذه المراجعة ذكر هنا أن الإمتاع كذلك وأنها إن أمتعته سكنى دارها مثلا ثم طلقها فلا سكنى له، فإن راجعها رجعت إليه السكنى، إلا إذا طلقها ثلاثا ثم راجعها بعد زوج لم ترجع له، فلا فرق في الحكم بين ما التزمه الزوج لزوجته وما التزمته هي له.

وعلى هذا نبه بالبيت الأول وأخبر فيه أن الذي جرى به العمل أن المسألتين سواء، أنه وإن طلق دون الثلاث ثم راجعها له ما أمتعته به، ثم أخبر الناظم عن شيخه أبي سعيد ابن لب – رحمهما الله – أنه فرق بين المسألتين ردا على من سبق ممن ساوى بينهما وهو الإمام ابن القاسم الجزيري مؤلف المقصد المحمود – أحد الكتب الأربعة التي ينقل منها الناظم –.

وقال: إن من قاس مسألة الإمتاع على مسألة التزام الزوج فإن قياسه فاسد لا عمل عليه لما بينهما من الفرق.

وعلى ذلك نبه بقوله:

وشيخنا أبو سعيد فرقا

البيتين فقوله: " من جعل " هو فاعل " قاس "، وفاعل " قال " لأبي سعيد " وردا " مفعول من أجله، ثم بين الفرق بين المسألتين في قوله:

لأنه حق له قد أسقطه

البيتين، وأنه في مسألة الإمتاع الحق للزوج، فإذا طلق فقد أسقط حقه فلا يعود إليه بالمراجعة إلا إذا أمتع

ثانية، وأما ما التزمه الزوج لزوجته فإن الحق فيه للزوجة أو لبنيها وهم لم يسقطوا ما وجب لهم فيعود ذلك لهم إذا." (١)

"تتزوج غيره في الحين فلا معنى لوجوب شيء لها من توابع النكاح على الزوج وقد انفصلت العصمة بينهما وأفاد بالبيت الثاني أن من طلق امرأته وله معها ولد رضيع فإنما لها على الزوج نفقة ولده لا كراء مسكنه ما دام في زمن الرضاع (قال في السر المصون) : إذا لزمت الجارية العدة لمكان الخلوة بها لزم الزوج السكنى ولو خلا بها في بيت أهلها، ثم طلقها واتفقا على عدم المسيس، فعليها العدة ولا سكنى لها ولو قالت جامعني وهو ينكر، فالقول قوله ولا سكنى عليه، فإن كانت صغيرة لا يجامع مثلها ودخل بها وطلقها ألبتة فلا سكنى لها؛ لأنها لا عدة عليها باختصار والحاصل أنه كلما انتفت العدة انتفى لازمها من السكنى والنفقة، وإذا وجبت العدة فقد ثبتت النفقة والسكنى كما إذا كانت المطلقة حاملا وقد ينتفيان كما إذا خلا بها في بيت أهلها وادعت المسيس وأنكره، فالقول قوله وعليها العدة لمكان الخلوة، ولا نفقة لها؛ لأنها بائن غير حامل ولا سكنى على الزوج؛ لأنها على زعمه مطلقة قبل البناء والله أعلم. (وفي طرر ابن عات) ولا سكنى للرضيع على أبيه مدة الرضاع حتى يخرج من الرضاع وحينئذ يكون عليه السكنى، كذلك **رأيت في بعض الكتب** يريد أن مسكن الرضيع مدة الرضاع إنما هو في حجر الأم في الغالب. اهـ.

وجملة " والرضاع ما انقضى " حالية، و " ما " نافية.

ومرضع ليس بذي مال على ... والده ما يستحق جعلا

ومع طلاق أجرة الإرضاع ... إلى تمام مدة الرضاع

وبعدها يبقى الذي يختص به ... حتى يرى سقوطه بموجبه

وإن تكن مع ذاك ذات حمل ... زيدت لها نفقة بالعدل

بعد ثبوته وحيث بالقضا ... تؤخذ وانفش فمنها تقتضى

وإن يكن دفع بلا سلطان ... ففي رجوعه به قولان

ومن له مال ففيه الفرض حق ... وعن أب يسقط كل ما استحق

تكلم في الأبيات على بعض مسائل الإرضاع ولم يتقنها ولا استوفى الأكيد منها فلا بد من ذكر جملة صالحة من ذلك، وأحسن ما وقفت عليه الآن بتقريب قول ابن سلمون ويلزم الأم رضاع ابنها." (٢)

---

(١) شرح ميارة = الإتقان والإحكام في شرح تحفة الحكام ميارة ٢٣٩/١

(٢) شرح ميارة = الإتقان والإحكام في شرح تحفة الحكام ميارة ٢٥٨/١

"[الزاغ] [١] فأنشدته:

أغرك أن أذنبت ثم تتابعت ... ذنوب فلم أهجرك ثم ذنوب

وأكثرت حتى قلت ليس بصارمي ... وقد يصرم الإنسان وهو حبيب [٢]

فصاح: زاغ زاغ زاغ، ثم طار، وسقط في القمطرة [٣] ، فقلت ليحيى:

أعز الله القاضي، وعاشق أيضا؟! فضحك، فقلت: أيها القاضي ما هذا؟

فقال: هو ما ترى [٤] ، وجه به صاحب اليمن إلى أمير المؤمنين، وما رآه بعد، وكتب كتابا لم أفضضه وأظنه ذكر فيه [٥] شأنه وحاله. انتهى.

وقال ابن خلكان [٦]- رحمه الله-: رأيت في بعض الكتب أن المأمون رحمه الله كان يقول: لو وصفت الدنيا نفسها لما وصفت بمثل قول أبي نواس:

ألا كل حي هالك وابن هالك ... وذو نسب في الهالكين عريق

إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت ... له عن عدو في ثياب صديق [٧]

انتهى.

وقال المأمون: الإخوان ثلاث طبقات: طبقة كالغذاء لا يستغنى عنه أبدا، وهم إخوان الصفا، وإخوان كالدواء يحتاج إليهم في بعض الأوقات، وهم الفقهاء. وإخوان كالداء لا يحتاج إليهم أبدا، وهم المنافقون.

وكان سبب وفاة المأمون- رحمه الله تعالى- أنه جلس على شاطئ نهر

---

[١] سقطت من الأصل، والمطبوع واستدركتها من «الجليس والأنيس» .

[٢] البيتان في «سير أعلام النبلاء» (١٢/ ١٢- ١٣) ، ولفظ البيت الثاني منهما فيه:

وأكثرت حتى قلت ليس بصارمي ... وقد يصدم الإنسان وهو حبيب

وقد ساق الذهبي فيه هذه القصة باختصار في ترجمة يحيى بن أكثم.

[٣] في المطبوع، و «الجليس والأنيس» : «في القمطر» .

[٤] في «الجليس والأنيس» : «قال: هو ما تراه» .

[٥] في «الجليس والأنيس» : «وأظن أنه ذكر في الكتاب» .

[٦] في «وفيات الأعيان» (٢/ ٩٧) .

[٧] البيتان في «ديوانه» ص (٤٦٥) طبع دار صادر، ورواية الأول منهما فيه:
أرى كل حي هالكا وابن هالك ... وذا نسب في الهالكين عريق." (١)
"الكاتب: محمد رشيد رضا

بقية الكلام في أحاديث انشقاق القمر
تتمة إشكال عدم رؤية أهل الآفاق له
وأما قولهم: إنه لم ينقل إلينا من أهل الأرض أنهم رصدوا القمر في تلك الليلة فلم يروه انشق - ففيه أن رؤية انشقاقه لا تتوقف على رصده لأن من شأنه أن يراه كل ناظر إليه، وأن الذين ينظرون إليه في ليالي تمه كثيرون.
وأما قولهم (إن الحجة فيمن أثبت لا فيمن يوجد عنه صريح النفي حتى إن من وجد منه صريح النفي يقدم عليه من وجد منه صريح الإثبات) ففيه أنه ليس في موضع النزاع؛ لأن الواقع أنه وجد مثبت فقط؛ ولكنه يدعي شيئا لو صح لرآه من لا يحصى من أهل الأقطار المختلفة، ولنقل عنهم بالتواتر، وإذا لم يحصل هذا فيكون خبره غير مقبول كما تقدم تقريره من كلام علماء الأصول والمنطق في الخبر الذي يقطع بعدم صحته (دع كونه معارضا بآيات القرآن المحكمة كما يأتي قريبا) .
وقد بالغ القاضي عياض في الاعتماد على هذا الجواب أو الدفع، فجعل نقل النفي للشيء بالخبر المتواتر المفيد للعلم للقطعي مرجوحا يرد ما يعارضه من إثباته بخبر الواحد الذي لا يفيد الظن عندهم إلا بشروط منها أن لا يكون مخالفا لسنة الله في الوجود ونظام العالم، وأن لا يكون مما تتوفر الدواعي على نقله بالتواتر، وأن لا يكون معارضا بنص قطعي كآيات القرآن الصريحة في عدم إعطاء الله رسوله صلى الله عليه وسلم آية باقتراح الكفار (وسيأتي تقرير هذا في الإشكال الأصولي (و)) .
وهذا نص عبارة القاضي: (ولو نقل إلينا عمن لا يجوز تمالؤهم - لكثرتهم - على الكذب لما كان علينا به حجة) يعني أننا نصدقهم بأنهم رصدوه طول الليل ولم

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ابن العِماد الحنبلي ٨٧/٣

يروه انشق، ولا يكون حجة علينا مع قطعنا بصدقهم، وعلل هذا بقوله (إذ ليس القمر في حد واحد لجميع أهل الأرض، فقد يطلع على قوم قبل أن يطلع على الآخرين، وقد يكون من قوم بضد ما هو من مقابليهم من أقطار الأرض، أو يحول بين قوم وبينه سحاب وجبال، ولهذا نجد الكسوفات في بعض البلاد دون بعض) ... إلخ ما سبقه إليه الخطابي وغيره وتقدم.

وفيه أن التعليل الذي ذكره يصح في بعض الأقطار دون جميعها، ولكن لا يجوز عقلا أن ينشق ولا يرى في شيء منها، وتقدم الجواب عن اختلاف المطالع والخسوف والكسوف.

على أن الحافظ المزي نقل عن شيخ الإسلام ابن تيمية أن بعض المسافرين ذكر أنه رأى في بلاد الهند بناء قديما مكتوبا عليه أنه بني ليلة انشق القمر، وأذكر أنني رأيت في بعض الكتب أو الصحف أن هذا رؤي في بلاد الصين، ولكن مثل هذا الخبر الغريب عن مسافر مجهول لا يعده أحد من أهل العلم حجة في مسألة علمية ولو لم تكن كمسألتنا، لعدم الثقة بعدالته؛ ولأنه يروي ما لو صح لوقف عليه المسلمون الفاتحون للهند، ولجعلوا لذلك البناء شأنا يشتهر به ويزار، ولدون خبره في كتب التاريخ، ولم يوجد شيء من ذلك، على أنه لو وجد بهذا الإبهام والإجمال لما كان حجة في موضوعنا لجواز أن يكون سببه أسطورة أو إشاعة حدثت عند الذين بنوه وربما كانوا من الوثنيين، وقد نقل الحافظ في سياق هذا المبحث أن العلامة الحليمي المشهور قال - كما نقل عنه البيهقي في البعث والنشور - ما نصه:

(أن من الناس من قال: إن المراد بقوله تعالى: ﴿وانشق القمر﴾ (القمر: ١) أي سينشق [قال الحليمي] فإن كان كذلك فقد وقع في عصرنا،

فشاهدت الهلال ببخارى في الليلة الثالثة منشقا نصفين عرض كل واحد منهما كعرض القمر ليلة أربع أو خمس، ثم اتصلا فصار في شكل أترجة إلى أن غاب، وأخبرني من أثق به أنه شاهد ذلك في ليلة أخرى اهـ. وقد صرح الحافظ ابن حجر بتعجبه من إقرار البيهقي لهذا مع حديث ابن مسعود، ونحن نصدق ما ذكره الحليمي عن نفسه وعمن يثق به ونجزم أنهما تخيلا فخالا، أو عرض لبصرهما ما صور لهما ذلك،

ومن العلل العارضة للبصر أو الدائمة ما يصور لها الواحد اثنين، وهذا معروف مشهور.

(هـ) الإشكال الفلكي:

استشكل بعض الناس خبر انشقاق القمر بما هو مقرر في أصول علم الفلك (القديم) كذا قال الحافظ (وإنهم احتجوا بأن الآيات العلوية لا يتهيأ فيها الخرق والالتئام) وعزاه إلى الفلاسفة ونقل عن الزجاج عزوه إلى (المبتدعة الموافقين لمخالفي الملة) وأجاب عنه بأن القمر مخلوق لله يفعل فيه ما يشاء.

أقول: وهذا حق لا ينكره مؤمن بالله، ومسألة عدم قبول الأفلاك للخرق والالتئام، من أوهام فلاسفة اليونان، وقد كشفها وأبطلها علم الهيئة الحديثة؛ ولكن لا يشك عاقل من المؤمنين وغيرهم أن خلقه تعالى للسموات وأجرامها في غاية الإبداع والنظام لا تفاوت فيه ولا خلل، وأن سننه تعالى في الخلق لا تتبدل ولا تتحول، فلا يصدق خبر وقوع تغير فيها إلا بخبر قطعي ثابت مثل ثبوتها وثباتها، كآيات الرسل التي أخبر الله تعالى بها، ومن دونها آيات أرضية لا يتضمن وقوعها ما يتضمنه انشقاق القمر ورجوع الشمس بعد غروبها من مخالفة الكون العام، ومعارضة قول الله تعالى: ﴿الشمس والقمر بحسبان﴾ (الرحمن: ٥) ، وقول رسوله صلى الله عليه وسلم: (إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان لموت أحد ولا حياته) متفق عليه، وذلك كنبع الماء من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم فمثل هذا يقبل في خبره ما صح وإن لم يتواتر ويصير قطعيا، ونحن إنما نذكر مثل هذه الدقائق لغرض شرعي صحيح سنذكره بعد.

(و) الإشكال الأصولي الأعظم:

قد ثبت بآيات القرآن المحكمة الكثيرة القطعية الدلالة أن آية الله تعالى وحجته على صحة نبوة خاتم رسله محمد صلى الله عليه وسلم التي تحدى بها الكفار ولم يحتج عليهم بغيرها، هي كتاب الله المعجز للبشر ولغيرهم من الخلق، وثبت بالحديث الصحيح الصريح أيضا فقد قال صلى الله عليه وسلم: (ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر؛ وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إلي،

فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة) رواه الشيخان والنسائي فقوله صلى الله عليه وسلم (وإنما كان) من شرح تفيد الحصر، وقد تأولوه بأنه لما كان القرآن أعظم معجزاته وأدومها كان غيرها منها كأنه غير موجود، ولا حاجة إلى هذا التأويل إذا اشترط في المعجزة التحدي؛ فإنه صلى الله عليه وسلم لم يتحد العرب ولا غيرهم إلا بالقرآن، وقد بين العلماء حكمة ذلك بما هو معلوم مشهور بناء على أنه هو أصل العقيدة القطعي الذي لا نزاع فيه، وثبت بالآيات المحكمة الكثيرة القطعية الدلالة أن الكفار طالبوا النبي صلى الله عليه وسلم بآية من الآيات الكونية التي أوتي مثلها الرسل على الإبهام، وأنهم اقترحوا عليه آيات معينة أيضا فلم يجابوا إلى طلبهم، وفي بعض هذه الآيات ما يدل على أنه صلى الله عليه وسلم كان يحب هو وأصحابه أن يؤيده الله بآية مما اقترحوه لعلهم يؤمنون، وأن الله تعالى لم يؤته ذلك بل بين له في بعض تلك الأحوال أن طلبهم الآيات إنما يقصدون به التعجيز، وأنهم لو أعطوها لا يؤمنون، وأن سنته قد مضت بأن ينزل عذاب الاستئصال بكل قوم اقترحوا آية على رسولهم ولم يؤمنوا بإجابتهم إلى ذلك، وأمره في أحوال أخرى بأن يخبرهم بأن الآيات عند الله وبيده وحده، وأنه هو بشر لا يستطيع شيئا مما لا يستطيعه البشر، إلا أن الله تعالى أوحى إليه ما أمره أن يبلغه الناس من البينات: الهدى والإيمان، وصرح في بعضها بأن آيته الكتاب العزيز المشتمل على آيات كثيرة في آية الله الكبرى، وصرح في بعض آخر ببعض تلك الآيات فيه.

ففي سورة يونس ﴿ويقولون لولا أنزل عليه آية من ربه فقل إنما الغيب لله فانتظروا إني معكم من المنتظرين﴾ (يونس: ٢٠) وفي سورة الرعد ﴿ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه إنما أنت منذر ولكل قوم هاد﴾ (الرعد: ٧) وفيها ﴿ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه قل إن الله يضل من يشاء ويهدي إليه من أناب﴾ (الرعد: ٢٧) .

وفي سورة طه ﴿وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه أولم تأتهم بينة ما في الصحف الأولى﴾ (طه: ١٣٣) أي أخبار كتب الأنبياء في القرآن وهي إحدى معجزاته.

وفي سورة العنكبوت ﴿وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه قل إنما الآيات
عند الله وإنما أنا نذير مبين * أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في
ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون﴾ (العنكبوت: ٥٠-٥١) .
وفي سورة الأنعام ﴿وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضي الأمر ثم
لا ينظرون﴾ (الأنعام: ٨) أي لقضي الأمر بهلاكهم واستئصالهم، ثم لا ينظرون،
أي: لا يؤخرون ولا يمهلون بعد نزوله.
وقال في سورة الإسراء ﴿وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون
وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات إلا تخويفا﴾ (الإسراء:
٥٩) .
وقال في سورة الأنعام لرسوله صلى الله عليه وسلم مسليا إياه عن إعراضهم
ومؤيسا إياه من إعطاء الآية الكونية المقترحة ﴿وإن كان كبر عليك إعراضهم فإن
استطعت أن تبتغي نفقا في الأرض أو سلما في السماء فتأتيهم بآية ولو شاء الله
لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين * إنما يستجيب الذين يسمعون والموتى
يبعثهم الله ثم إليه يرجعون * وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه قل إن الله قادر على
أن ينزل آية ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ (الأنعام: ٣٥-٣٧) .
ثم قال فيها مؤيسا لأصحابه صلى الله عليه وسلم من إيمانهم إذا أوتوا آية
﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل إنما الآيات عند الله وما
يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون * ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول
مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون * ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى
وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون﴾ (الأنعام: ١٠٩-
١١١) وليراجع من شاء تفسير كل ما ذكرنا من هذه الآيات التي في
سورة الأنعام في الجزء السابع وأول الثامن من تفسيرنا هذا وفي غيره.
بعد التذكير بهذه الآيات المحكمة القطعية كيف يمكننا أخذ رواية أنس بن مالك
رضي الله عنه في الصحيحين بالقبول؟ فنصدق أن المشركين طلبوا من النبي
صلى الله عليه وسلم آية فأراهم انشقاق القمر، ولم يدع غيره من رواة الحديث في

الصحيحين هذه الدعوى، مع العلم بأن روايته له مرسلة لأنه أنصاري كان عند هجرة النبي صلى الله عليه وسلم ابن عشر سنين، وعند انشقاق القمر ابن خمس سنين في المدينة، ولا يعلم أحد إلا الله ممن سمع هذا الخبر، واحتمال سماعه له من ابن مسعود بعيد؛ لأنه لم يأت في شيء من الروايات الصحيحة عن ابن مسعود أن المشركين اقترحوا على النبي صلى الله عليه وسلم آية فأراهم القمر شقتين حتى رأوا حراء بينهما، وفي رواية عنه (مرتين) وهي غلط من الرواة كما بينه ابن القيم وابن حجر ويراد بها الشقين، ولم يصح ذلك عن أحد ممن رووا عنه هذا الحديث؛ وإنما روى نحوه أبو نعيم في الحلية ببعض أسانيده الواهية عن ابن عباس رضي الله عنه، وروى عنه ما يعارضه وهو أن الذين طلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية ليؤمنوا فأراهم انشقاق القمر هم بعض اليهود، وهي رواية شاذة على شدة ضعفها لم يقبلها أحد من العلماء الذين يقبلون الأحاديث الضعيفة في الفضائل والدلائل لمعارضتها للأولى؛ ولأن مكة لم يكن فيها اليهود، وسورة القمر مكية بالإجماع.

قال الحافظ في شرح حديثه في (باب انشقاق القمر) من البخاري: ولم أر في شيء من طرقه أن ذلك كان عقب سؤال المشركين إلا في حديث أنس فلعله سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم، ثم وجدت في بعض طرق حديث ابن عباس صورة السؤال، وهو وإن كان لم يدرك القصة لكن في بعض طرقه ما يشعر بأنه حمل الحديث عن ابن مسعود كما سأذكره، فأخرج أبو نعيم في الدلائل من وجه ضعيف عن ابن عباس قال: اجتمع المشركون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم الوليد بن المغيرة وأبو جهل بن هشام والعاص بن وائل والأسود بن المطلب والنضر بن الحارث ونظراؤهم فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: إن كنت صادقا فشق لنا القمر فرقتين، فسأل ربه فانشق اهـ. والحافظ حجة في النقل ضعيف في إيراد الاحتمالات وتوجيهها في الغالب ولا سيما الاحتمالات المؤيدة لما يراه صحيحا أو حسنا في نفسه كالفضائل والمناقب، وما يعد من دلائل النبوة منها أولى.

وأول ما يخطر في بال مستقل الفكر أن الذين رووا الحديث عن ابن مسعود

نفسه عند الشيخين وغيرهما لم ينقل أحد عنه أن انشقاق القمر كان إجابة لطلب الكفار بآية من النبي صلى الله عليه وسلم، وذلك معارض لنصوص القرآن فكيف نلصق به احتمال تحديث ابن عباس بذلك في رواية لم تصح عن ابن عباس، مع أن رواية ابن عباس في الصحيحين مرسلة يحتمل أن يكون سمعها من بعض التابعين حتى كعب الأحبار الذي ثبت أنه روى عنه بعض إسرائيلياته في التفسير وغيره.

هذا مجمل ما يقال في رواية كون انشقاق القمر كان آية مقترحة من الكفار خلافا لما يقتضيه ما ذكرنا من آيات القرآن وما لم نذكر منها، ولم نر أحدا من العلماء عني ببيان الإشكال والجواب عنه، إلا أن الخطابي قرر في مسألة انشقاق القمر حكمة عدم بلوغ شيء من المعجزات المحمدية مبلغ التواتر الذي لا نزاع فيه إلا القرآن بما حاصله كما تقدم عن الحافظ ابن حجر (أن معجزة كل نبي كانت إذا وقعت عامة أعقبت هلاك من كذب به من قومه للاشتراك في إدراكها بالحس، والنبي صلى الله عليه وسلم بعث رحمة، فكانت معجزته التي تحدى بها عقلية) ... إلخ ما تقدم – هو تلخيص الحافظ لكلامه أو لما فهم أو أراد منه، على أنه لم يرض منه إلا تعليله لمناسبة إيتاء كل نبي ما يناسب حال أمته من الآيات كما تقدم، ولكن الشيخ عليا القاري نقل عبارته نفسها في شرحه للشفا وهي:

(قال الخطابي: الحكمة في وقوعها ليلا أن من طلبها من الرسول صلى الله عليه وسلم بعض من قريش فوقع لهم ذلك ليلا، ولو أراد الله تعالى أن تكون هذه المعجزة نهارا لكانت داخلة تحت الحس قائمة للعيان، بحيث يشترك فيها الخاصة والعامة – لفعل ذلك؛ ولكن الله تعالى بلطفه أجرى سنته بالهلاك في كل أمة أتاها نبيها بآية عامة يدركها الحس فلم يؤمنوا، وخص هذه الأمة بالرحمة فجعل آية نبيها عقلية، وذلك لما أوتوه من فضل الفهم بالنسبة إلى سائر الأمم، والله سبحانه وتعالى أعلم) اهـ.

وهذه العبارة تفيد ما لم يفده تلخيص الحافظ لها؛ وإنما يلخص كل إنسان من كلام غيره ما يفهمه مما يتعلق بغرضه، وما كل إنسان يفهم كل مراد غيره من

كلامه، وما كل ملخص يؤدي كل ما فهمه كما فهمه، وكل من العبارتين قاصر عن تحقيق الحق في الموضوع، وقد بيناه في مواضع من تفسيرنا، ومنه أن الله تعالى جعل آيته على صدق رسالة خاتم النبيين عقلية علمية دائمة لا تنقطع؛ لتكون حجة قائمة على العقلاء ببقاء أمة الدعوة وأمة الإجابة أي إلى يوم القيامة؛ فإن الآيات الكونية لا بقاء لها، ويحصل المراء في نقلها وفي دلالتها.

ومنه أنه مضت سنة الله تعالى بأن الأمة التي تقترح على رسولها آية، ثم تكفر به بعد تأييد الله إياه بها؛ فإن الله تعالى ينزل بها عذاب الاستئصال العام عاجلا لا عذاب المكذبين وحدهم، ولما كان خاتم النبيين قد أرسل رحمة للعالمين كان تعذيب قومه بعذاب الاستئصال منافيا لهذه الرحمة ومستأصلا لجميع البشر أو لقومه في الجنسية النسبية وهم العرب عامة، لا من رآها منهم وكذبها خاصة، ولو استأصل العرب، لما آمن بالقرآن شعوب العجم ﴿ولو نزلناه على بعض الأعجمين * فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين﴾ (الشعراء: ١٩٨-١٩٩) وإنما أعد الله لفهمه وفقه العرب، وقدر أن يكونوا هم الدعاة والهداة للعجم، بما يرون من تأثير هدايته فيهم بالسيادة والعدل في الأمم، كما بيناه في فاتحة التفسير، فعبارة الخطابي قاصرة، ومن الغريب أنه يزعم أن وقوع انشقاق القمر ليلا يخرجه عن كونه آية حسية، ليدفع به استشكاله بعدم نزول العذاب بهم لعدم إيمانهم بها، وهو ما اشترطه هو دون غيره لعذاب الأمة إذا لم تؤمن عقب رؤية الآية، وهو زعم مخالف للحس.

وجملة القول: إنه لو صح أن قريشا سألوا النبي صلى الله عليه وسلم آية تدل على صدق نبوته، وأن الله تعالى أجابهم إلى طلبهم فجعل انشقاق القمر آية كما هو نص حديث أنس في الصحيحين وغيره في غيرهما - لعذب الله أمته أو قومه باستئصالهم على حسب القاعدة الصحيحة الثابتة بالنص القطعي، أو لعذب من رأوها وكذبوا بها على رأي الخطابي ومن وافقه؛ ولكن لم ينقل أن الله تعالى عذب أحدا منهم عقب ذلك التكذيب، بل نقل خلافه، وأن منهم من مات بعد ذلك، ومنهم من قتل ببدر بعد بضع سنين، ومنهم من آمن بعد إصراره على التكذيب بعد رؤيتها

بضع عشرة سنة كالنضر بن الحارث من مسلمة الفتح الذين شهدوا حنينا وأعطاه النبي صلى الله عليه وسلم مائة بعير تأليفا له، وقيل إنه أخ له اسمه نضير بالتصغير، وراجع الاسمين في الإصابة.

ومن غريب الذهول أن الحافظ ابن كثير لم يعرض لهذه المسألة في تفسير أول سورة القمر، بل أورد حديث أنس وسكت عليه؛ ولكنه أشار إليها في تفسير بعض الآيات الصريحة في عدم إجابة الكفار إلى ما كانوا يقترحونه على النبي صلى الله عليه وسلم من المجيء بآية آية أو بآية معينة، قال في تفسير آية يونس ﴿ويقولون لولا أنزل عليه آية من ربه﴾ (يونس: ٢٠) بعد أن أورد بعض الآيات في معناها ما نصه:

يقول تعالى: إن سنتي في خلقي أني إذا آتيتهم ما سألوا فإن آمنوا وإلا عاجلتهم بالعقوبة، ولهذا لما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين إعطائهم ما سألوا فإن آمنوا وإلا عذبوا، وبين إنظارهم – اختار إنظارهم كما حلم عنهم غير مرة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولهذا قال تعالى إراشادا لنبيه صلى الله عليه وسلم إلى الجواب عما سألوا ﴿فقل إنما الغيب لله﴾ (يونس: ٢٠) أي أن الأمر كله لله وهو يعلم العواقب في الأمور ﴿فانتظروا إني معكم من المنتظرين﴾ (يونس: ٢٠) أي إن كنتم لا تؤمنون حتى تشاهدوا ما سألتم فانتظروا حكم الله في وفيكم، هذا مع أنهم قد شاهدوا من آياته صلى الله عليه وسلم أعظم مما سألوا حين أشار بحضرتهم إلى القمر ليلة إبداره فانشق اثنتين: فرقة من وراء الجبل وفرقة من دونه، وهذا أعظم من سائر الآيات الأرضية مما سألوا ومما لم يسألوا اهـ. المراد منه

وقد أورد بعده بعض الآيات الناطقة بأنهم سألوا ذلك عنادا وتعنتا، وأنهم لا يؤمنون إذا أجيبوا إلى ما طلبوا، وإلى ما هو أعظم منه، وظاهر عبارته هنا في مسألة انشقاق القمر أنه لم يكن عن طلب واقتراح منهم، وإلا كان مناقضا لما قبله ولما بعده من الآيات هنا، ولما قاله كغيره في تفسيرها في مواضع أخرى من التفسير.

وما ذكره (ابن كثير) من تخيير الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم هو المروي فيما ذكر من اقتراحاتهم في سورة الإسراء (٩٠ – ٩٣) وقال في تفسير

قوله تعالى: ﴿وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون﴾ (الإسراء: ٥٩) أي نبعث بالآيات ونأتي بها على ما سأل قومك منك؛ فإنه سهل علينا، يسير لدينا، إلا أنه كذب بها الأولون بعدما سألوها، وقد جرت سنتنا فيهم وفي أمثالهم أنهم لا يؤخرون إن كذبوا بها بعد نزولها ... إلخ.

وقال البغوي في هذه الآية: ﴿وما منعنا أن نرسل بالآيات﴾ (الإسراء: ٥٩) التي سألها كفار قريش ﴿إلا أن كذب بها الأولون﴾ (الإسراء: ٥٩) فأهلكناهم، فإن لم يؤمن قومك بعد إرسال الآيات أهلكناهم؛ لأن من شأننا في الأمم إذا سألوا الآيات، ثم لم يؤمنوا بعد إتيانها أن نهلكهم ولا نمهلهم، وقد حكمنا بإمهال هذه الأمة في العذاب فقال تعالى: ﴿بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر﴾ (القمر: ٤٦) اهـ. وتكررت أقوال المفسرين بهذا المعنى في تفسير الآيات الكثيرة

التي ذكرنا بعضها في أول بيان هذا الإشكال.

فهذه أدلة قطعية إجماعية على بطلان متن حديث أنس رضي الله عنه المرسل الصحيح السند الذي لم يجد الحافظ ما يقويه به على سعة اطلاعه إلا حديث ابن عباس عند أبي نعيم الذي اعترف بضعفه، وأقول إن في سنده عنده بكر بن سهل وكان يروي الموضوعات وهو من طريق الضحاك عن ابن عباس، واتفقوا على أنه لم يره فهو منقطع، وضعفه بعضهم، وطريق ابن جريج عن عطاء عنه وابن جريج مشهور بالتدليس، فلا تقبل عنعنته بالاتفاق، دع ما تقدم من إرساله وبطلان متنه.

وإذا بطل كون الانشقاق كان آية طلبها كفار قريش فأعطوها زال السبب الذي جعل أكثر العلماء الذين تكلموا في المسألة شديدي الحرص على تصحيح الحديث؛ حتى تجرأ بعضهم على ادعاء تواتره والإجماع عليه، ورد الأكثرون هاتين الدعويين، ولله الحمد أن أكرمهم بعدم قبول مثلهما، وقد كان من حرص بعضهم على تصحيحه – مع الغفلة عن معارضة القرآن لكونه آية مقترحة – أن طعنوا في دين من أنكر صحته وأبى تفسير الآية الكريمة به وعدوهم من المبتدعين، وإن كان لهم سلف من أكبر علماء التابعين، كعادتهم في نبز كل من خالف المشهور أو

الجمهور في كل زمن بلقب الابتداع، ولو تذكروا آيات القرآن الكثيرة المعارضة له لما حرصوا كل هذا الحرص على تصحيح ما يخالفها، بل لما استحلوه، وإلا كانوا أحق بلقب الابتداع ممن رموهم به، أو بما هو شر منه، وإن كان إكبارا لآية انشقاق القمر التي تصغر وتتضاءل دون كل آية من آياته، فإن نوره أقوى وأوضح من نور الشمس التي يستمد القمر نوره منها، على أنهم لم يجدوا بدا من تصغير هذا الانشقاق في سبيل دفع الاعتراضات عليه، حتى قال بعضهم: إنه وقع في آخر الليل في لحظة من الزمان؛ ولذلك لم يره إلا من كان مع النبي صلى الله عليه وسلم في تلك اللحظة، وأي برهان على النبوة في مثل هذه اللحظة من آخر الليل أو أوله أو وسطه؟ وكل إنسان يتهم نظره في مثلها، وإن لم يكن ثمة تهمة في أنها من تخييل السحر، وقد وقع مثلها للحليمي وغيره كالثقة الذي حدثه بمثل ما رأى؟

وأما معارضة جملة هذه الروايات بما استشكله العلماء ونقلناه عنهم مع أجوبتهم والبحث فيها، فالذي نقرره فيها أن من قبل تلك الروايات في أن القمر قد انشق ومن لم يقبلها لعدم اقتناعه بتلك الأجوبة عن تلك الإشكالات، سواء في كون كل منهما لم يرد به شيئا من كتاب الله ولا من سنة رسوله ولا مما صح من حديثه.

(فإن قيل) إننا رأيناك ذكرت كل الروايات عن أولئك الصحابة الكرام في حديث انشقاق القمر إلا حديث علي رضي الله عنه فلم تذكر لنا لفظه ولا سنده لنعلم درجته ودلالته فما سبب ذلك؟ (قلت) إنهم ذكروا اسمه كرم الله وجهه في رواته؛ ولكننا لم نر أحدا منهم ولا من غيرهم ذكر لفظه ولا ذكر من خرجه لنراجعه في كتابه إن كان من الكتب المشهورة المتداولة؛ ولكننا رأينا في شرح الشفاء لملا علي القاري عند ذكر المتن لعلي في رواته ما نصه: قال الدلجي: لا يعرف مخرجه اهـ.

(ز) الخلاصة الأصولية لأحاديث انشقاق القمر:

خلاصة القول في أحاديث انشقاق القمر (١) أنها أحادية لا متواترة (٢) وأنها متعارضة مختلفة، لا متفقة مؤتلفة (٣) وأنه ليس فيها حديث مرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم كالأحاديث الناطقة بخصائصه (٤) وأنه ليس في الصحيحين منها إلا حديث واحد مسند إلى من صرح بأنه رأى ذلك، وفيه من

الاختلاف ما أشرنا إليه في محله؛ ولكن ليس فيه أن انشقاقه كان بطلب من كفار مكة (٥) وأن حديث أنس الذي صرح فيه بذلك مرسل، والأصل في المرسل أنه من المردود غير المقبول، على ما فيه من التفصيل المشهور، ورواياته عندهما كلها عن قتادة بالعنعنة، إلا لفظ للبخاري (عن قتادة عن أنس أنه حدثهم أن أهل مكة سألوا رسول الله أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر) وقتادة كان على فضله وسعة حفظه مدلسا، فيحتمل أن يكون سمع هذا الخبر عن أنس ممن لا يوثق به، وكلمة (حدثهم) ليست في قوة (حدثنا وحدثني وسمعته) وما في معناهن، وكما يحتمل أن يكون قتادة رواه عن أنس بواسطة يحتمل أن يكون أنس سمعه ممن لا يوثق به من التابعين أيضا كما تقدم (٦) وأنه على ذلك معارض بنص القرآن وسنة الله في الرسل وأقوامهم، والحديث المرفوع المتفق عليه في حصر آية نبوته صلى الله عليه وسلم في القرآن كما تقدم.

وغرضنا من هذا أن ما دلت عليه الدلائل القطعية من الآيات الكثيرة والحديث المتفق عليه في حصر آية نبوته في الوحي الذي أوحاه الله تعالى إليه وهو القرآن لا تقتضي الطعن في صدق أنس ولا في صدق قتادة لما ذكرنا من الاحتمال، وهي مقدمة على مضمون حديثهما على كل حال، بل لو وجد فيها حديث صحيح السند مرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم لكانت مقدمة عليه عند عدم إمكان الجمع بينها وبينه، وكان هذا دليلا على أنه موضوع في الواقع، وإن عدلوا رجال سنده في الظاهر.

وإذا لم يصح هذا الحديث الذي انفرد به أنس في مراسيله على تقدير سماع قتادة منه فسواء عندنا أصح غيره مما رووه في انشقاق القمر أم لا، فإن غرضنا الأول من هذا البحث كله أنه لا يوجد فيها حديث صحيح مخالف للقرآن، لا لأجل المحاماة عن القرآن؛ فإن القرآن فوق كل شيء، وكل ما خلافه فهو باطل قطعا، وإنما غرضنا الدفاع عن أنس فقتادة ثم عمن روى عنهما ما ذكر وسكت عليه، ولا يهمنا بعد هذا أمر من قبل الرواية واحتج بها وجعلها من دلائل النبوة، لغفلتهم عن هذه الحقائق القطعية.

(ح) تفسير الآية:

إن لعناية المفسرين وغيرهم بتصحيح الروايات في انشقاق القمر سببين (أحدهما) تكثير دلائل النبوة بالمعجزات الكونية كما تقدم (وثانيهما) تفسير ﴿اقتربت الساعة وانشق القمر﴾ (القمر: ١) بها، وأن أكثرهم ليتجرد من كل فهم ورأي وعلم باللغة وغيرها أمام ما دون هذه الرواية في تعدد طرقها، وجلالة رواتها، كما ترى في تفسير محيي السنة البغوي فمن دونه في العلم بالرواية خضوعا وتسليما لكثير من الروايات الإسرائيلية الواهية والموضوعة.

فإذا أنت رجعت إلى لغة القرآن في معاجمها لتفهم الآية منها دون هذه الروايات وجدت في لسان العرب ما نصه: والشق: الصبح، وشق الصبح يشق شقا: إذا طلع، وفي الحديث (فلما شق الفجران أمرنا بإقامة الصلاة) يقال شق الفجر وانشق: إذا طلع، كأنه شق موضع طلوعه وخرج منه [١] وانشق البرق وتشقق: انفلق، وشقيقة البرق: عقيقته وهو ما استطار منه في الأفق وانتشر اهـ. فعلى هذا يقال: انشق القمر بمعنى طلع وانتشر نوره، ويكون في الآية بمعنى ظهر الحق ووضح كالقمر يشق الظلام بطلوعه ليلة البدر، وقال الراغب في مفردات القرآن: (وانشق القمر) قيل: انشقاقه في زمن النبي عليه السلام، وقيل: هو انشقاق يعرض فيه حين تقرب القيامة، وقيل: معناه: وضح الأمر اهـ. ونقله عنه صاحب التاج، وهذا الأخير هو المتبادر من الآية بنص اللغة ومعونة السياق؛ لأن صيرورة القمر شقتين منفصلين لا دخل لها في إنذار المشركين الذي هو موضوع السورة، ولم يسبق أن عد من آيات الساعة كانشقاق السماء وانفطار الكواكب، فلم يبق إلا أنه بمعنى ظهور الحق ووضوحه بآيات القرآن.

والقول بأن معناه أنه سينشق عند قيام الساعة مروي عن الحسن البصري وعن عطاء من التابعين، والتعبير عن المستقبل بصيغة الماضي في القرآن كثير جدا في أخبار الساعة والآخرة وغيرهما، وأخرج الطبراني وابن مردويه من طريق عكرمة عن ابن عباس قال: كسف القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: سحر القمر، فنزلت ﴿اقتربت الساعة وانشق القمر﴾ (القمر: ١)

إلى قوله (مستمر) فهذه رواية ثالثة حملها بعضهم على انشقاق القمر وهو بعيد.
وقد رد الآلوسي هذه الوجوه اللغوية أو بعضها بقوله: وزعم بعضهم أن
انشقاق القمر عبارة عن انشقاق الظلمة عند طلوعه، وهذا كما يسمى الصبح فلقا
عند انفلاق الظلمة عنه، وقد يعبر عن الانفلاق بالانشقاق كما في قول النابغة:
فلما أدبروا ولهم دوي ... دعانا عند شق الصبح داعي
وزعم آخر أن معنى انشق القمر: وضح الأمر وظهر، وكلا الزعمين مما لا
يعول عليه ولا يلتفت إليه، ولا أظن الداعي إليهما عند من يقر بالساعة التي هي
أعظم من الانشقاق، ويعترف بالعقائد الإسلامية التي وقع عليها الاتفاق - سوى عدم
ثبوت الأخبار في وقوع ذلك على عهده عليه الصلاة والسلام عنده، ومنشأ ذلك
القصور التام، والتمسك بشبه هي على طرف الثمام. ومع هذا لا يكفر المنكر بناء
على عدم الاتفاق على تواتر ذلك، وعدم كون الآية نصا فيه، والإخراج من الدين أمر
عظيم فيحتاط فيه ما لا يحتاط في غيره والله تعالى الموفق اهـ.
وقد فاته قول أهل اللغة: انشق البرق وانشق الصبح بمعنى طلع القمر،
وبمعنى استطار نوره وانتشر في الأفق، ومثله القمر في ذلك، فما أنكره وسماه
مزاعم هو من نصوص اللغة، وما صرفه هو عنها إلا اغتراره بالروايات في كون
الانشقاق كان آية معجزة اقترحها الكفار فأجيبوا إليها، ومنشأ ذلك غفلته عن كون
الحديث في ذلك مرسلا شاذا عن مدلس، وكونه مع هذا معارضا بنصوص القرآن
القطعية وما يؤيدها من الأحاديث المسندة المرفوعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم
في كون آيته التي جعلها الله تعالى حجة نبوته وأمره بالتحدي بها في جملتها تارة،
وبعشر سور مثله وبسورة من مثله، وبالاحتجاج ببعض ما اشتملت عليه تارات
أخرى - هي القرآن وحده، وما كان صلى الله عليه وسلم يرجو بهذا أن يكون أكثر
الأنبياء تابعا يوم القيامة، إلا لأن هذه الآية أعظم وأظهر وأبهر وأقهر من كل آيات
الأنبياء إجمالا وتفصيلا، وقد فهم هذا المعنى وأدرك هذه الحجة بعض حكماء
الإفرنج، فصرح بأن قراءة النبي صلى الله عليه وسلم للقرآن كانت أقوى من كل
معجزات الأنبياء جذبا إلى الإيمان.

وقد زعم الآلوسي وغيره أن قوله تعالى: ﴿وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا
سحر مستمر﴾ (القمر: ٢) حجة على أن المرد بالآية انشقاق القمر، ولو كان
كذلك لقال: فأعرضوا وقالوا: سحر مستمر، وأما الشرط فللاستقبال أو لبيان الشأن،
ولا علاقة بين انشقاق القمر ودعوى النبوة، فيكون آية عليها، ولفظ الآية يطلق في
القرآن على كل ما يدل على وجود الله ووحدانيته في ربوبيته وألوهيته وقدرته
ورحمته وحكمته، وعلى ما يؤيد به رسله، وأكثر ما يذكر فيه الإعراض عن
الآيات في القرآن يراد به هذه الدلائل أو آيات القرآن، كقوله تعالى في النوع الأول:
﴿وكأين من آية في السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون﴾ (يوسف: ١٠٥) وقوله في النوع
الثاني: ﴿وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا
كانوا عنها معرضين﴾ (الأنعام: ٤) وأما قولهم ﴿سحر مستمر﴾ (القمر: ٢)
فأول ما قالوه في القرآن وهو ما حكاه عنهم في سورة المدثر ﴿إن هذا إلا سحر
يؤثر﴾ (المدثر: ٢٤) وهي ثالث سورة نزلت بمكة أو الرابعة على القول بأن
الفاتحة أول ما نزل، وفي معناها آية سبأ: ﴿وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم
إن هذا إلا سحر مبين﴾ (سبأ: ٤٣) وآية الزخرف: ﴿ولما جاءهم الحق قالوا
هذا سحر وإنا به كافرون﴾ (الزخرف: ٣٠)
وإنك لترى أوائل سورة الأنبياء بمعنى أوائل سورة القمر وهي: ﴿اقترب
للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون * ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا
استمعوه وهم يلعبون * لاهية قلوبهم وأسروا النجوى الذين ظلموا هل هذا إلا بشر
مثلكم أفتأتون السحر وأنتم تبصرون﴾ (الأنبياء: ١-٣) .
(ط) تأييد الإسلام في هذه المسألة وأمثالها:
إننا نختم هذا البحث بتنبيه قراء المنار لأمر عظيم الخطر والشأن، وهو أن
العلماء الذين تساهلوا بقبول روايات انشقاق القمر وجعلها آية كونية حسية جعلت
حجة على كفار مكة عندما اقترحوها، وتمحلوا في الأجوبة عن الاعتراضات
العقلية الأصولية عليها، فجاءوا بما لا يقبله العاقل المستقل – إنما حملهم على ذلك
حب تكثير المعجزات النبوية كما تقدم وتفنيد منكريها؛ لأن العوام يفهمون من

إعجازها ما لا يفهمون من إعجاز القرآن، وقد تغيرت الحال في هذا الزمان الذي كثر فيه استقلال الفكر ورفض التقليد في أكثر المتعلمين، فصارت هذه الروايات تعد طعنا في علم المسلمين وعلمائهم، ويخشى أن تعد طعنا في الإسلام نفسه، والحق أنها ليست من أصول الإسلام ولا من فروعه، فأصول العقائد الإسلامية لا تثبت إلا بدليل قطعي، وهذا أمر مجمع عليه بين المسلمين، والدليل القطعي إما عقلي وإما نقلي، والنقلي هو النص القطعي الدلالة عن الله ورسوله، والآية ليست قطعية الدلالة على كون الانشقاق هو صيروة القمر فلقتين منفصلة إحداهما عن الأخرى، كما اعترف بذلك الذين فسروها بذلك وآخرهم الآلوسي، وقد بينا نحن أن دلالتها على ما ذكر مرجوحة، فما كانت لتخطر على بال أحد لولا تلك الرواية المنقوضة بنص القرآن والحديث المرفوع المتفق عليه، وسائر الروايات ليس فيها شيء يصلح لتفسير الآية به إلا من وجه بعيد لا يعد نصا ولا ظاهرا فيه، وهو عد انشقاق القمر من علامات قرب الساعة بالتبع للآيات في انشقاق السماء وانفطار الكواكب أو الدخول في عموم الثاني، إذ لم يذكر القمر في آيات الساعة إلا في قوله تعالى: ﴿فإذا برق البصر * وخسف القمر * وجمع الشمس والقمر﴾ (القيامة: ٧-٩) ... إلخ.

ومن الدفاع عن الإسلام وعلماء المسلمين بحق أن يقال لهؤلاء المستقلين في الفكر أن الإسلام لا يكلفكم أن تؤمنوا برواية انفرد بها قتادة المدلس عن أنس في خبر قد علم باليقين أنه لم يحدث فيه عن رؤية ومشاهدة، بل عن سماع من مجهول يجوز أن يكون كاذبا، ولا يكلفكم الإسلام أن تؤمنوا بأن الأصل في مرسل الصحابي أن يكون مقبولا؛ لأن هذا إنما يكون عند قائليه فيما لا اعتراض ولا علة في متنه ولا شذوذ، وحديث أنس خالف جميع الروايات عن غيره، بل الإسلام ينهاكم أن تقبلوا حديث أي إنسان عن صحابي وغيره يخالف نص القرآن، وسنن الله في الأكوان.

ومن اطمأنت نفسه من المسلمين بقبول سائر تلك الروايات على علاتها وكان ممن يرى مخالفة النقل القطعي والعقل، أهون من مخالفة زيد وعمرو، وصدق

عقله أن تقع هذه الآية ولا يحدث أحد من الخلفاء الراشدين ولا غيرهم من قدماء الصحابة برؤيتها والاحتجاج بها فضلا عن تواترها - فليس له أن يجعلها من عقائد الإسلام، وينفر مستقلي الفكر ومتبعي الدليل من المسلمين وغير المسلمين منه.

(ي) ذيل في مسألة الثقة بالروايات:

قد يحيك في صدور بعض الناس - بعدما تقدم - مسألة الثقة بالروايات وعدم الثقة بها، يقول بعض الناس: إذا بطلت الثقة بهذه الروايات في هذه المسألة على كثرتها، بطلت الثقة بسائر روايات كتب السنة في غيرها.

ونقول لهذا القائل (أولا) إن تحقيق الحق بالدليل هو مقدم في الإسلام على توثيق الرواة وتقليد العلماء (وثانيا) إن كثرة هذه الروايات إلى قلة بعدما علمت من اضطراب أسانيدها ومتونها وعللها، ورب حديث واحد مروي من طريق واحد أقوى دلالة منها، كحديث (إنما الأعمال بالنيات) مثلا، فجملة القول: إن عدم الثقة بها لا يقتضي عدم الثقة بغيرها؛ وإنما يقتضي أن في كل ما عدا القرآن من الكتب مسائل تحتاج إلى التمحيص مصداقا لقوله تعالى: ﴿أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا﴾ (النساء: ٨٢) (ثالثا) إن جملة الروايات إنما تدل على أن بعض الصحابة وبعض الكفار رأوا القمر قد انشق فصار فرقتين في لحظة من الزمان، ولا ضرر في تصديق ذلك مهما يكن سببه؛ وإنما الضرر أن يجلوه آية مقترحة جعلها الله حجة على صحة نبوة رسوله صلى الله عليه وسلم، وأنه يجب على كل مسلم أو كافر يريد الإسلام أن يؤمن بذلك ﴿والله يقول الحق وهو يهدي السبيل﴾ (الأحزاب: ٤) .

---

(١) نقل صاحب اللسان هذه العبارة في تفسير الحديث عن النهاية في شرح غريب الحديث.." (١)

"ليل، وقول امرئ القيس:

ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي (١)

وقول المستعجل لليل: اغربي يا شمس، ونحو ذلك، فليس من الدعاء في شيء، والله أعلم.

---

(١) مجلة المنار محمد رشيد رضا ٣٦١/٣٠

ورأيت في بعض الكتب حكاية عن أبي بكر بن عياش القارئ المشهور أنه كان يقول: "يا ملائكتي (٢) قد طالت صحبتي لكما، فإن كان لكما شفاعة عند الله تعالى فاشفعا لي" (٣). ولا أرى ذلك يصح عنه، ولو صح لم يكن حجة، [٥٦٤] ولا يلزم من ذلك شناعة عليه، وإنما الشناعة على من قامت عليه الحجة فأصر، أو وقع في نفسه تردد فلم يحتط لنفسه. وأما من رأى أن عنده سلطانا من الله تعالى ولم يقصر في النظر ولا خطر له أن ترك ذلك الفعل هو الأحوط فقد قال تعالى: ﴿لا يكلف الله نفسا إلا وسعها﴾ [آخر البقرة]، وقال: ﴿لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها﴾ [الطلاق: ٧].

وقد اتفق العلماء على تكفير من أنكر آية من القرآن، أو زاد فيه ما ليس منه، ومع ذلك فقد قال بعض الصحابة رضي الله عنهم: إن المعوذتين ليستا من القرآن (٤)، فلم يكفره غيره من الصحابة بأنه أنكر آية من القرآن، ولا كفر

---

(١) انظر: ديوانه ١٨.

(٢) في الحلية: "يا ملكي" على الجادة.

(٣) هذه الحكاية أوردها ابن الجوزي في صفة الصفوة (٣/ ١٦٥). وروى أبو نعيم في الحلية (٨/ ٣٠٣) معناها باختصار، وفي إسنادها: عمر بن بحر الأسدي، ترجم له ابن عساكر (٤٣/ ٥٤٥)، ولم يذكر ما يفيد توثيقه.

(٤) ورد ذلك عن ابن مسعود؛ فقد أخرج البخاري من طريق عبدة بن أبي لبابة عن زر بن =." (١)

"خاتمة:

رأيت في بعض الكتب (١) بحثا في فضل العلم والشرف أيهما أعظم، فذكر المؤلف اختلافا في ذلك، ثم قال ما معناه: إن القائل بأفضلية الشرف قال: لو جن الشريف لم يزل عنه الشرف، ولو جن العالم زال عنه العلم، وفضل الشرف ذاتي، وفضل العلم عرضي. وبناء على ذلك جزم بأفضلية الشرف.

فعجبت من هذا مع قوله تعالى: ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ [الحجرات: ١٣]. وما يبينها من الأحاديث الكثيرة!

ثم ظهر لي أن المبحوث عنه هو فضل الشرف وفضل العلم مع قطع النظر عن التقوى، فأقول: إن كلا من العلم والشرف لا يكون فضلا إلا مع التقوى، فإذا فقدت التقوى عاد وبالا على صاحبه، كما يدل عليه قوله

---

(١) آثار الشيخ العلامة عبد الرحمن بن يحيي المعلمي اليماني عبد الرحمن المعلمي اليماني ٣/٨٢٤

تعالى: ﴿يا نساء النبي من يأت منكن ...﴾ الآية [الأحزاب: ٣٠]، وقوله تعالى: ﴿واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا ...﴾ الآية [الأعراف: ١٧٥]. وحينئذ فالخلاف مفروض بين عالم وشريف مستويي الرتبة في التقوى.

إذا تقرر ذلك فالأفضل منهما هو العلم؛ لأن طلبه نوع من أنواع التقوى، بخلاف النسب، ولأن العلم شرط للتقوى بخلاف النسب، ولأن العلم من الفواضل التي ينفع بها صاحبها دينه وإخوانه المسلمين، ولا كذلك النسب، ولأن طلب العلم من عمل الإنسان الذي يستحق عليه الثواب بخلاف النسب.

---

(١) لعله كتاب "ظهور الحقائق في بيان الطرائق" (ص ١١١) لعبد الله بن علوي العطاس. ففيه نحو ما ذكره المؤلف.." (١)

"الضعيف في الفضائل، فضلا عن الحسن. وقد **رأيت في بعض الكتب** المعتبرة من كلام الإمام مجد الدين بن الاثير صاحب ميزان الجامع: حديث مسند أحمد في فضيلة معاوية صحيح، إلا أني لا أستحضر الكتاب في الوقت. ولم ينصف الشيخ عبد الحق الدهلوي في شرح سفر السعادة فإنه أقر كلام المصنف ولم يتعقبه كتعقبه على سائر تعصباته. وأما الجواب عما فعله البخاري فإنه تفنن في الكلام فإنه فعل كذا في أسامة بن زيد وعبد الله بن سلام وجبير بن مطعم بن عبد الله، فذكر لهم فضائل جليلة معنونة بالذكر.
الثاني: أخرج مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت ألعب مع الصبيان فجاء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فتواريت خلف باب فخطاني خطوة وقال: «اذهب ادع لي معاوية» قال: فجئت وقلت هو يأكل، ثم." (٢)

""""""""" صفحة رقم ٦٦ """""""

نواره في الصيف والشتاء . ماسرجويه : ينفع من الحرارة والإحتراق والصداع ويهيج النوم وبزره يحبس البطن المستطلقة من الحرارة والحرقة إذا شرب منه مثقال بماء بارد . ابن عمران : بزره إذا شرب منه مقلوا وزن مثقال بماء أو بماء السفرجل قطع الإسهال المزمن . المصري : حار في الأولى يابس في الثانية طيب الشم نافع للمحرورين إذا شم بعد أن رش عليه الماء البارد ووضع على الأعضاء وفي ورقه قبض لطيف ومن أجل ذلك صار فيه برد اكتسبه من المائية التي فيه لا من نفس مزاجه وهو مقو للأعضاء وبعض المتطببين ذكر

---

(١) آثار الشيخ العلامة عبد الرحمن بن يحيي المعلمي اليماني عبد الرحمن المعلمي اليماني ٢٥٢/٤

(٢) الناهية عن طعن أمير المؤمنين معاوية، عبد العزيز الملتاني ص/٦٨

أنه بارد والدليل على ذلك قبضه وإن شدة رائحته ليست بأصدق رائحة من الكافور وأنه لم نر أحدا من المبرسمين تأذى برائحته فضلا عن الأصحاء . غيره : مفتح لسدد الدماغ وينفع جدا من القلاع . الرازي : إذا رش عليه الماء البارد برد وجلب النوم .

شاهلوك وشاهلوج :

وهو الإجاص الأبيض . وفي الفلاحة النبطية : الشاهلوج إجاص كبير فاسد وأصله إجاص كبير فسد في منبته فاستحال إلى الصفرة وقد ذكرت الإجاص في حرف الألف .

شاهبلوط :

هو القسطل وقد ذكرته في الباء مع البلوط .

شادانق :

هو الشاهدانج وهو بزر العنب وسيأتي ذكره في القاف .

شاهنجير :

زعم قوم أنه التين الفج . وقال آخرون : إن الشاهنجير بالفارسية هو خير أنواع التين فاعرفه .

شاهبابك :

ويقال شابابك وهو البرنوف . الغافقي : قيل أنه ضرب من القيصوم ويقال أنه شاهنانج . وفي الحاوي أنه حب الشبرم البري **ورأيت في بعض الكتب** أن الشاهبابك هي شجرة إبراهيم الصغيرة التي تكون في الدور وهي التي يسميها بعض الناس شجرة مريم ، وتتخذ في الدور والصحيح فيه ما ذكرته أولا وأنه البرنوف .

شالينه :

هي الناعمة وهي الدواء المسمى الأسفاقس وقد ذكرته في حرف الألف .

شبث :

جالينوس في الثانية : يسخن ويجفف إسخانا يظن به معه أنه في الدرجة الثانية ممتدا ، وأما في الدرجة الثالثة مسترخيا أما في تجفيفه في الدرجة الثانية عند ابتدائها وفي الدرجة الأولى عند منتهاها ، ولذلك صار متى طبخ بالزيت صار ذلك الزيت دهنا يحلل ويسكن الوجع ويجلب النوم وينضج الأورام اللينة التي لم تنضج لأن الزيت الذي يطبخ فيه الشبث يصير مزاجه قريبا من مزاج المقنحة المنضجة إلا أنه على حال أسخن منها قليلا." (١)

---

(١) الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، ٣/٦٦

"وانما قلنا هذا لنبين عدم ثبوت هذا الحديث وانه ليس له اصل في كتب السنة، ولا استبعد انه مروي في كتب الشيعة أئمة هذا الموسوي ومنه نقله بهذا اللفظ الذي لم يجد له أصلاً عند أهل السنة سوى باللفظ المختصر عند الرازي ، مع عدم ثبوته . وقد بينا في صفحة (٢٢٢ – ٢٢٤) عدم صحة القول بان سبب نزول هذه الآية هو مبيت علي رضي الله عنه في فراش النبي – صلى الله عليه وسلم – ليلة الهجرة لما في ذلك من النكارة في السند والمتن فراجعه مع سبب النزول الصحيح هناك . انتهى قول الأعظمي (١) .

اصل الرواية في تفسير الثعلبي

واقول مضيفاً الى كلام ابي مريم الاعظمي مؤكداً ضعف هذه الرواية:

اولاً : ان الرازي هنا عندما نقل هذا القول اورده بصيغة التضعيف (يروى) وهو بهذا قد ابرأ ذمته عندما اشار الى ضعف هذه الرواية .

اما الامر الثاني : والمهم والذي ينبغي ان يسلط الضوء عليه وهو ان هذه الرواية او بالاحرى هذا القول الوارد في تفسير الاية اصله موجود في (تفسير الثعلبي).

فالثعلبي هو اول من ذكر هذا القول في الاية مورداً اياه من دون سندٍ ، او طريق وانما جاء به من باب الاتيان بكل ما ذكر في الباب بغض النظر عن حاله ومقبوليته من عدمها . وهذا واضح جداً في تفسيره عندما اورد هذه الرواية، حيث ذكر ذلك العالم الشيعي السيد المرعشي في كتابه شرح إحقاق الحق عندما نقل هذه الرواية عن الثعلبي ، فقال :

إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي المفسر ، قال :

رأيت في بعض الكتب أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لما أراد الهجرة خلف علي بن أبي طالب بمكة لقضاء ديونه ورد الودائع التي كانت عنده ، وأمره ليلة خرج إلى الغار .... الخ (٢) .

---

(١) [الحجج الدامغات لنقض كتاب المراجعات / أبو مريم بن محمد الأعظمي ج١ ص ٤٢٦]

(٢) [شرح إحقاق الحق / السيد المرعشي ج ٣ ص ٢٨]." (١)

"ومن عبارته (**رأيت في بعض الكتب**) يتبين ان الثعلبي عندما جاء بها لم يقصد الاثبات او الحكم عليها بالقبول ، وانما اوردها في سياق الاتيان بكل ما ذكر . وفي التحقيق هذا لا يقبل مطلقاً وبدون ادنى

---

(١) الرد الشافي على نجاح الطائي في كتابه صاحب الغار أبو بكر أم رجل آخر؟، ص/٩١

شك لان عبارته هذه توحي وتصرح بمجهولية المضامين التي عن طريقها يمكن الحكم على هذه الرواية، فاطلاقه هنا يورد تساؤلات كثيرة ومختلفة تزرع الشك تلو الشك بخصوص هذه الرواية ، فما هو الكتاب الذي راى فيه ما نقله ؟

وهل له وزن في الاعتبار او لا وزن له ؟ وهل من كتب الروايات ، او من كتب القصاص التي تحوي الطامات والخرافات ؟ وهل لهذه الرواية ان صح وجودها في كتب الله اعلم بحالها سند يمكن عن طريقه ان نحدد الحكم عليها ؟

بعد هذه التساؤلات التي يضطر العقل الى ايرادها اضطراراً لا يبقى مجال مطلقاً الى قبول مثل هكذا خبر ، وهذا باتفاق اهل العلم والعقلاء .

الثعلبي يروي في تفسيره المكذوبات والموضوعات

وهذا هو ديدن الثعلبي فهو كما وصفه العلماء معروف بانه حاطب ليل- كما قال شيخ الإسلام- ، وايضاً كثيراً ما يروي الموضوعات المكذوبات وهذا مما لا خلاف فيه عند اهل العلم ، فوجود هذه الرواية في تفسير الثعلبي وحده مما يؤكد الشبهة فيها ، ويمنع من قبولها ، والادهى من كل ذلك ان الثعلبي كما بينا رواها بدون سند .

الجميع اخذها عن الثعلبي

والثعلبي الذي هذا هو حاله وهذه حال الرواية التي اوردها ، اخذها من جاء بعده منه ممن ذكر هذه الرواية من علماء الشيعة والسنة من امثال (الرازي، والغزالي ، الطبرسي ، والمجلسي ، والكاشاني ، والبحراني... وغيرهم).

وبما ان هذه الحادثة في اصلها لا سند لها فلذلك كل من اوردها لم يذكر لها سند، وقد اشار الى هذه الحقيقة السيد علي البهبهاني عندما قال :

بل يظهر مما ذكره الثعلبي وحجة الإسلام الغزالي أن نزول الآية في شأنه عليه السلام وهبوط الملكين المقربين لحراسته ، وقول جبرائيل :." (١)

" ذكر مذهب الباجي وصوب أهل الحق مقالته وأنه لا يقدح في المعجزة كونه كتب مرة وفي البخاري في باب عمرة القضاء فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتاب فكتب قال القرطبي في مختصره قوله فأخذ الكتاب فكتب ظاهر قوي في أنه صلى الله عليه وسلم كتب بيده

---

(١) الرد الشافي على نجاح الطائي في كتابه صاحب الغار أبو بكر أم رجل آخر؟، ص/٩٢

وقد أنكر قوم تمسكا بقوله تعالى ^ وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك ^ قال ولا نكرة فيه فإن الخط المنفي الخط المكتسب عن التعليم وهذا خط خارق للعادة أجراه الله على أنامل النبي صلى الله عليه وسلم مع بقائه لا يحسن الكتابة المكتسبة وهذا زيادة في صحة نبوته هـ

قلت

أحسن منه ما سبق عن الذهبي في ترجمة ابن مندة فاعتبره

ووقفت في المدينة المنورة على رسالة حافلة للعلامة المحقق الشمس محمد بن عبد الرسول البرزنجي الشافعي المدني في إثبات الكتابة والقراءة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يتيسر لي تلخيصها

وعندي جزء للفقيه الزاهد أبي محمد عبد الله بن مفوز المعافري في نحو كراسة عنوانه جزء فيه التحرير من ترك الواضحة والتنبيه على غلط القائل كتب في يوم الحديبية النبي الأمي وفي آخره عليه سماعات لأعلام أندلسيين وتونسيين وموضوعه الإنتصار لإبن الصائغ في المسألة والرد على الباجي والله أعلم

قال القطب الخيضري في خصائصه ولم يبلغنا من طريق صحيح ولا ضعيف أن المصطفى كتب شيئا بخطه غير ما في هذه القضية وإنما كان له صلى الله عليه وسلم كتاب يكتبون له الوحي وغيره هـ

وقال الشهاب الخفاجي في شرح الشفا بعد تلخيصه لكلام ابن العربي السابق ما نصه **ورأيت في بعض الكتب** أنه مما يدل

". (١)

" قال : فخرجنا نسأل عن رسول الله صلى الله عليه و سلم وكنا لا نعرفه ولم نره قبل ذلك قال : فدخلنا المسجد ثم جلسنا إليه قال : فقال البراء بن معرور : يا نبي الله إني خرجت في سفري هذا وقد هداني الله عز و جل للإسلام فرأيت أن لا أجعل هذه البنية مني بظهر فصليت إليها وقد خالفني أصحابي في ذلك حتى وقع في نفسي من ذلك فماذا ترى يا رسول الله قال : " لقد كنت على بلة لو صبرت عليها " قال : فرجع البراء إلى قبلة رسول الله صلى الله عليه و سلم فصلى معنا إلى الشام

قال : وأهله يزعمون أنه صلى إلى الكعبة حتى مات وليس ذلك كما قالوا ؛ نحن أعلم به منهم

قال : فخرجنا إلى الحج فواعدنا رسول الله صلى الله عليه و سلم العقبة من أوسط أيام التشريق فلما فرغنا من الحج اجتمعنا تلك الليلة بالشعب ننتظر رسول الله صلى الله عليه و سلم فجاء وجاء معه العباس

---

(١) التراتيب الإدارية (نظام الحكومة النبوية)، ١/١٧٦

يعني عمه قال : فتكلم العباس فقلنا له : قد سمعنا ما قلت فتكلم أنت يا رسول الله فخذ لنفسك ولربك عز و جل فتكلم رسول الله صلى الله عليه و سلم فتلا القرآن ودعا إلى الله عز و جل ورغب في الإسلام وقال : " أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم " . قال : فأخذ البراء بن معرور بيده وقال : والذي بعثك بالحق لنمنعك مما نمنع منه أزرنا فبايعنا رسول الله فنحن – والله – أهل الحلقة ورثناها كابرا عن كابر

قال : فاعترض القول – والبراء يكلم رسول الله صلى الله عليه و سلم – أبو الهيثم بن التيهان حليف بني عبد الأشهلن فكان البراء أول من ضرب على يد رسول الله صلى الله عليه و سلم ثم تتابع القوم

وتوفي في سفر قبل قدوم رسول الله صلى الله عليه و سلم المدينة مهاجرا بشهر فلما قدم رسول الله صلى الله عليه و سلم أتى قبره في أصحابه فكبر عليه وصلى وكبر أربعا ولما حضره الموت أوصى أن يدفن ونستقبل به الكعبة ففعلوا ذلك "

أخرجه الثلاثة

سلمة : بكسر اللام فإذا نسبت إليه فتحتها

وتزيد : بالتاء فوقها نقطتان وبالزاي

ومعرور : بالعين المهملة

وساردة : بالسين المهملة والراء والدال المهملة

برح بن عسكر

د ع برح بن عسكر بن وتار . قاله ابن منده وأبو نعيم وقالا : إنه وفد على النبي صلى الله عليه و سلم وشهد فتح مصر عن ابن يونس

وقال ابن ماكولا : وأما برح بكسر الباء المعجمة بواحدة وسكون الراء وبالحاء المهملة فهو : برح بن عسكر بن وتر بن كرع بن حضرمي بن النعمان بن مهري بن حيدان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة وفد على النبي صلى الله عليه و سلم وشهد فتح مصر واختط بها وسكنها وهو معروف من أهل مصر وقال : قال ابن يونس : **ورأيت في بعض الكتب** القديمة في النسب القديم خط ابن لهيعة : برح بن عسكر وذكر نسبه الذي ذكرناه . . كذا ضبطه ابن ماكولا بالعين والكاف المضمومتين والله أعلم

برذع بن زيد الجذامي

د ع برذع بن زيد الجذامي . أخو رافعة بن زيد نزل بيت جبرين بالشام

روى حديثه محمد بن سلام بن زيد بن رفاعة بن زيد الرفاعي من بني الضبيب . عن أبيه سلام عن أبيه زيد عن أبيه رفاعة بن زيد قال : قدمت على رسول الله صلى الله عليه و سلم أنا وجماعة من قومي وكنا عشرة فذكر رجوعه إلى قومه وإسلام برذع وسويد "

أخرجه ابن منده وأبو نعيم

برذع بن زيد بن النعمان

برذع بن زيد بن النعمان بن زيد بن عامر بن سواد بن ظفر الأنصاري الأوسي . شهد أحدا وما بعدها وهو ابن أخي قتادة بن النعمان وهو شاعر قاله ابن ماكولا وهذا غير الذي قبله لأنه هذا أنصاري والأول جذامي وهذا قديم الإسلام والأول متأخر الإسلام

برز بن قهطم

برز وقيل : بلز وقيل : مالك وقيل : رزن بن قهطم أو العشراء الدارمي يرد ذكره في الكنى وغيرها

بريح بن عرفجة

د ع بريح بن عرفجة أو عرفجة بن بريح . قال ابن منده : عكذا قاله عبد الرحمن بن محمد المحاربي عن ليث بن أبي سليم عن زياد بن علاقة عن بريح بن عرفجة أو عرفجة بن بريح شك المحاربي قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : " ستكون بعدي هنات وهنات "

رواه غيره عن ليث بإسناده فقال : عن عرفجة بن شريح وهو الصواب وقيل : عرفجة بن ضريح قاله ابن منده وقال أبو نعيم وذكره : هكذا حكى وهو وهم ؛ وإنما هو عرفجة بن ضريح أو ضريح بن عرفجة

أخرجه ابن منده وأبو نعيم ." (١)

" قال وحدثنا عبد الله بن أحمد حدثنا محمد بن يحيى الأزدي حدثنا الوليد بن القاسم حدثنا مطير بن ثعلبة التميمي حدثنا أبو النوار بياع الكرابيس قال : أتاني علي بن أبي طالب ومعه غلام له فاشترى مني قميصي كرابيس فقال لغلامه : اختر أيهما شئت فأخذ أحدهما وأخذ علي الآخر فلبسه ثم مد يده فقال : اقطع الذي يفضل من قدر يدي . فقطعه وكفه ولبسه وذهب

أنبأنا عبد الله بن أحمد الخطيب أنبأنا أبو الحسين بن طلحة النعال إجازة إن لم يكن سماعا أنبأنا أبو الحسين بن بشران حدثنا إسماعيل بن محمد الصفار حدثنا يحيى بن آدم حدثنا جعفر بن زياد الأحمر عن عبد الملك بن عمير قال : حدثني رجل من ثقيف قال : استعملني علي بن أبي طالب على مدرج

---

(١) أسد الغابة، ص/١٠٩

سابور فقال : لا تضربن رجلا سوطا في جباية درهم ولا تتبعن لهم رزقا ولا كسوة شتاء ولا صيفا ولا دابة يعتملون عليها ولا تقيمن رجلا قائما في طلب درهم . قلت : يا أمير المؤمنين إذن أرجع إليك كما ذهبت من عندك . قال : وإن رجعت ويحك !

إنما أمرنا أن نأخذ منهم العفر – يعني الفضل –

وزهده وعدله رضي الله عنه لا يمكن استقصاء ذكرهما فلنقتصر على هذا

فضائله رضي الله عنه :

أنبأنا أبو العباس أحمد بن عثمان بن أبي علي الزرزاري إسناده إلى الأستاذ أبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي المفسر قال : **رأيت في بعض الكتب** أن رسول الله صلى الله عليه و سلم لما أراد الهجرة خلف علي بن أبي طالب بمكة لقضاء ديونه ورد الودائع التي كانت عنده وأمره ليلة خرج إلى الغار وقد أحاط المشركون بالدار أن ينام على فراشه وقال له : " أتشح ببردي الحضرمي الأخضر فإنه لا يخلص إليك منهم مكروه إن شاء الله تعالى " . ففعل ذلك فأوحى الله إلى جبريل وميكائيل عليهما السلام أني آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من عمر الآخر فأيكما يؤثر صاحبه بالحياة فاختارا كلاهما الحياة فأوحى الله عز و جل إليهما : أفلا كنتما مثل علي بن أبي طالب !

آخيت بينه وبين نبيي محمد فبات على فراشه يفديه بنفسه ويؤثره بالحياة اهبطا إلى الأرض فاحفظاه من عدوه . فنزلا فكان جبريل عند رأس علي وميكائيل عند رجليه وجبريل ينادي : بخ بخ !

من مثلك يا ابن أبي طالب يباهي الله عز و جل به الملائكة !

!

فأنزل الله عز و جل على رسوله وهو متوجه إلى المدينة في شأن علي : " ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله "

أنبأنا أبو محمد عبد الله بن علي بن سويدة التكريتي أنبأنا أبو الفضل أحمد بن أبي الخير الميهني قراءة عليه قال : أنبأنا أبو الحسن علي بن أحمد بن متويه – قال أبو محمد : وأنبأنا أبو القاسم بن أبي الخير الميهني والحسين بن الفرحان السمناني قالا : أنبأنا علي بن أحمد أنبأنا أبو بكر التميمي أنبأنا أبو محمد بن حبان حدثنا محمد بن يحيى بن مالك الضبي حدثنا محمد بن سهل الجرجاني حدثنا عبد الرزاق حدثنا عبد الوهاب بن مجاهد عن أبيه عن ابن عباس في قوله تعالى : " الذين ينفقون أموالهم بالليل

والنهار سرا وعلانية " قال : نزلت في علي بن أبي طالب كان عنده أربعة دراهم فأنفق بالليل واحدا وبالنهار واحدا وفي السر واحدا وفي العلانية واحدا

ورواه عفان بن مسلم عن وهيب عن أيوب عن مجاهد عن ابن عباس مثله ." (١)

"ثم كثر هذا في الكلام حتى قيل لكل شيء لم يبالغ فيه تحليل ؛ يقال ضربته تحليلا، ووقعت مناسم هذه الناقة تحليلا، إذا لم تبالغ في الوقع بالأرض. وهو في قول كعب بن زهير:

وقعهن الأرض تحليل

فأما قول امرئ القيس:

كبكر المقاناة البياض بصفرة ... غذاها نمير الماء غير محلل

ففيه قولان: أحدهما أن يكون أراد الشيء القليل، وهو نحو ما ذكرناه من التحلة. والقول الآخر: أن يكون غير منزول عليه فيفسد ويكدر.

ويقال أحلت الشاة، إذا نزل اللبن في ضرعها من غير نتاج. والحلال: متاع الرحل. قال الأعشى:

وكأنها لم تلق ستة أشهر ... ضرا إذا وضعت إليك حلالها

كذا رواه القاسم بن معن، ورواه غيره بالجيم.

والحلال: مركب من مراكب النساء. قال:

بعير حلال غادرته مجعفل

ورأيت في بعض الكتب عن سيبويه: هو حلة الغور، أي قصده. وأنشد:." (٢)

"وأخرج السلفي في المشيخة البغدادية: سمعت أبا سعيد الحسن بن علي الواعظ يقول: سمعت محمد بن الحسن يقول: سمعت أبى يقول: **رأيت في بعض الكتب**: أن الله تعالى يظهر على كفه للعارف في وقت وفاته ويريه تلك الكتابة، فإذا رأتها روح العارف طارت إليه أسرع من طرف العين.

وأخرج أبو الشيخ عن داود بن أبى هند قال: بلغني أن ملك الموت كان وكل بسليمان عليه السلام فقيل له: ادخل عليه كل يوم دخلة فسله عن حاجته ثم لا تبرح حتى تقضيها، فكان يدخل عليه في صورة رجل فيسأله: كيف هو؟ ثم يقول: يا رسول الله ألك حاجة؟ فإن قال: نعم؛ لم يبرح حتى يقضيها، وإن قال: لا انصرف عنه إلى الغد، فدخل عليه يوما وعنده شيخ فقام فسلم عليه ثم قال: ألك حاجة يا رسول الله؟ قال:

---

(١) أسد الغابة، ص/٧٩٦

(٢) مقاييس اللغة ابن فارس ٢/ ٢٢

لا، ولحظ الشيخ لحظة فارتعد الشيخ وانصرف ملك الموت فقام الشيخ فقال لسليمان: أسالك بحق الله إلا ما أمرت الريح فتحملنى فتلقينى بأقصى مدرة من أرض الهند، فأمرها فحملته، ودخل ملك الموت على سليمان من الغد، فسأله عن الشيخ فقال: هبط إلى كتاب أمس أن أقبض روحه غدا مع طلوع الفجر بأقصى مدرة من أرض الهند فهبطت وما أحسب إلا ثم، فوجدته عندك، فجعلت أتعجب، وأنظر إليه، مالي هم غيره فهبطت عليه اليوم مع طلوع الفجر فوجدته بأقصى مدرة من أرض الهند ينتفض فقبضت روحه.

وأخرج أبى شيبة عن خيثمة قال: دخل ملك الموت إلى سليمان فجعل ينظر إلى رجل من جلسائه يديم النظر إليه، فلما خرج قال الرجل: من هذا؟ قال: هذا ملك الموت قال: رأيته ينظر إلى كأنه يريدني قال: فما تريد؟ قال: أريد أن تحملني على الريح حتى تلقيني بالهند، فدعا الريح فحمله عليها، فألقته في الهند، ثم أتى ملك الموت سليمان فقال: إنك كنت تديم النظر إلى رجل من جلسائي قال: كنت أعجب منه، أمرت أن." (١)

"إن أهل الجنة وكل بكل إنسان منهم ملك فإذا بشر بالجنة وضع الملك يده على فؤاده فلولا ذلك لخرج قلبه من رأسه من الفرح

١٠٦ - وأخرج إبن أبي حاتم وأبو نعيم عن سعيد بن جبير قال قرئت عند النبي صلى الله عليه وسلم ﴿يا أيتها النفس المطمئنة﴾ الآية فقال أبو بكر رضي الله عنه إن هذا لحسن فقال النبي صلى الله عليه وسلم أما إن الملك سيقولها لك عند الموت

١٠٧ - وأخرج إبن أبي حاتم عن الحسن أن سئل عن هذه الآية فقال إن الله إذا أراد قبض روح عبده المؤمن إطمأنت النفس إلى الله تعالى وإطمأن الله إليها

١٠٨ - وقال الحافظ السلفي في المشيخة البغدادية سمعت أبا سعيد الحسن بن علي الواعظ يقول سمعت أبي يقول **رأيت في بعض الكتب** إن الله يظهر على كف ملك الموت ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ بخط من النور ثم يؤمر أن يبسط كفه للعارف في وقت وفاته ويريه تلك الكتابة فإذا رأتها روح العارف طارت إليه في أسرع من طرفة العين

١٠٩ - وفي الفردوس عن إبن عباس مرفوعا إذا أمر الله ملك الموت بقبض أرواح من استوجب النار من مذنبي أمتي قال بشرهم بالجنة بعد إنتقام كذا وكذا على قدر ما يحبسون في النار

١١٠ - وأخرج أبو نعيم عن الربيع بن أبي راشد قال لولا ما يؤمل المؤمنون من كرامة الله لهم بعد الموت

(١) الحبائك في أخبار الملائك السيوطي ٥١/١

لانشقت في الدنيا مرائرهم ولتقطعت في الدنيا أجوافهم

١١١ - وأخرج الأصبهاني في الترغيب عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى يوم الجمعة ألف مرة علي لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة

١١٢ - وأخرج إبن عساكر عن شهر بن حوشب أنه سئل عن قوله تعالى ﴿وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته﴾ الآية فقال ذلك في اليهود لا يقبض ملك الموت روح أحدهم حتى يجيئه ملك ومعه شعلة من نار فيضرب بها." (١)

"ذلك بأنه على كل شيء قدير

ذلك بأنه على كل شيء قدير، فلكونه -سبحانه وتعالى- متصفا بصفاته الذاتية والفعلية في الأزل، وأنه لم يزل فعالا، وأنه ليس هناك فترة يعطل فيها الرب ذلك، بأنه على كل شيء قدير، كل شيء على الله، كل شيء عليه قدير -سبحانه وتعالى- فهو على كل شيء قدير، وأراد بذلك الرد على المعتزلة الذين يقولون، ما يقولون: إن الله على كل شيء قدير، بل يقولون: إن الله على ما يشاء قدير.

لأن هناك شيء لا يقدر عليه الله عند المعتزلة، وهي أفعال العباد، ولذلك فأولوا "إنه على كل شيء قدير" يقولون: على كل شيء يقدر عليه، على كل شيء قادر عليه وأفعال العباد لا يقدر عليها؛ لأن أفعال العباد من خير وشر وطاعة ومعصية هم الذين خلقوها وأوجدوها والله لا يقدر عليها كما سبق، أو قالوا: إن العباد أحدثوا أفعالا من طاعات ومعاصي.

ولهذا قالوا: إن الـعبد يستحق الثواب على الله كما يستحق الأجير أجره؛ لأنه هو الذي أوجده؛ وقالوا: إنه يجب على الله أن يعاقب العاصي، وأن يخلد صاحب الكبيرة في النار؛ لأنه توعد بذلك ولا يخلف وعيده ولذلك قالوا: إن أفعال العباد لا يقدر عليها الرب، وليس هذا موضع الرد عليهم لكن لعله يأتي إن شاء الله في المستقبل، فهم يقولون لا يقولون إن الله على كل شيء قدير، بل يقولون: إنه على ما يشاء قدير ولذلك إذا **رأيت في بعض الكتب** يذكر في آخرها، وهو على ما يشاء قدير، فاعلم أن هذا يتمشى مع بعض المعتزلة، ولا يرد على ذلك قوله -تعالى- ﴿وهو على جمعهم إذا يشاء قدير (٢٩) ﴾ .

هذا مقيد بجمعهم وعلى جمعهم إذا يشاء قدير، فلا يقال: إنه على ما يشاء قدير بل يقال: إنه على كل شيء قدير؛ لأن معنى قوله: ﴿وهو على جمعهم إذا يشاء قدير (٢٩) ﴾ يفهم منها أن هناك شيئا لا يشاءه

---

(١) شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور السيوطي ص/٩٣

الله فلا يقدر عليه ويفعله العباد وهذا باطل؛ لأنه تـأول القول على كل شيء قدير، على كل شيء يقدر عليه، وعلي هذا قياس ما قال ما يقيد الله بكل شيء عليم، أو يقال بكل شيء يعلمه عليم كما قالوا: إنه على كل شيء يقدر عليه إنه على كل شيء مقدور له قدير.

أما أفعال العباد فليس مقدور له. وهذا من أبطل الباطل وهو مصادم لنصوص القرآن والسنة والله -تعالى- يقول ﴿إن الله على كل شيء قدير (٢٠) ﴾ ﴿وكان الله على كل شيء مقتدرا (٤٥) ﴾ وكل من صيغ العموم كل شيء كل ما يسمى شيئا، فالله -تعالى- يقدر عليه، ولا يرد على هذا الممتنع الذي لا يمكن؛ لأنه لا يسمى شيئا؛ وعند أهل السنة أن الله على كل شيء قدير؛ فالممتنع الذي لا يمكن وجوده لا يسمى شيئا؛ فلا يرد على هذا قوله مثل كون الشيء موجودا معدوما في وقت واحد هل يقال: إن هذا يقدر عليه الله يكون الشيء موجودا معدوما في وقت واحد.

ومثل قولهم: هل يقدر على خلق مثل نفسه؟ ومثل قولهم هل يقدر على إعداد نفسه؟

والجواب: إن هذا من ممتنع تماما هذه الأمور ممتنعة؛ لأنه لا يمكن إيجادها ولا يتصور إيجادها، ولا تسمى شيئا باتفاق العقلاء ما تسمى شيئا، ليست داخلة في قوله كل شيء ﴿إن الله على كل شيء قدير (٢٠) ﴾ وكون الشيء موجودا معدوما لا يسمى شيئا، ومثل خلقه نفسه أو إعداد نفسه لا يسمى شيئا، ولا يتصور وجوده حتى يقال: إنه شيء لا يسمى شيئا باتفاق العقلاء، ولا يمكن وجوده، ولا يتصور وجوده فلا يكون داخلا في عموم كل شيء.

اختلف العلماء في المعدوم الذي يمكن وجوده قالوا: هو شيء هل يسمي شيئا؟ أو لا يسمي شيئا؟.

والصواب أنه يسمي شيئا في الذكر والكتاب والعلم كما قال -سبحانه وتعالى- ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم (١) ﴾ الساعة ما جاءت سماها الله شيئا فهي شيء عظيم في الذكر، في العلم؛ في علم الله، وفي الكتاب وفي الذكر، ﴿إن زلزلة الساعة شيء عظيم (١) ﴾ مثل قوله -سبحانه وتعالى -﴿هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا (١) ﴾ لم يكن شيئا في الوجود لكنه شيء في علم الله وذكره وكتابه وقوله -سبحانه- عن زكريا: ﴿وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا (٩) ﴾ لم تك شيئا في الوجود، ولكنه شيء في علم الله وذكره وكتابه، أما الممتنع الذي لا يمكن وجوده، فهذا لا يسمى شيئا، فلا يقال: إنه داخل تحت القدرة؛ لأنه يسمى شيئا ولا يسمى شيئا. نعم.." (١)

---

(١) شرح الطحاوية للراجحي عبد العزيز الراجحي ص/٣٩

"ينادي مناديان من السماء يقول أحدهما يا طالب الخير أبشر يا طالب الشر أقصر ويقول الآخر اللهم أعط لمنفق خلفا اللهم أعط ممسكا مالا تلفا رواه البيهقي عن عثمان بن محمد بن المغيرة بن أخنس مرسلا ورواه الديلمي عنه عن سعيد بن المسيب عن ابن عباس وزاد وكذلك يقول في الليل وروى الديلمي من حديث أبي هريرة إن لله ملكا بباب من أبواب السماء يقول من يقرض اليوم يجازي غدا وملك بباب آخر ينادي اللهم أعط منفقا خلفا وعجل لممسك تلفا وأما حديث ابن عمر فلفظه بعد قوله قد دنا حصاده أبناء الستين هلموا إلى الحساب ماذا قدمتم وماذا عملتم أبناء السبعين هلموا إلى الحساب ليت الخلائق لم يخلقوا الحديث وفيه بعد قوله فتذاكروا وإلا أتتكم الساعة فخذوا حذركم وقال صاحب الحلية حدثنا أبي حدثنا أحمد بن محمد بن الحسن البغدادي حدثنا أحمد بن محمد بن الحسن المخزومي حدثنا عبد الرزاق حدثني بكار بن عبد الله عن وهب قال **فرأيت في بعض الكتب** أن مناديا ينادي من السماء الرابعة كل صباح أبناء الأربعين زرع قد دنا حصاده أبناء الخمسين ماذا قدمتم وماذا أخرتم أبناء الستين لا عذر لكم ليت الخلق لم يخلقوا فساقه كسياق الديلمي.

قال ابن السبكي: (٦/ ٣٥٧ - ٣٥٨) لم أجد له إسنادا.

٣٣٣٨ - (في حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه) كذا في نسخ الكتاب والصواب وفي حديث ابن عمر وهكذا هو في القوت عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال (الطابع) بالكسر ما يطبع به (معلق بقائمة من قوائم العرش) ولفظ القوت بساق العرش (فإذا انتهكت الحرمات واستحلت المحارم أرسل الله الطابع فيطبع على القلوب بما فيها) قيل هو على سبيل المجاز والاستعارة فذكره الزمخشري وقال البغوي في شرح السنة والأقوى إجراؤه على الحقيقة لفقد المانع والتأويل لا يصار إليه إلا لمانع.." (١)

"ابنه عبد الواحد يعقد إن شاء الله تعالى مع علي بن سالم بن سليمان بن العرباني الحصني واقف الأجزاء على أربابها بالضيائية ووجدت بعضهم ضبطه بضم العين المهملة وسكون الراء ومثناة تحت بدل الموحدة وأخطأ في ذلك من وجهين أحدهما هذا والثاني انه عمد إلى نسبة علي بن سالم المذكور بخطه مطلقة فقيدها كما حكيته بضبط قلمه على جزء ابن زبان وإنما ذكرته لئلا يغتر به والله أعلم عس بضم أوله ثم سين مهملة مشددة عس العذري له صحبة وفي اسمه خلاف تقدم ذكره في ترجمة عنتر و عش بالشين

(١) تخريج أحاديث إحياء علوم الدين، الزبيدي، مرتضى ٥/٢١٢٢

المعجمة عش بن لبيد بن عداء القضاعي فارس الزحاف وهو شاعر جاهلي ذكره ابن الكلبي والزبير بن بكار وغيرهما وقال الدارقطني ومن ولده حريث وعاطف ابنا سليم بن عش انتهى وأبوهما سليم ذكر في الصحابة قال عسكر عدة قلت هو بفتح أوله وسكون السين المهملة وفتح الكاف تليها راء

قال و عسكر بالضم قلت في أوله وفي الكاف قال برح بن عسكر شهد فتح مصر قال ابن يونس هكذا رأيته بخط ابن لهيعة وقال سعيد بن عفير برح بن حسكل قلت ظاهر كلام المصنف أن ابن يونس رآه بالضم كما تقدم بخط ابن لهيعة وليس كذلك وإنما مراد ابن يونس والله أعلم أن لهيعة قاله ابن عسكر كما صدر به الترجمة وان ابن عفير قاله ابن حسكل فقال ابن يونس في تاريخه برح بن عسكر بن وثار وساق نسبه إلى قضاعة وفد على رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ وشهد فتح مصر واختط بها وسكنها ورجل معروف من أهل مصر ذكره سعيد بن عفير في كتبه فقال ابن حسكل **ورأيت في بعض الكتب** القديمة في النسب القديم بخط ابن لهيعة برح بن عسكر وذكر نسبه الذي ذكرناه وما علمت له رواية بمصر ولا بغيرها انتهى ولم يقيد ابن يونس والد برح بضم ولا غيره بل أطلقه لكن ضبطه الأمير فيما حكاه عن ابن يونس بالضم والله أعلم قال عسل بن سفيان عن عطاء

". (١)

"ص -٣٧١- العلاء بن الحارث قال نعم وقال أبو طالب عن أحمد لا بأس به من صالحيهم وقال بن معين والنسائي ثقة وقال المفضل الغلابي قال غير بن معين كان يزيد غيلانيا وقال يعقوب بن سفيان سألت هشام بن عمار عن يزيد بن يزيد فقال ذاك أفسد نفسه خرج فاعان على قتل الوليد بن يزيد وأخذ مائة ألف دينار وقال الآجري عن أبي داود يزيد وأخوه عبد الرحمن من ثقات الثقات ذكر يزيد للقضاء فإذا هو أكبر من القضاء وذكره بن حبان في الثقات وقال كان من خيار عباد الله تعالى وقال بن أبي حاتم عرض شعيب بن حمزة اختلاف الزهري ومكحول فخطأ الزهري أحيانا وخطأ مكحول أحيانا وقال أبو زرعة الدمشقي **رأيت في بعض الكتب** مات يزيد بن يزيد بن جابر سنة ثلاث وثلاثين وفيها أرخه خليفة وعمرو بن دحيم وقال الواقدي وجماعة مات سنة أربع وثلاثين ومائة ولم يبلغ ستين سنة.

٧٠٤- "د — يزيد" بن يزيد بن جابر الرقي عن يزيد بن الأصم عن أبي هريرة في الحث على صلاة الجماعة وعنه أبو المليح الرقي قال حدثنا يزيد بن يزيد بن جابر شيخ من أهل الرقة فذكره كذا رواه الطبراني في المعجم الأوسط عن أحمد بن عبد الرحمن بن عفان عن أبي جعفر عن النفيلي عن أبي المليح ورواه أبو

---

(١) توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم، ١٥٧/٦

داود عن العقيلي فقال عن يزيد بن يزيد حسب.

٧١٥- "ع – يزيد" بن أبي يزيد الضبعي١ مولاهم أبو الأزهر البصري

---

١ الضبعي بضم المعجمة وفتح الموحدة بعدها مهملة و"الرشك" بكسر الراء وسكون المعجمة ١٢ تقريب.

ج ١١ /." (١)

" ابن حيدان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة وفد على رسول الله صلى الله عليه و سلم وشهد فتح مصر واختط بها وسكنها وهو معروف من أهل مصر ذكره سعيد بن عفير فقال ابن حبنكل قال ابن يونس **ورأيت في بعض الكتب** القديمة في النسب القديم بخط ابن لهيعة برح بن عسكر وذكر نسبه الذي ذكرناه وما علمت له رواية بمصر ولا بغيرها

(باب بريد وتزيد ويزيد)

أما بريد بضم الباء وفتح الراء فهو بريد بن أصرم عن علي رضي الله عنه روى عنه عتيبة الضرير قاله جعفر بن سليمان

وبريد بن أبي مريم السلولي بصري قاله الدارقطني وقاله قبله البخاري وهو كوفي ثقة قاله ابن أبي خيثمة عن يحيى بن معين عن أنس بن مالك وعن أبيه أبي مريم مالك بن ربيعة وأبي الحوراء روى عنه السبيعي وابنه يونس وشعبة وابنه يحيى بن بريد وغيرهم

وبريد بن عبدالله بن أبي بردة بن أبي موسى روى عن جده حدث عنه الثوري وابنه يحيى بن بريد وغيرهم وبريد بن عتاب عن سليمان بن يسير أبي الصباح وحبيب بن أبي عمرة روى عنه عون بن سلام

وبريد الكناسي من شيوخ الشيعة حدث عن أبي جعفر وأبي عبدالله وبريد بن معاوية العجلي ." (٢)

"ابن حيدان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة، وفد على رسول الله صلى الله عليه وشهد فتح مصر، واختط بها وسكنها، وهو معروف من اهل مصر، ذكره سعيد بن عفير فقال: ابن جبنكل، قال ابن يونس: **ورأيت في بعض الكتب** القديمة في النسب القديم بخط ابن لهيعة: برح بن عكسر وذكر نسبه الذى ذكرناه ؛ وما علمت له رواية بمصر ولا بغيرها.

باب بريد وتزيد ويزيد (١) اما بريد بضم الباء وفتح الراء فهو بريد بن اصرم عن على رضى الله عنه روى عنه

---

(١) تهذيب التهذيب، ٢٠٠/٣٧

(٢) الإكمال، ٢٢٧/١

عتيبة الضرير، قاله جعفر بن سليمان * وبريد بن ابى مريم
السلولى، بصرى، قاله الدارقطني، وقاله قبله البخاري، وهو كوفى ثقة قاله ابن ابى خيثمة عن يحيى بن معين
(٢)] عن انس بن مالك وعن أبيه ابى مريم مالك بن ربيعة وأبى الحوراء، روى عنه السبيعى وابنه يونس
وشعبة وابنه يحيى بن بريد وغيرهم * وبريد بن عبد الله بن ابى بردة بن ابى موسى روى عن جده، حدث
عنه الثوري وابنه يحيى بن بريد وغيرهم وبريد بن عتاب عن سليمان بن يسير أبى الصباح وحبيب ابن ابى
عمرة، روى عنه عون بن سلام * وبريد الكناسى من شيوخ الشيعة، حدث عن ابى جعفر وابى عبد الله.
وبريد بن معاوية العجلى،

= = " مهرة " ومهرة بن حيدان معروف وقد يكون " مهرى " صحيحا ويكون من ذرية " مهرة " فان النسب
هنا غير متصل إذ ليس فيه بين برح وحيدان غير ستة مع ان المنسوبين من الصحابة إلى اخوى حيدان وهما
بهراء وبلى لا يتصل نسبهم بهما الا بيضعة عشرابا.
(١) وبزيد (٢) من نص.
[*]." (١)

"وثالثها : ثبوت المعاصرة لا السماع فالرواية مقبولة عند الجمهور وغير مقبولة عند البخاري ويقول البخاري ، في مثل هذا : لم يثبت سماع فلان عن فلان ، وزعم البعض أن هذا التعبير من البخاري يدل على نفي السماع والحال أن غرضه يكون بيان عدم علمه بالسماع ولا يدل على نفيه السماعد ثم السماع عند البخاري لا يجب أن يكون في الرواية التي تكون تحت البحث بل يكفي السماع في غير تلك الرواية أيضا ، كما **رأيت في بعض الكتب** أنه سئل البخاري : هل لفلان سماع عن فلان؟ قال : نعم فإنه صرح بالسماع في رواية غير هذه الرواية ، وأخرج أبو داود حديث الباب وسكت عن الحكم عليه وصححه ابن السكن ، وصحيح ابن السكن لا يكون أقل من الحسن لذاته .." (٢)

"قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الماء لا ينجسه شيء إلا ما غلب عليه طعمه أو ريحه.
وكذلك روي عن ثور بن يزيد عن راشد بن سعد وزاد فيه بقية بن الوليد أولونه.
ورواه عيسى بن يونس وأبو معاوية وأبو إسماعيل المؤدب عن الأحوص بن حكيم عن راشد بن سعد عن

(١) إكمال الكمال، ١/٢٢٧
(٢) العرف الشذي للكشميري، ٦/٢

النبي صلى الله عليه وسلم مرسلا.

ورواه أبو أسامة عن الأحوص عن أبي عون وراشد بن سعد من قولهما.

٦٥ - باب الفرق بين ما ينجس ولا ينجس ما لم تغيره السنة

٣٩٢ - وهي ما أخبرنا أبو عبد الله وأبو بكر وأبو سعيد قالوا : حدثنا أبو العباس قال أخبرنا الربيع قال أخبرنا الشافعي قال أخبرنا الثقة عن الوليد بن كثير عن محمد بن عباد بن جعفر عن عبد الله بن عبد الله بن عمر عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إذا كان الماء قلتين لم يحمل نجسا - أو قال - خبثا.

قال أحمد : هذا الثقة هو أبو أسامة حماد بن أسامة الكوفي فإن الحديث مشهور به وقد **رأيت في بعض الكتب** ما دل على أن الشافعي أخذه عن بعض أصحابه عن أبي أسامة وقد رواه جماعة عن أبي أسامة هكذا.

وقد رواه عن أبي أسامة عن الوليد بن كثير عن محمد بن جعفر بن الزبير.

". (١)

"وقد **رأيت في بعض الكتب** ما دل على أن الشافعي أخذه عن بعض أصحابه ، عن أبي أسامة وقد رواه جماعة عن أبي أسامة ، هكذا ، ورواه جماعة عن أبي أسامة ، عن الوليد بن كثير ، عن محمد بن جعفر بن الزبير

٤٩٨ - أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، قال : حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، قال : حدثنا أحمد بن عبد الحميد الحارثي قال : حدثنا أبو أسامة ، عن الوليد بن كثير ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عبد الله بن عبد الله بن عمر ، عن أبيه عبد الله بن عمر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : سئل عن الماء ، وما ينوبه من الدواب ، والسباع ؟ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إذا كان الماء قلتين لم يحمل الخبث " وأخبرنا أبو بكر بن الحارث الفقيه قال : أخبرنا علي بن عمر الحافظ قال حدثنا أحمد بن محمد بن سعيد ، قال : حدثنا أحمد بن عبد الحميد الحارثي ، قال : حدثنا أبو أسامة قال : حدثنا الوليد بن كثير ، عن محمد بن عباد بن جعفر ، عن عبد الله بن عبد الله بن عمر ، عن أبيه ، عن النبي

---

(١) معرفة السنن والآثار للبيهقي ٤٥٨، ١/٣٢٦

صلى الله عليه وسلم نحوه . فهو ذا قد رواه أحمد بن عبد الحميد الحارثي ، عن أبي أسامة ، على الوجهين جميعا .@." [1]

" ٦٠٥٩ – (قال الله تعالى لا يذكرني عبد في نفسه إلا ذكرته في ملأ) بفتح الميم واللام مهموز أي جماعة قال ابن حجر : يستفاد منه أن الذكر الخفي أفضل من الجهري والتقدير إن ذكرني في نفسه ذكرته بثواب لا أطلع عليه أحدا وإن ذكرني جهرا ذكرته بثواب أطلع عليه الملأ الأعلى قال ابن بطال : هذا نص في أن الملائكة أفضل من الآدميين وهو مذهب جمهور أهل العلم وعليه شواهد من القرآن نحو ﴿ إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين ﴾ والخالد [ص ٤٩٤] أفضل من الفاني فالملائكة أفضل وتعقبه جمهور أهل السنة بما هو معروف [2] قال بعض العارفين : الله تعالى له الأخلاق السنية وهي الأسماء الإلهية فمن ذكر الحق كان جليسه ومن كان جليسه فهو أنيسه فلا بد أن ينال من مكارم خلقه على قدر زمان مجالسته ومن جلس إلى قوم يذكرون الله أدخله معهم في رحمته وكرامته فإنهم القوم لا يشقى جليسهم فكيف يشقى من كان الحق جليسه (من ملائكتي ولا يذكرني في ملأ) أي جماعة من خواص خلقي المقبلين على ذكري داعيا لهم إلي أو ناشرا بينهم ثنائي أو دالا لهم على حقيقة ذكري أو مراقبتي أو شاغلا لهم بذكري (إلا ذكرته في الرفيق الأعلى) ظاهر هذا أن ذكر اللسان علانية أفضل من الذكر الخفي والذكر القلبي قال وهب : رأيت في بعض الكتب الإلهية أن الله يقول يا ابن آدم ما قمت لي بما يجب لي عليك أذكرك وتنساني وأدعوك وتفر مني خيري إليك نازل وشرك إلي صاعد

(طب عن معاذ بن أنس) بن مالك قال الهيثمي : إسناده حسن ." [3]

"٨٢ – (ليث بن سعد) وهو إمام مصر. قال الشافعي رحمه الله تعالى وهو عندنا ليس بأدون من مالك رحمه الله تعالى إلا أن أصحابه أضاعوه. وقال ابن خلكان في تاريخه: إني رأيت في بعض الكتب أنه حنفي. عند الطحاوي في «باب القراءة خلف الإمام» إسناد فيه ذلك الليث وهذه صورته: حدثنا أحمد بن عبد الرحمن قال حدثنا عمي عبد الله بن وهب قال أخبرني الليث عن يعقوب – وهو أبو يوسف – عن النعمان – أي أبي حنيفة – عن موسى بن أبي عائشة عن عبد الله بن شداد عن جابر بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلمقال: «من كان له إمام فقراءة الإمام له قراءة» فهذا الإسناد أيضا قرينة على كونه حنفيا

(١) معرفة السنن والآثار للبيهقي (موافق)، ٨٥/٢

(٢) تنبيه

(٣) فيض القدير، ٤٩٣/٤

لكونه تلميذ أبي يوسف. قال الليث: إني كنت أسمع اسم أبي حنيفة رحمه الله تعالى وكنت مولعا بلقيه فوجدته بمكة قد أكب عليه الناس يستفتونه فبينما هم كذلك إذا أتاه آت واستفتاه في حاجته فعجبت على جوابه بداهة.

٨٢ – قوله: (رأى الري) وهذا من باب المحاورات فلا يقال إنه كيف رأى الري مع كونه غير مرئي؟." (١)

"رقم الفتوى ٦٢٥٥ حديث "إني والجن والإنس في نبإ عظيم"

تاريخ الفتوى : ١٥ شوال ١٤٢١

السؤال

السلام عليكم ...أود أن أعرف منكم بعض الأحاديث القدسية .... الأول: يقول الله عز وجل في بدايته ...أخلق و يعبد سواي .. خيري للعباد نازل شرهم إلي صاعد.... والحديث الثاني ... يقول عزل وجل: أهل ذكري أهل مجالستي ..... هل من الممكن استيفاء الأحاديث كاملة حيث إنني لا أعرف في أي كتاب أجدها الرجاء إرسال الأحاديث كاملة.. مع إعطائي اسم كتاب أجد فيه هذه الأحاديث... وجزاكم الله خيرا.

الفتوى

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أما بعد:

فقد روى البيهقي في شعب الإيمان والحاكم عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: قال الله تعالى: "إني والجن والإنس في نباء عظيم، أخلق ويعبد غيري، وأرزق ويشكر غيري" وضعفه السيوطي في الجامع الصغير، وكذا المناوي في فيض القدير، وروى البيهقي أيضا عن مالك بن دينار قال: قرأت في بعض الكتب أن الله عز وجل يقول: "يا ابن آدم خيري ينزل إليك، وشرك يصعد إلي، وأتحبب إليك بالنعم، وتتبغض إلي بالمعاصي، ولا يزال ملك كريم، قد عرج إلي منك بعمل قبيح".

وذكره في فيض القدير عن وهب قال: **رأيت في بعض الكتب** الإلهية أن الله يقول: يا ابن آدم ما قمت لي بما يجب لي عليك، أذكرك وتنساني، وأدعوك وتفر مني، خيري إليك نازل، وشرك إلي صاعد".

وذكره أبو نعيم في حلية الأولياء عن وهب أيضا قال: قرأت في بعض الكتب فوجدت الله يقول: "يا ابن آدم ما أنصفتني تذكرني وتنساني، وتدعوني وتفر مني، خيري إليك نازل، وشرك إلي صاعد..".

والحاصل أن هذا ليس مما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم ـ فيما نعلم ـ غير أنه يجمع معان عظيمة

---

(١) فيض الباري شرح البخاري، ٢٥٧/١

ينبغي تفهمها والتفكر فيها، ولهذا الوجه ذكرها السلف.

أما حديث: أهل ذكري أهل مجالستي . فلم نجده فيما بين يدينا من مراجع. والله أعلم.

المفتي: مركز الفتوى بإشراف د.عبدالله الفقيه

فتاوى ذات صلة

لا صحة للأحاديث المتعلقة بحمل الحوت للأرضين السبع

"الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه وعالما أو متعلما"

(وعزتي لا أجمع على عبدي خوفين وأمنين)

المزيد

مقالات ذات صلة

٦٢٥٥١

لا يؤاخذ الابن بمعصية والديه

الفهرس » الفضائل والتراجم » فضائل إسلامية » فضل صلة الرحم وبر الوالدين (٩٣٢)." [١]

"فالمالكيون يروون عن ابن القاسم أنه قال : كفى بقول مالك حجة ، ولو رأيت مالكاً لاستعظمت مخالفته ، وأنه كرّر هذا القول مراراً .

وروي عن بعض متفقهة الحنفيين أنه قال : أبو حنيفة كان أعلم بالقضاء من محمد ص .

وذُكر عن الربيع أنه قال : الشافعي لا يخطئ في واو ولا ألف ، وحدثني محمد بن يحيى بن غالب عن الخليل بن أحمد البستي أنه قال بعض الحنبليين : أحمد بن حنبل عظمة .

قال أبو محمد رحمه الله : وهذه الأقوال شنيعة ، وبعضها كفر مجرد ، وهو القول بأن أبا حنيفة أعلم بالقضاء من رسول الله ص ، وهذا كلام يغني إيراده عن تكلف الرد عليه بأكثر من أن نقول : قائل هذا القول عليه لعنة الله ولعنة اللاعنين والملائكة والناس أجمعين ، فما يخرج هذا الكلام من قلب مسلم .

وأما الذي ذكروه عن ابن القاسم من قوله : كفى بقول مالك حجة ، فما هذا يصح عنه البتة ؛ لأنه ضلالة عظيمة ، وقول شنيع ، وإذا قال الله عز وجل : ﴿ لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ﴾ النساء آية ١٦٥ ، فكيف يقول مسلم له مُسكة عقل : إن قول أحد بعد النبي ص حجة ؟!

وكذلك قوله : لو رأيت مالكاً لاستعظمت مخالفته ، قال أبو محمد رحمه الله : فيا ليت شعري ! لو رأى

---

(١) فتاوى الشبكة الإسلامية معدلة، ٢/٢٦٩٩

هذا المخاطب مالكاً ماذا كان يرى فيه مما يستعظم مخالفته ؟ أتراه كان يرى في يده عصا يقلبها حية ؟ أو يراه يبرئ الأكمه والأبرص أو يحيي الموتى ؟ أو يراه يطعم النفر الكثير من الطعام اليسير ؟ أو يراه ينبع الماء من بين أصابعه ؟ أو يراه يشق القمر ؟ أو يراه يأتي بكلام معجز ؟ .

هذه الأمور التي يستعظم من رآها مخالفة من رآها منه ، لا رؤية إنسان كسائر الناس ، ولا فرق ، يُفتي برأيه وحسب ما أداه إليه اجتهاده ، فيخطئ ويصيب كما فعل كل مُفتٍ سواء وسواء .

وما أرى هذا القول يصح عن ابن القاسم أيضاً ، فإنه قول في نهاية الغثاثة والسقوط ، ولعمري لقد رأى مالكاً سفيان الثوري ، وسفيان بن عيينة ، وحماد بن زيد ، والأوزاعي ، والليث ، وابن جريج ، وابن أبي ذئب ، وعبد العزيز بن أبي سلمة ، ثم رآه أيضاً وكيع بن الجراح ، وعبد الله بن المبارك ، والوليد بن مسلم ، ويحيى بن سعيد القطان ، وعبد الرحمن بن مهدي ، والشافعي ، وهؤلاء أئمة المسلمين في عصرهم ، فما منهم أحد استعظم مخالفته ، بل ما استحلوا متابعته ، ولا رضوا لأنفسهم تقليده ، ولا الانتماء إلى مذهبه ، ولا وقع لهم هذا الأمر المجهول الذي يحكونه عن ابن القاسم ، ولعلهم كذبوا عليه .

ثم قد رآى مالكاً أبو يوسف القاضي وناظره وجالسه ، وكذلك محمد بن الحسن ، فما استعظما مخالفته ، بل مالا عنه إلى غيره ، وكذلك ما يشك في رؤية يحيى بن سليمان الجعفي ، والحسن بن زياد ، ونوح بن دراج ، ومحمد بن عبد الله الأنصاري له ، فما استعظموا مخالفته ، بل مالوا إلى زفر بن الهذيل تلميذ أبي حنيفة ، وهو فتى من أصحابه لم يبلغ الخمسين عاماً ، وكذلك أيضاً قد رآى مالكاً أسد بن الفرات ، وهشام بن عبد الله الرازي ، ورويا عنه ، ثم لم يستعظما مخالفته ، بل تركا قوله ، ومالا إلى أبي يوسف ومحمد بن الحسن تلميذي أبي حنيفة .

وكذلك ما يُمترى في رؤية أبي إسحاق الفزاري له ، وكذلك أيضاً مخلد بن الحسن ، وبشر بن الوليد ، ومحمد بن سماعة ، ويحيى بن هلال ، فما استعظموا مخالفته ، بل مالوا عنه إلى الأوزاعي وإلى أبي يوسف ومحمد بن الحسن ، وكذلك رآه وأخذ عنه الوليد بن مسلم ، ثم لم يستعظم مخالفته بل مال عنه إلى الأوزاعي .

ثم دع هؤلاء ، فقد رآه أصحابه : ابن أبي حازم ، والمغيرة بن عبد الرحمن المخزومي ، وابن نافع ، ومطرف ، وابن الماجشون ، وابن كنانة ، وابن وهب ، وأشهب ، وجالسوه سنين ، وكتبوا علمه ، ولم يستعظموا مخالفته ، بل خالفوه الخلاف الكثير العظيم ، ولا وقع لهم هذا الأمر الذي يحكونه هؤلاء عن ابن القاسم وحده ، على أنه قد روي عنه أنه خالفه في نيف وثلاثين مسألة ، وإن كانوا يروون أنه قال : ما خلفت

مالكاً إلا بمالك ، وهذا أيضاً فاسد من القول جداً ، لأن المسائل التي خالفه فيها لولا أنه استحق الخلاف عنده ما خالفه ؛ لأنه لا يجوز لمسلم خلاف مالا يحل عنده خلافه ، فعلى كل حال ، قد استجاز ابن القاسم مخالفة مالك ، ولم يستعظمها كما يحكي هؤلاء عنه ، ويحكون أيضاً عن ابن وهب أنه قال : الحديث مضلة إلا للفقهاء ، ولولا مالك والليث لضللنا . !

قال أبو محمد رحمه الله : وهذا بعيد جداً عن ابن وهب أن يقول مثل هذا الكلام الباطل القبيح الجامع للبلاء ، الناقض لعرا الإسلام .

وليت شعري ! إذا كان الحديث الثابت عن رسول الله ص مضلة ، فأين المهداة ؟ أفي الاستحسان والرأي يُحرّم بها في دين الله تعالى ويحلل ، وتُفرض بها الفرائض ، وتسقط بهما الشرائع ، وتحدث بها الديانة ، ويحكم بها على الله عز وجل ؟! إن هذا لهو الضلال المبين .

والله تعالى يقول مخاطباً لنبيه ص : ﴿ وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ﴾ النحل آية ٤٤ ، فلم يجعل الله عز وجل التبيين إلا في حديث رسول الله ص لا في شيء سواه .

وليت شعري ! من هم الفقهاء إلا أصحاب الحديث العالمون بصحيحه ، الذين يدينون به ربهم من السقيم الساقط الذي يعول عليه أهل الرأي .

وأما أصحاب الحديث فهم العالمون بناسخه من منسوخه ، وكيف يضم إلى القرآن وكيف يستعمل جميعه ، ويستثنى بعضه من بعض ، العالمون بأخبار الصحابة والتابعين من بعدهم ، فما نعلم الفقهاء إلا هؤلاء .

وأما من أخذ برأي إنسان واحد لا يعدوه ، فما يعرف ما صح عن النبي ص ، ولا ما أجمع عليه العلماء مما اختلفوا فيه ، فما عرف قط ما هو الفقه ، ولا للفقه إليه طريق ، بل هو خابط خبط عشواء في الدين ، راكب مضلة لا يدري حقيقة ما يعتقد من باطله .

ومن العجب أيضاً أن يقول القائل : لولا مالك والليث لضللنا . فليت شعري ! ، كيف كان المسلمون قبل أن يولد مالك والليث ؟! أعلى ضلال كانوا حتى ولدا هذا الرجلان ؟ حاش لله من ذلك ، نَبْرأ إلى الله عز وجل من كل هدى أتانا به مالك والليث مما لم يكن معروفاً عن رسول الله ص، ومن قبل أن يولدا هما وأبوهما ، ومعاذ الله من أن تكون هذه الصفة لأحد من الناس غير رسول الله ص ، الذي يقول له ربه تعالى : ﴿ لتخرج الناس من الظلمات إلى النور ﴾ سورة إبراهيم آية ١ .

وأيضاً : فإن القائل لهذا القول الساقط مفضّل لمالك والليث على رسول الله ص ، ولولا مالك والليث لضل ، ولم يستغن بالنبي ص عنهما ، وهذا كفر صريح مجرد .

وأيضاً : أفي ضلال هو من لقي العلماء غير هذين الرجلين ؟ إن هذا لعجب ، ومعاذ الله أن يكون هذا الكلام السخيف ثابتاً عن ابن وهب ، فإنه قد أخذ فأكثر عن سفيان الثوري وابن عيينة وابن جريج وعمرو بن الحارث وابن أبي ذئب ، فليت شعري ! أضلالاً أخذ عن هؤلاء أم هدى ؟! بل ما نقل العلماء قديماً وحديثاً إلا الهدى الذي اهتدى به مالك والليث ومن قبلهما ومن بعدهما من الإنس والجن ، ومن العجب أن الجهّال المعجبين بهذا الكلام الفاسد لا يلتفتون إلى أقوال الليث ، فقد تركوا نصف الهدى ، فليزمهم على هذا أنهم على نصف الضلالة ، وقد قلنا إن مثل هذا لا يصح عن ابن وهب .

وهكذا الذي يُحكى عن الربيع أن الشافعي لا يخطئ في واو ولا ألف ، فهذا أيضاً عندنا كذب لا يصح عن الربيع ، وما يستجيز هذا القول فيمن دون رسول الله ص إلا ضعيف الدين ، ضعيف العقل ، وإنقاذ مثل هذا الجنون عن أولئك المقدمين أولى .

وأما الخشارة التي نحن فيها فأكثرهم : ﴿ أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون ﴾ النجل آية ٢١ ، : ﴿ إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً ﴾ الفرقان ٤٤ ، لا يحققون حقيقة ، ولا يأنفون من حماقة ، ولا يسألون عن برهان ، ولا يبالون كيف أخذوا دينهم ، في اتباع ما وجدوا عليه آباءهم وكبراءهم ، ومن نشؤوا بين أظهرهم ، كما فعل أهل الكتاب سواء سواء ، وقد أنذر رسول الله ص بذلك إذ اخبر أننا سنركب سنن من كان قبلنا ، حتى لو دخلوا جحر ضب خرب لدخلناه ، فقيل له : يا رسول الله ، اليهود والنصارى ؟ قال : فمن إذاً ؟ أو كلاماً هذا معناه ، نعوذ بالله من الخذلان والضلال ، ونسأله الثبات على ما مضى عليه الصحابة والتابعون ، ومن قفا سبيلهم وصبر على مُرّ الحق إذا فسد الأكثر ، وأن يعصمنا من بدعة التقليد المُحدَث بعد القرون الثلاثة المحمودة ، آمين .

قال أبو محمد رحمه الله : ولو استطاعت هذه الطائفة المستأخرة من الحنفية والمالكية أن يدّعوا لصاحبهم أنه تكلم في المهد ما تأخروا عن ذلك .

فقد **رأيت في بعض الكتب** التي جمعوها في فضائل مالك رحمه الله : أنه كان في فخذه مكتوب بالنور : (مالك عدّة الله) وأدخلوا في فضائلهم أنه قام خمساً وعشرين سنة ليس بينه وبين مسجد رسول الله ص إلا نيف وعشرون خطوة ، ولم يُصَلّ فيه صلاة فرض ولا جمعة .

وهذا لا يدخل في الفضائل أصلاً ، بل هو مما يجب أن يُعتذر له منه ، وما نظن به في ذلك إلا خيراً أو عذراً ().

فإما عذر صحيح عند الله تعالى وهو أولى به عندنا ، وإما تأويل تأوله من أنه كان لا يستجير الصلاة خلف

الأمراء الفسّاق ، فإن هذا : فهو تأويل أخطأ فيه ، هو فيه مأجور أجراً واحداً ؛ لأن النبي ص أمر بالصلاة خلف الأمراء المؤخرين لها عن وقتها ، وليس في الفسق أكثر من فعل من فرّط في الصلاة عمداً حتى خرج وقتها .

وقد سمعت بعضهم يقول : إن مالكاً رأى عجوزاً رأت النبي ص ، قال أبو محمد رحمه الله : وهذا كذب لا خفاء به ؛ لأنه لم يعش بعد أنس بن مالك رضي الله عنه احد رأى النبي ص إلا أبو الطفيل عامر بن وثلة وحده ، وكان موت أنس بن مالك قبل مولد مالك ، وما ذكر احد قط أن مالكاً رأى أبا الطفيل .

وقد ذكروا أنه المراد بـ (عالم المدينة) في الحديث المروي من طريق أبي الزبير هو مالك ، وهذا تقوّل منهم على رسول الله ص بغير علم ، ومن قطع على مراده ص فقد كذب عليه ، فليتبوأ مقعده من النار ، وقال تعالى : ﴿ ولا تقف ما ليس لك به علم ﴾ الإسراء آية ٣٦ ، وقال تعالى : ﴿ وما لهم به من علم إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يغني من الحق شيئاً ﴾ النجم آية ٢٨ ، وقال تعالى : ﴿ وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم ﴾ النور آية ١٥ ، فمن قطع بأن عالم المدينة المذكور في ذلك الحديث لو صح هو مالك بن أنس فقد قفا ما لا علم له به ، وقال ما ليس له به علم ، واتبع الظن ، والظن أكذب الحديث ، وقال على رسول الله ص بظنه فصار كاذباً عليه ، نعوذ بالله من الضلال ، وأيضاً فلو صح لهم أنه مالك بيقين لما كان في ذلك متعلق أصلاً ؛ لأنه ليس في ذلك الحديث أنه لا يوجد مثله في العلم ولا نظيره ، وإنما فيه أنه لا يوجد أعلم منه ، فإذا كان من الممكن أن يوجد مثله في العلم في زمانه فليس هو أولى بما وجد التقدم في العلم ممن هو مثله في ذلك ، ولا في الحديث أيضاً إنه يوجد بعدَه أعلم منه ، فقد سقط تعلقهم به جملة ، وبالله تعالى نتأيد .

فإن منعوا ذلك وأخرجوه من الممكن وقطعوا أنه لا يكون ذلك أبداً عجّزوا ربّهم وهذا كفر ، وهذا لا يعلم بنص ، وإذ لا نص في ذلك فقد منع من أين يكون فقد قطع على الله تعالى بالكذب ، فهم في هذا ما بين أمرين : إما كفر ، وإما كذب على الله تعالى ، فليختاروا ، وما فيهما حظّ لمختار ، فإن أبوا منهما معا ، فقد سقط تعلقهم بهذا الحديث ، وبطل تمويههم به على كل وجه ، وبالله تعالى التوفيق .

وقال منهم قائلون : قال سفيان بن عيينة : كانوا يرون أنه مالك .

قال أبو محمد رحمه الله : وهذا لو صح عن سفيان ، فإن كان يكون زناً من الذين حكى ذلك عنهم سفيان ، ولعل سفيان إنما أخبر بذلك منكراً عليهم ، ولعلهم كانوا من أصحاب مالك وتلاميذه ، وهذا الذي لا يجوز أن يُظن بسفيان وغيره ؛ لأنه كان عبداً اتّقى الله عز وجل من أن يقطع على رسول الله ص

بغير نص صحيح ، وبرهان هذا هو ابن عيينة الذي ينسبون إليه هذا الباطل ، وهو مخالف لمالك ، فما قلده قط ، ولا اتبعه ، ولا طلب فتياه ، ولا كتب أقواله ، ولا عمل بشيء من رأيه ، ولا في مسألة من المسائل ، فلو كان عالم المدينة المذكور هو مالك عند سفيان لما استجاز مخالفته ، ولا استحل تعطيل فتياه .

وأيضاً : فقد أخبرنا يوسف بن عبد الله بن عبد الله بن أبي جعفر عن أحمد بن سعيد بن حزم الصدفي عن قاسم بن أصبغ عن محمد بن إسماعيل الترمذي قال نا نعيم بن حماد قال حدثنا سفيان بن عيينة عن أبي الزبير عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ص : (يضرب الناس أكباد الإبل فلا يجدون عالماً أعلم من عالم المدينة) قيل لسفيان : فمن تراه ؟ قال : قال نعيم بن حماد : فسمعته أكثر من ثلاثين مرة يقول : إن كان أحد فهو لعمري هذا العابد في المدينة ، يكنى أبا عبد الرحمن عبد الله بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر بن الخطاب .

قال أبو محمد رحمه الله : فهذا يبين بطلان ظنهم في قول سفيان ، وأيضاً على أبي الزبير وهو مدلس ، ما لم يقل حدثنا ، أو أخبرنا ، فظهر بطلان ظنهم من كل جهة .

نعم ، وادعى بعضهم في الخبر الوارد من طريق عمرو بن حكام عن شعبة ورويناه أيضاً من طريق هشام عن داود بن أبي هند ، وفيه : (أنه لا يزال أهل الغرب ظاهرين على الحق حتى يأتي أمر الله) أنهم أهل مذهب مالك ، وهذا من استجاز الكذب واستحلاله في الدرجة القصوى ، وما أفريقية والأندلس بأولى باسم المغرب من مصر والشام ، وأهلهما على خلاف مالك ، بل الظاهر على مذهب أهل السنة جملة ، ولا أيضاً من صحراء زناتة والغالب عليها الخوارج والمعتزلة ، والشيه على جبال كتامة ، وقد كانت أفريقية على رأي أبي حنيفة ، والأندلس على رأي الأوزاعي دهراً طويلاً ، فما الذي جعل صرف الخبر المذكور إلى ما هما عليه الآن أولى من صرفه إلى ما كانتا عليه قبل ذلك ، ولا ندري إلى ما تؤول إليه حالهما في المستأنف ، إلا أن يدعوا علم الغيب ، فحسبك هذا ضلالاً .

وأيضاً : فبلا شك ندري أنه إذ قال عليه السلام : (لا يزال أهل الغرب ظاهرين على الحق) فإن أهل الغرب كانوا حينئذ نصارى أولهم عن آخرهم ، ليس فيهم مسلم بوجه من الوجوه ؛ لأنه إنما فتحت مصر والشام في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وأفريقية في زمان معاوية رضي الله عنه ، وفتحت الأندلس في زمن الوليد بن عبد الملك ، وقد أيقنا أن النبي ص لا يقول إلا الحق ().

فإن صح الحديث المذكور فنحن موقنون أنه عليه السلام لم يخص وقتاً دون وقت ، فإذا وجب أن يكون

الأمر كذلك : فالأغلب أن ذلك الوقت لم يأت بهد ، ولعله عند نزول عيسى بن مريم عليه السلام ، وإلا فما يدر بهم ، والقول بالظن لا يحل أيضاً ، فإن حمل الحديث المذكور على ظاهره اولى ، بل لا يحل سوى ذلك بلا دليل من نص أو إجماع .

ونحن إذا تدبرنا ذلك الحديث وجدنا لفظه يوجب الذم لا المدح ؛ لأنه عليه السلام إنما كان يكون مخبراً بأنهم لا يزالون ظاهرين على الحق ، والظهور في لغة العرب هو الغلبة ، فإنما يقتضي هذا اللفظ أنهم لا يزالون غالبين لأهل الحق حتى يأتي أمر الله .

قال أبو محمد رحمه الله : وهكذا وجدناهم أبداً مخالفين للحق ، مخامرين له ، دافعين له ، فأول ذلك أن المباشرين لقتل عثمان رضي الله عنه كانوا من أهل الغرب من أهل مصر ، وهم كنانة بن بشر التجيبي ، وعمران بن سودان ، وقنبرة ، وعبد الرحمن بن غدير البلوي ، كلهم مصريون .

ثم بعد بذلك أمّر علي بن بن أبي طالب رضي الله عنه ومعاوية رحمة الله عليه ، فعليٌّ صاحب الحق بلا شك ، ومعاوية مجتهد متأول مخطئ معذور مأجور أجراً واحداً ، إذ لا خفاء في أن الفرق في الفضل بين معاوية أبين من أن يُشكل على منصف ، وإن معاوية كان رحمه الله صاحباً فاضلاً ، ولكن قال الله تعالى : ﴿ لا يستوي منكم من أنفق قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلاً وعد الله الحسنى ﴾ الحديد آية ١٠ .

فعليٌّ بن أبي طالب مهاجر أول ، سابق بدري أحدي خندقي حديبي ، ومعاوية رحمه الله من مسلمة الفتح ، وكان معاوية الغالب لعليّ إلى أن مات ، والظاهر على حق عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه .

ثم ظهور الفاسق يزيد على حقٍ بقية معاوية من الصحابة رضي الله عنهم والتابعين من أهل المدينة ، يوم الحرة ، وعظيم ما ارتكبه في الإسلام بأوباش أهل الغرب من أهل الشام ومصر .

ثم ظهور الفاسق الحجاج ومن قدّمه على حق أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما ، وابن الزبير بقية الصحابة ، وصاحب الحق ، والحجاج ومن ولاة أهل الباطل والثورة ، وشق عصا المسلمين بلا تأويل أصلاً ، ولا بوجه له مخرج ، ورجمه مكة بأوباش أهل الغرب من أهل مصر والشام .

ثم ظهور جور بني مروان وآله ، فما رأى الناس عدلاً في تلك المدة إلا الجور المبين ، ولعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه على المنابر ، والاستخفاف بالصلاة إلا عامين من ولاية عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه ، وستة أشهر من ولاية يزيد بن الوليد رحمه الله ، وكان الأمر في مدة سليمان على قصرها افتراءً وخفة ().

ثم ظهور الكفرة بني عبيد الله بالمغرب وغلبتهم بالكفر المجرد ، ما بين البحر الشامي إلى ما وراء مكة والمدينة إلى الفرات ، قد طمسوا نور الإسلام ونكسوا أعلامه إلى يومنا هذا ، فما هذا الخبر إن صح إلا إنذاراً بظهور أهل الغرب على أهل الحق ، وغلبتهم إياه ، وطمسهم لآثاره ، وهو أعظم حجة عليهم .

فهذه صفة أهل الغرب وأهله عياناً ، لا يقدر على دفعه إلا وقّاحُ الوجه ، مُدافعٌ للعيان ، لا يُبالي بمثله ، وليس بعضهم أولى بصحة دعواه من بعض .

وكل طائفة تدّعي أنها أهل الحق ، ولا حق إلا في كتاب الله عز وجل ، وسنة رسوله ص المبلغة بالسند الصحيح إليه عليه السلام فقط ، ولا بقي نور الإسلام وطلب السنن عن رسول الله ص كما يجب إلا بأقصى المشرق بخراسان وما هنالك .

وما الغرب فخال من ذلك كله ، صِفرٌ من جميعه إلا من الشاذ الفاذّ والنارد الغريب ، وكلهم مقلد لآبائه ، معرض عن سنة رسول الله ص وعن أحكامه ، وعن أحكام القرآن ، لا تجاوز تراقيهم ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

قال أبو محمد رحمه الله : فهذا ما راموا به نصر قول مالك رحمه الله وتغليبه ، إلى حماقات سوى هذه يريدون أن يُعرِبوا بها فيُعجموا ، ويقصدون أن يبنوا فيهدموا ، من نحو قولهم : إن مالكاً رحمه الله صلى الصبح بوضوء العتمة أربعين سنة .

والعجب ممن أراد مدحه بهذا وهو خلاف ما كان عليه رسول الله ص وأصحابه رضي الله عنهم ، وقد صح عن ص أنه ما قام ليلة حتى الصباح ، وأنه عليه السلام نهى عن ذلك عبد الله بن عمرو بن العاص ، وأبا الدرداء رضي الله عنهم .

وقال عليه السلام : (قم ونم) ، وأخبر عليه السلام أنه من رغب عن سنتي في ذلك فليس منه .

أفترى مالكاً في هذه الأربعين سنة لم يكن له إلى أهله حاجة ؟ ألم يمرض ؟ ألم تعرض له في الليل بولة ولا قرقرة ؟ ألم تغلبه سنة ؟ . إن هذا لعجب ، فهذا مع أنه ذم وبدعة ، فهو أيضاً كذب وفرية ومحال في الطبيعة .

وحكوا أيضاً عن ابن القاسم صاحبه رحمه الله : أنه كان يختم القرآن في رمضان مئتي مرة ، وهذه طامة من فضائح الكذب المشبع ؛ لأن هذا إذا قُسِمَ ، وقع لكل يوم وليلة ختم القرآن فيها ست مرات وثلثي مرة زيادة ، ومثل هذا من القول فهو أميل إلى الاستخفاف بالقرآن ، والاستهزاء بكلام الله عز وجل وتلاوته غير موفاة الحروف .

هذا لو أمكن ، ثم هو بعدُ معصية لله تعالى ؛ لأنه قد صح عن النبي ص أن لا يقرأ القرآن في أقل من ثلاث ليال ، ولم يختلف عن هذا أحد من الصحابة رضي الله عنهم في دون ذلك إلا في مرة واحدة في الليلة فقط ، ثم بعد هذا كله فهو محال وكذب ، أتراه لم ينم طول شهر رمضان لا ليلاً ولا نهاراً ؟ أما كانت عليه صلاة فرض ؟ أما كان عليه إفطار بأكل وشرب ؟ أما كان عليه شهود جمعة ؟ وإنصات للخطبة ؟ أما كان عليه وضوء وما يوجب الوضوء من بول وغيره وغسل جمعة ؟ أما كان من بني آدم فيأخذه من دندنة النهار والليل حيران وصداع ودوار وعشواء النفس وبحة الصوت ؟ أما كان يسأم ولا يفتر من قراءة القرآن ست مرات في كل بياض يوم وثلثا زيادة شهراً كاملاً متصلاً ؟ هذه صفة الملائكة التي ذكر الله عز وجل فيهم أنهم لا يسأمون ولا يفترون ، وليست هذه صفة آدمي أصلاً ، أما يستحي من له مُسكة عقل أو دين من أن يحدث بمثل هذا الحديث الذي قد جمع فيه الكذب والمعصية ؟ ونسأل الله تعالى أن لا يخذلنا بمنه .

ويقولون : أن مالكاً ثبت على علم المدينة .

وهذا كلام في غاية الفساد ؛ لأن الذين خرجوا عن المدينة من الصحابة رضي الله عنهم وثم التابعين لهم ، ثم الفقهاء بعدهم كالحسن البصري ، وابن سيرين ، وسفيان الثوري ، والأوزاعي ، والليث ، وغيرهم ، إن أطلقوا عليهم أنهم بدّلوا الدين وأحدثوا شريعة ، فقد افتروا إثماً عظيماً ، فإن لم يبالوا بذلك ولا تورعوا عنه عاد ذلك عليهم ؛ لأنه إذا جاز ذلك على من ذكرنا ، جاز ذلك على من بقي في المدينة من الصحابة رضي الله عنهم ، وعلى من بعدهم ، وعلى تابعيهم ، وعلى مالك ومن معه ، وهذا كله هو الباطل المحض ، وقد أعاذ الله جميعهم من ذلك ، ونزعهم عنه ، ولا يظن ذلك بأحد منهم إلا فاسق خبيث .

وكذلك إن قالوا : إن عمر وعثمان رضي الله عنهما أغفلا تعليم رعيتهما من أهل العراق والشام ومصر أمور الدين ، وهم في طاعتهم ، يُوَلّون عليهم عُمّالهم من الصحابة ، وتَفِدْ عليهم وفودهم ، فَضَيَّع عمر وعثمان رضي الله عنهما تعليم شرائع الإسلام ، وأهملاهم وكتماهم الديانة ، فهذا إخراج للخليفتين المرضيين رضي الله عنهما عن الإسلام ، ولعمري إن الظان ذلك بهما أولى بهذه الصفة .

فصح أن الذي عند أهل المدينة هو عند غيرهم من فقهاء الأمصار سواء سواء ، ولا فرق ، إذ ليس العلم مكتوماً ، والحمد لله رب العالمين ، ولا أهل المدينة بعد افتراق الصحابة رضي الله عنهم في البلاد أولى بالعلم من غيرهم ، وبالله تعالى التوفيق .." (١)

---

(١) الرسالة الباهرة للإمام ابن حزم الظاهري، ص/٥

"ثم كثر هذا في الكلام حتى قيل لكل شيء لم يبالغ فيه تحليل؛ يقال ضربته تحليلا، ووقعت مناسم هذه الناقة تحليلا، إذا لم تبالغ في الوقع بالأرض. وهو في قول كعب بن زهير:

* وقعهن الأرض تحليل(٨٠) *

فأما قول امرئ القيس:

كبكر المقاناة البياض بصفرة *** غذاها نمير الماء غير محلل

ففيه قولان: أحدهما أن يكون أراد الشيء القليل، وهو نحو ما ذكرناه من التحلة. والقول الآخر: أن يكون غير منزول عليه فيفسد ويكدر.

ويقال أحلت الشاة، إذا نزل اللبن في ضرعها من غير نتاج. والحلال: متاع الرحل. قال الأعشى:وكأنها لم تلق ستة أشهر *** ضرا إذا وضعت إليك حلالها(٨١)

كذا رواه القاسم بن معن، ورواه غيره بالجيم.

والحلال: مركب من مراكب النساء. قال:

* بعير حلال غادرته مجعفل(٨٢) *

ورأيت في بعض الكتب عن سيبويه: هو حلة الغور، أي قصده. وأنشد:." (١)

"وهو من الباب. وحللت اليمين أحللها تحليلا(١). وفعلت هذا تحلة القسم، أي لم أفعل إلا بقدر ما حللت به قسمي أن أفعله ولم أبالغ. ومنه: "لا يموت لمؤمن ثلاثة أولاد فتمسه النار إلا تحلة القسم". يقول: بقدر ما يبر الله تعالى قسمه فيه من قوله: ﴿ وإن منكم إلا واردها ﴾ [مريم ٧١]، أي لا يردها إلا حل

بقدر ما يحلل القسم(٢)، ثم كثر هذا في الكلام حتى قيل لكل شيء لم يبالغ فيه تحليل؛ يقال ضربته تحليلا، ووقعت مناسم هذه الناقة تحليلا، إذا لم تبالغ في الوقع بالأرض. وهو في قول كعب بن زهير:

* وقعهن الأرض تحليل(٣) *

فأما قول امرئ القيس:

كبكر المقاناة البياض بصفرة

غذاها نمير الماء غير محلل

---

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس، ٢/٢٢

ففيه قولان: أحدهما أن يكون أراد الشيء القليل، وهو نحو ما ذكرناه من التحلة. والقول الآخر: أن يكون غير منزول عليه فيفسد ويكدر.

ويقال أحلت الشاة، إذا نزل اللبن في ضرعها من غير نتاج. والحلال: متاع الرحل. قال الأعشى:

وكأنها لم تلق ستة أشهر

ضرا إذا وضعت إليك حلالها(٤)

كذا رواه القاسم بن معن، ورواه غيره بالجيم.

والحلال: مركب من مراكب النساء. قال:

* بعير حلال غادرته مجعفل(٥) *

ورأيت في بعض الكتب عن سيبويه: هو حلة الغور، أي قصده. وأنشد:

حم

---

(١) في الأصل: "أحلها حلا"، والسياق يقتضي المشدد.

(٢) في الأصل "يحل القسم"، والسياق يأباه.

(٣) البيت بتمامه:

تخدى على يسرات وهي لاحقة

بأربع مسهن الأرض تحليل

(٤) الديوان ص٢٤ برواية: "جلالها". وأنشده في اللسان (حلل).

(٥) لطفيل بن عوف الغنوي. وصدره كما في ديوانه ٣٨ واللسان (حلل، جعفل) وأمالي القالي (١: ١٠٤): والمخصص (٧: ١٤٧):

* وراكضة ما تستجن بجنة *." (١)

---

(١) مقاييس اللغة، ١٧/٢

"ويُحكى أنه جَرَى بحضرةِ المتوكلِ أو وزيرِه ابن الزياتِ بين المازني وابن السكيت مسألةٌ: وهي ما وزنُ "نَكْتَلْ"؟ فقال يعقوب: نَفْتَل، فَسَخِر به المازني وقال: إنما وزنُها نَفْتَعِل، هكذا **رأيتُ في بعض الكتب**، وهذا ليس بخطأ؛ لأنَّ التصريفيين نَصُّوا على أنه إذا كان في الكلمة حَذْفٌ أو قَلْبٌ حُذِفَتْ في الزِّنَة وقُلِبَتْ فنقول: وزن بِعْتُ وقُمْتُ: فِعْتُ وفُعْتُ، ووزنُ عِد، عِل، ووزنُ ناءَ: فَلَعَ، وإن شِئْتَ أَتَيْتَ بالأصل، فعلى هذا لا خطأً في قوله: وزن نَكْتَلْ نَفْتَلْ، لأنه اعتبُر اللفظُ لا الأصلُ. **ورأيت في بعض الكتب** أنه قال: نَفْعَل بالعين وهذا خطأ مَحْضٌ، على أن الظاهر من أمرِ يعقوب أنه لم يُتْقِنْ هذا، ولو أَتْقَنَه لقال: وزنُه على الأصل كذا، وعلى اللفظ كذا، ولذلك أَنْحَى عليه المازني فلم يَرُدُّ عليه بشيء.

* ﴿ قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلاَّ كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظاً وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾

قوله تعالى: ﴿إِلاَّ كَمَآ أَمِنتُكُمْ﴾: منصوبٌ على نعتِ مصدرٍ محذوف أو على الحال منه، أي: ائتماناً كائتِماني لكم على أخيه، شبَّه ائتِمانَه لهم على هذا بائتمانِه على ذلك. و "من قبلُ" متعلق بـ"أَمِنْتُكم".

قوله: ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظاً﴾ قرأ الأخَوان وحفص "حافظاً" وفيه وجهان، أظهرهما: انه تمييز، قال أبو البقاء: "ومثل هذا يجوز إضافته". قلت: قد قرأ بذلك الأعمش: ﴿فاللَّه خيرُ حافظٍ﴾، واللَّه تعالى متَّصِفٌ بأنَّ حِفْظَه يزيد على حِفْظِ غيرِه كقولك: هو أفضل عالم. الثاني: أنه حال، ذكر ذلك الزمخشري وأبو البقاء وغيرُهما. قال الشيخ – وقد نقله عن الزمخشري وحده –: "وليس بجيد؛ لأنَّ فيه تقييدَ "خير" بهذه الحال". قلت: ولا محذورَ فإن هذه الحالَ لازمةٌ لأنها مؤكدةٌ لا مبيِّنَة، وليس هذا بأولِ حالٍ وَرَدَتْ لازمةً.

(٩/٤٠)

___." (١)

"تعالى و عن أبي حنيفة رحمه الله تعالى في رواية أخرى عليه الحد ليلا كان أو نهارا قال مولانا رضي الله عنه و ينبغي أن يكون الجواب على التفصيل إن لم تكن امرأته تزف إليه لا يحد و إن زفت قبل ذلك لا يصدق * رجل على رجل دين فمات الطالب و لم يؤد المديون الدين إلى وارثه قال محمد بن سلمة رحمه الله تعالى أرجو أن يكون الدين يوم القيامة للطالب * رجل له على رجل دين فبلغه أن الغريم قد مات فقال جعلته في حل أو قال وهبت منه الدين فإذا هو حي قال نصير رحمه الله تعالى يصير في حل و ليس

---

(١) الدر المصون في علم الكتاب المكنون، ص/٣٤٩٥

له أن يأخذه منه * رجل عليه دين و نسي حتى مات قال شداد رحمه الله تعالى إن كان الدين ثمن بيع أو قرض لا يؤاخذ به يوم القيامة و إن كان غصبا فهو مأخوذ * رجل مات و له ديون على الناس و لم يدع وارثا قال أبو القاسم رحمه الله تعالى يصدق المديون على صاحب الدين مقدار دينه * رجل مات و عليه دين و لم يعلم الوارث بدينه فأكل ميراثه قال شداد رحمه الله تعالى لا يؤاخذ الوارث بدينه * و إن علم الوارث بدين المورث كان عليه أن يقضي دينه من تركة المورث * و إن نسي الابن بعد ما علم فإنه لا يؤاخذ به في دار الآخرة * و كذا لو كانت وديعة فنسيها حتى مات لا يؤاخذ بها في دار الآخرة * رجل له على رجل دين و هما في الطريق فخرج اللصوص عليهما و قصدوا أخذ أموالهما فأعطى المديون صاحب المال دينه في تلك الحالة قال بعضهم له أن يؤدي دينه و ليس للطالب أن لا يأخذ * و قال الفقيه أبو الليث رحمه الله تعالى عندي للطالب أن لا يأخذ في تلك الحالة كمن كفل بنفس رجل فسلم الكفيل المكفول به في المفازة أو في موضع لا يقدر المكفول له على استيفاء حقه لا يصح تسليمه * رجل له أرض بجنب نهر للعامة فشق الماء حريم النهر حتى صار النهر في أرض الرجل فأراد الرجل أن ينصب في ذلك رحى في أرضه كان له ذلك * و إن أراد أن ينصب على نهر العامة لم يكن له ذلك * رجل مر في الطريق المحدث قال الفقيه أبو الليث رحمه الله تعالى إن علم أن صاحب الأرض أحدث الطريق في ملكه يباح له المرور في الطريق المحدث و إن لم يعلم يجوز فيه المرور حتى يعلم أنه غصب و قال نصير رحمه الله تعالى ليس للرجل أن يمر في أرض الغير إذا كان له طريق آخر و إن لم يكن له طريق آخر فله أن يمر فيها ما لم يمنعه فإذا منعه فليس له أن يمر فيها * و قال بعضهم إن كانت الأرض مزروعة أو مكروبة ليس له أن يمر فيها لأن المرور إذا كان يضر بالأرض لا يرضى به صاحب الأرض * و عن بعض المشايخ رحمهم الله تعالى قال رأيت في بعض الكتب عن أبي حنيفة رحمه الله تعالى أن الرجل إذا مر في أرض إنسان و لها حائط أو حائل لا يحل له فيها المرور و لا النزول فيها و إن لم يكن لها حائط أو حائل لا بأس بالمرور فيها * و عن أبي القاسم رحمه الله تعالى رجل خفي عليه الطريق فأراد أن يمشي في الأرض المزروعة قال يمشي فيها و لا يطأ الزرع و لا يفسد * رجل رش الماء في السوق قال أبو بكر رحمه الله تعالى لا رخصة فيه و إن كثر الغبار و قال أبو نصر الدبوسي رحمه الله تعالى لا بأس بذلك لتسكين الغبار و الزيادة على ذلك لا يحل * رجل رفع الطين أو التراب من طريق المسلمين قال أبو نصر رحمه الله تعالى إن رفع في أيام الوحل لتنقية الطريق رجوت أن يكون محتسبا بمنزلة إماطة الأذى عن طريق المسلمين * و إن أضر رفعه بالمارة لا يسعه ذلك * و إن كان لا يضر فلا بأس به * رجل وطئ بهيمة قال أبو حنيفة رحمه الله تعالى إن كانت

البهيمة للواطئ يقال له اذبحها و احرقها * و إن لم تكن البهيمة للواطئ كان لصاحبها أن يدفعها إلى الواطئ بالقيمة ثم يذبحها الواطئ و يحرق إن لم تكن مأكولة * فإن كانت مما يؤكل يذبح و لا يحرق * الهرة إذا كانت مؤذية قال محمد بن سلمة رحمه الله تعالى لا بأس أن يذبحها من غير أن يضربها و لا يؤذيها * صاحب البهيمة إذا لم ينفق على البهيمة يؤمر بالإنفاق عليها و يجبر * و عن أبي يوسف رحمه الله تعالى أنه يقال إلى صاحبها إما أن تنفق عليها أو تبيعها * رجل يتصدق على السؤال في المسجد الجامع قال أبو نصر العياضي رحمه الله تعالى من أخرجهم عن المسجد أرجو أن يغفر الله تعالى له بإخراجهم عن المسجد * و قال بعض العلماء رحمهم الله تعالى من تصدق بفلس في المسجد يوم الجمعة ثم تصدق ذلك بأربعين فلسا لم يكن كفارة الفلس الواحد * و عن خلف رحمه الله تعالى أنه قال لو كنت قاضيا لا أقبل شهادة من تصدق على السؤال في المسجد الجامع * رجل بنى في أرض الغصب مسجدا أو حماما أو حانوتا قال أبو يوسف رحمه الله تعالى لا بأس بالصلاة في هذا المسجد و لا يستأجر منه الحمام و الحانوت * رجل حفر بئر في فناء قوم روى ابن رستم رحمه الله تعالى أنه يؤمر بتسويته و لا يضمن النقصان * و لو هدم حائط المسجد أمر بتسويته و لا يضمن النقصان * و لو هدم حائط الدار رجل ملكا له أو حفر فيها بئر يضمن النقصان و لا يؤمر بالتسوية و لا ببناء الحائط * جنب اختضب." (١)

"أذيب أو سقط في البحر فإنه يحنث لتعذر الرد ، وبه تعلم ما في كلام الشارح (قوله إن لم أكن إلخ) كذا في البحر عن الصيرفية ، وقد راجعت عبارة الصيرفية فرأيت فيها إن أكن بدون لم وهو الصواب (قوله يحبس إلخ) سواء حبسه القاضي أو الولي لأن الحبس يسمى نفيا قال تعالى ﴿ أو ينفوا من الأرض ﴾ بحر عن الصيرفية أي فإن الآية محمولة عندنا على الحبس .

مطلب المحبوس ليس في الدنيا **ورأيت في بعض الكتب** أن الوزير ابن مقلة لما حبسه الراضي بالله سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة أنشد قوله : خرجنا من الدنيا ونحن من أهلها فلسنا من الموتى نعد ولا الأحيا إذا جاءنا السجان يوما لحاجة فرحنا وقلنا جاء هذا من الدنيا قوله لا يحنث في المختار) لأنه مسكن لا ساكن ، وشرط الحنث هو السكنى ، وإنما تكون السكنى بفعله إذا كان باختياره ، بخلاف إن لم أخرج ونحوه لأن شرط الحنث عدم الفعل والعدم يتحقق بدون الاختيار أفاده في الذخيرة وأفاده أيضا أن الخلاف فيما إذا أغلق الباب لا فيما إذا منع بقيد ، ومثله في البحر وصرح به في البزازية .

وحاصله أنه لو كان المنع حسيا لا يحنث بلا خلاف ولو كان بغيره لا يحنث أيضا في المختار ، وقيل لا

---

(١) قاضي إمام فخر الدين خان، ٣/٢٦٤

يحنث .

مطلب الأصل أن شرط الحنث إن كان عدميا وعجز يحنث (قوله والأصل إلخ) عبارة ابن الشحنة والأصل أن شرط الحنث إن كان عدميا وعجز عن مباشرته فالمختار الحنث ، وإن كان وجوديا وعجز فالمختار عدم الحنث .

ا هـ .

قلت : والظاهر أن الضمير في قوله." (١)

"ينبغي حذفه قوله بمزهق أو بسراية كان ينبغي أن يقول مثلا أو غيره إذ السراية لا تنحصر في الجرح بل تحصل من غيره كضرب ورم البدن وأدى للموت ا هـ سم على حج قوله والكف من سقوطها كما اختاره الإمام قضيته أنه لا يعتبر أول السراية إلى الكف قوله وغيره كان ينبغي وغيرهما أي الإمام والغزالي قوله أو ببعض سنة الباء بمعنى في قوله لأن قرينة السياق دالة عليه أي وما دل عليه دليل دلالة ظاهرة يكون كالملفوظ قوله واجبها عبارة التحفة واجبه أي البعض قوله لا يقال حذف فاعل سقط قال سم الفاعل لا يحذف وإن دل عليه دليل إلا فيما استثني فالوجه أن يقال إن فاعله ضمير واجبه وقد دل عليه السياق ويكفي في إضمار الفاعل دلالة السياق وفرق بين الإضمار والحذف قوله على أنه يصح كونه ضمير من قد يقال إن هذا هو الأولى مع أنه ظاهر المتن فلم قدم ذاك وأتى بهذا قوله والأقرب أن معتق بعضه يعقل عنه يعني حيث لم تكن له عصبة من النسب وإلا فهي مقدمة على المعتق ا هـ

وفي كلام سم على منهج بعد كلام ذكره **ورأيت في بعض الكتب** من نصفه حر ونصفه رقيق إذا جنى خطأ فنصف الدية على عاقلته ا هـ وهي صريحة فيما قلناه قوله وامرأة وخنثى أي لا يعقلان قوله والإسلام عبارة التحفة والتوافق في الدين." (٢)

"ويجبر الآبي على كربه ((كريه))) لأنه منفعة لهم على الخصوص فتكون مؤنته عليهم ولأن الغرم بالغنم ومن أبى منهم يجبر وقيل إن كان خاصا لا يجبر

والفاصل بين الخاص والعام أن ما يستحق به الشفعة خاص وما لا يستحق به الشفعة عام

وبيان الفرق أنه إذا كان عاما فيه دفع ضرر عام فيجبر الآبي بخلاف الخاص وفي الضرر الخاص يمكن الدفع بأن يرفع الأمر إلى القاضي فينفق ويرجع على المتمتع ((الممتنع))) بحصتهوبه أخذ

---

(١) رد المحتار، ٤١٤/١١

(٢) حاشية المغربى على نهاية المحتاج، ٣٧٢/٧

الفقيه أبو جعفر وصار كزرع بين شريكين امتنع أحدهما من الانفاق فلصاحبه أن ينفق عيه بأمر القاضي ويرجع عليه بما أنفق فكذا هذا كذا في المحيط بخلاف ما إذا كان عاما لا يمكن الرجوع لكبرهم فيجبر الممتنع ولا يقال في كراء النهر الخاص إحياء له حقوق أهل الشفعة فيكون في تركه ضرر عام لأنا نقول لا جبر لأجل أهل الشفعة ألا ترى أن أهل النهر لو امتنعوا عن كربه (((كريه))) لا يجبرهم في ظاهر الرواية لأنهم امتنعوا عن عمارة أراضيهم

ولو كان حق أهل الشفعة معتبرا لا جبر

وفي التتارخانية معناه أن ينقلوا نصيب الآبي من الشرب مقدار ما يبلغ (((يبلغ))) قيمة ما أنفق

قال رحمه الله (ومؤنة كرى النهر المشترك عليهم من أعلاه فإذا جاوز أرض رجل بريء) وهذا عند الإمام

وقالا المؤنة عليهم جميعا من أول النهر إلى آخره بالحصص لأن كل واحد منهم ينتفع بالأسفل كما ينتفع بالأعلى لأنه يحتاج إلى مسيل الفاضل من الماء فإنه إذا سد عليه فاض الماء إلى أرضه فيفسد زرعه ولأن كل واحد منهم ينتفع بالنهر من أوله إلى أسفله

وفي الخانية الفتوى على قول الإمام

واختلف أئمتنا في الطريق الخاص إذا احتاج الإصلاح قيل هو على هذا الاختلاف عند الإمام عليه المؤنة إلى أن يجاوز أرضه وعندهما من أوله إلى آخره قال الهندواني **ورأيت في بعض الكتب** إذا انتهى إلى دار رجل يدفع له مؤنة الإصلاح بالإجماع فيحتاج إلى الفرق بين الطريق والنهر

والفرق أن صاحب الدار لا يحتاج إلى النظر فيما جاوز داره بوجه من الوجوه بخلاف صاحب الأرض

وللإمام أن مؤنة الكرب على من ينتفع به ويسقي منه أرضه فإذا جاوز أرضه بريء فلا يلزم شيء في مؤنة ما بقي ألا ترى أن من له الحق يسيل الماء على سطح جاره لا يلزمه شيء من عمارته باعتبار مسيل الماء فيه ولأنه يتمكن من دفع الضرر عنه بسد فوة (((فوهة))) النهر من أعلاه إذا استغنى عنه

وزعم بعضهم أن الكرب إذا انتهى إلى فوه (((فوهة))) أرضه من النهر فليس عليه شيء من المؤنة والأصح أنه يمكنه مؤنة الكرب إلى أن يجاوز أرضه لأن له أن يأخذ الفوه (((شربه))) من أي موضع شاء من أرضه من أعلاها أو أسفلها

قال رحمه الله (ولا كراء على أهل الشفعة) لأنهم لا يحصون

قوله لا يحصون لأن أهل الدنيا كلهم لهم حق الشفعة ومؤنة الكرى لا تجب على قوم لا يحصون

ولأن المراد من حفر الأنهار ونحوها سقي الأراضي وأهل الشفعة اتباع والمؤنة تجب على الأصول دون الاتباع ولهذا لا يستحقون به الشفعة

قال رحمه الله (وتصح دعوى الشرب بغير أرض) وهذا استحسان

والقياس أن لا يصح لأن شرط صحة الدعوى إعلام المدعي به في الدعوى والشهادة والشرب مجهول جهالة لا تقبل الإعلام ولأنه يطلب من القاضي أن يقضي له بالمدعي به إذا ثبت دعواه بالبينة والشرب لا يحتمل التملك (((التمليك))) بدون الأرض فلا يستمع القاضي فيه الدعوى والخصومة كالخمر في حق المسلمين

وجه الاستحسان أن الشرب مرغوب فيه ويمكن أن يملكه بغير الأرض بالإرث والوصية وقد تباع الأرض ويبقى الشرب وحده فإذا استولى عليه رجل ظلما كان له أن يرفع يده عنه بإثبات حقه بالبينة

رجل له أرض وللآخر نهر يجري فيها فأراد رب الأرض أن يمنع النهر أن يجري في أرضه لم يكن له ذلك ويترك على حاله لأن موضع النهر في يد رب النهر وعند الاختلاف القول قوله في أنه ملكه فإذا لم يكن في يده ولم يكن جاريا فيها فعليه البينة أن هذا النهر له وأن مجراه في هذه الأرض بسوقه (((يسوقه))) إلى أرض له ليسقيها فيقضي له لإثباته بالحجة ملك الرقبة إذا كانت الدعوى فيه أو حق الآخر في إثبات المجرى من غير دعوى الملك وهذا نصيب الماء في كل نهر أو مجرى على سطح أو الميزاب أو المشي في دار غيره فالحكم فيه كالشرب كما قدمنا ا هـ

قال رحمه الله (نهر بين قوم اختصموا في الشرب فهو بينهم على قدر أراضيهم) لأن المقصود بالشرب سقي الأرض والحاجة إلى ذلك تختلف بقلة الأراضي وكثرتها والظاهر أن حق كل واحد مقدار أراضيه (((أرضه))) بخلاف الطريق إذا اختلف فيه الشركاء حيث يستوون في ملك رقبة الطريق

ولا يعتبر في ذلك سعة الدار وضيقها لأن المقصود

". (١)

" معيبا وحلف الغاصب وتفرقا قبل قبض البدل القياس أن يبطل الصلح وفي الاستحسان لا يبطل ولو كان المغصوب قائما في يد الغاصب وهو مقربة ولا يمنع المالك من أخذه لا يجوز الصلح قياسا واستحسانا

---

(١) البحر الرائق، ٨/٢٤٤

كذا في الذخيرة ولو اشترى المودع الوديعة بخلاف جنسها وتفرقا قبل أن يجدد المودع قبضا في الوديعة يبطل الصرف كذا في النهر الفائق وإن أودعه سيفا محلى فوضعه في بيته ثم التقيا في السوق فاشتراه منه بثوب وعشرة دراهم ودفع إليه الثوب والعشرة ثم افترقا انتقض البيع كله وكذلك لو اشتراه بسيف محلى فدفعه إليه ولم يقبض الوديعة من بيته حتى افترقا وإن تقابضا قبل أن يتفرقا جاز وكانت فضة كل واحد منهما بفضة الآخر وحمائل كل واحد منهما ونصله بحمائل الآخر ونصله كذا في الحاوي فإن كان في الحلية فضل أضيف الفضل إلى الحمائل من الجانب الآخر والنصل كذا في المبسوط وإذا كان لرجل عند آخر ألف درهم وديعة فاشترى المودع بها مائة دينار وأجاز صاحب الوديعة الشراء قبل أن يتفرقا جاز وله على المستودع ألف درهم وإن أجازه بعدما افترقا فإن شاء صاحب الوديعة ضمن ماله المستودع ويجوز البيع وإن شاء ضمنه بائع الدينار وانتقض الصرف كذا في المحيط في فصل المتفرقات وإذا كانت الدراهم والدنانير وديعة عند رجل فباع الدراهم بالدنانير والدنانير بالدراهم وتقابضا فجاء صاحبها فأخذها من البائع فإن كانا لم يتفرقا كان عليه مثلها وإن كانا قد افترقا يبطل الصرف إذا أخذها المستحق وإن لم يقبضها المستحق ولكنه أجاز البيع جاز ذلك عندنا وكان له مثلها على المودع كذا في المبسوط الفصل السادس في الصرف في دار الحرب دخل مسلم أو ذمي دار الحرب بأمان أو بغيره وعقد مع الحربي عقد الربا بأن اشترى درهما بدرهمين أو درهما بدينار إلى أجل معلوم أو باع منهم خمرا أو خنزيرا أو ميتة أو دما بمال فذلك كله جائز عند الطرفين وقال القاضي لا يجوز بين المسلم والحربي ثمة إلا ما يجوز بين المسلمين كذا في جواهر الأخلاطي والصحيح قولهما **ورأيت في بعض الكتب** أن هذا الاختلاف فيما إذا اشترى منهم درهمين بدرهم أما إذا اشترى منهم درهما بدرهمين فلا يجوز بالاتفاق كذا في المحيط وإن دخل حربي إلينا بأمان فباعه مسلم على هذا الوجه لم يجز كذا في محيط السرخسي ولو عاقد المسلم الذي دخل بأمان رجلا أسلم هناك ولم يهاجر فباع درهما بدرهمين لم يجز كذا في الحاوي وأما التاجران من المسلمين في دار الحرب فلا يجوز بينهما إلا ما يجوز في دار الإسلام كذا في المبسوط أسلم حربيا في دار الحرب فتبايعا بالربا أو الخمر أو الخنزير ونحوه جاز ويكره عند أبي حنيفة رحمه الله تعالى وعندهما لا يجوز ويرد الفضل وإن خرجا إلينا قبل التقابض بطل العقد وصح فيما كان مقبوضا كذا في محيط السرخسي ولو أن تاجرا من المسلمين أعطى رجلا من أهل الحرب ألف درهم بألف درهم نسيئة كان جائزا كذا في المحيط

." (١)

" على رب الأرض مائة درهم لأحدهما بإقرار رب الأرض له وللآخر بإثباته بالبينة ولا يلتفت إلى بينة رب الأرض في هذا الوجه ولا في الوجه الأول مع بينتهما ولو كان دفع الأرض إليهما على أن يزرعاها ببذرهما على أن ما خرج منه فلأحدهما بعينه نصفه ولرب الأرض عليه أجر مائة درهم وللآخر ثلث الزرع ولرب الأرض سدس الزرع فهذا جائز لأنه آجر الأرض منهما نصفها من أحدهما بمائة درهم ونصفها من الآخر بثلث ما يخرجه ذلك النصف وكل واحد من هذين العقدين صحيح عند الانفراد فإن زرعاها فلم تخرج الأرض شيئا فقال كل واحد منهما لرب الأرض أنا شرطت لك سدس الزرع فالقول قول كل واحد منهما فيما زعم أنه شرط له وإن أقاما البينة أخذ ببينة رب الأرض ولو أخرجت زرعا كثيرا فادعى كل واحد منهما أنه هو الذي شرط له الأجر وادعى صاحب الأرض على أحدهما الأجر وعلى الآخر سدس الزرع فإنه يأخذ الأجر من الذي ادعاه عليه لتصادقهما على ذلك وفي حق الآخر رب الأرض يدعي عليه استحقاق بعض الخارج وهو منكر فالقول قوله ويقال لرب الأرض أقم البينة على السدس الذي ادعيته وإن أقاما البينة أخذ ببينة رب الأرض ولو دفع رجلان إلى رجل أرضا على أن يزرعها ببذره وعمله فما خرج منه فثلثاه للعامل والثلث لأحد صاحبي الأرض بعينه وللآخر مائة درهم أجر نصيبه فهو جائز فإن أخرجت زرعا كثيرا فادعى كل واحد من صاحبي الأرض أنه صاحب الثلث فالقول قول المزارع فإن أقام كل واحد من صاحبي الأرض البينة كان لكل واحد منهما ثلث الخارج ولا يلتفت إلى بينة المزارع مع بينتهما رجل دفع إلى رجلين أرضا وبذرا على أن لأحدهما بعينه ثلث الخارج وللآخر عشرون قفيزا من الخارج ولرب الأرض ما بقي فزرعاها فأخرجت الأرض زرعا كثيرا فالثلث للذي سمي له الثلث والثلثان لصاحب الأرض وللآخر أجر مثله أخرجت شيئا أو لم تخرج لأن عقد المزارعة بينه وبين الذي شرط له الثلث صحيح وبينه وبين الآخر فاسد ولكن عقده مع أحدهما معطوف على العقد مع الآخر بحرف العطف وليس بمشروط فيه فإن اختلفا في الذي شرط له الثلث منهما فالقول قول رب الأرض وإن أقاما البينة كان لكل واحد منهما ثلث الخارج لأحدهما بإقرار رب الأرض له به وللآخر بإثباته بالبينة ولو لم تخرج الأرض شيئا كان القول قول رب الأرض في الذي له أجر مثله منهما فإن أقام كل واحد منهما البينة على ما ادعى فالبينة بينة رب الأرض لأن رب الأرض ببينته يثبت شرط صحة العقد بينه وبين الآخر والآخر ينفي ذلك ببينته والبينة التي تثبت شرط صحة العقد تترجح ولو كان صاحب الأرض اثنين على مثل هذا الشرط دفعاه إلى واحد والبذر من قبل المزارع كان في

---

(١) الفتاوى الهندية، ٢٤٨/٣

جميع هذه الوجوه مثل ما بينا من حكم صاحب الأرض حين كان البذر من قبله لاستوائهما في المعنى كذا في المبسوط والله أعلم الباب الثالث والعشرون في زراعة الأراضي بغير عقد رجل دفع إلى رجل أرضا مزارعة سنة ليزرعها المزارع ببذره فزرعها ثم زرعها بعد مضي السنة بغير إذن صاحبها فعلم صاحبها بذلك قبل نبات الزرع أو بعده فلم يجز قالوا إن كانت العادة في تلك القرية أنهم يزرعون مرة بعد أخرى من غير تجديد العقد جاز وكان الخارج بينهما على ما شرطا في العقد فيما مضى وحكي عن الشيخ الإمام إسماعيل الزاهد أنه قال ذكر في الكتاب هذه المسألة وقال بأنه لا يجوز وعلى المزارع أن يرفع من الخارج مقدار أجر عمله وثيرانه وبذره ويتصدق بالباقي كما في الغصب قال ومشايخنا رحمهم الله تعالى كانوا يفتون بجواب الكتاب إلا أني **رأيت في بعض الكتب** أنه يجوز وهو كما لو دفع أرضه إلى رجل وقال دفعت إليك هذه الأرض على ما كانت مع فلان عام أول فإنه يجوز فهذا أولى قال مولانا رضي الله عنه وعندي إن كانت الأرض معدة لدفعها مزارعة ونصيب العامل من الخارج معلوم عند أهل ذلك الموضع ولا يختلف فزرعها رجل جاز استحسانا وإن لم تكن الأرض معدة لدفعها مزارعة أو لم يكن نصيب العامل من الخارج

---

(١) ".

_____"

وإذا قالت بالفارسية: «خويشتن خريدم ارتو»، فقال الزوج: «فروحتم» تقع تطليقة بائنة ولا ترد ما قبضت من المهر، وإن لم تقبض برىء الزوج من المهر لأن الخلع أوجب البراءة، هكذا ذكر الصدر الشهيد رحمه الله في «واقعاته»، **ورأيت في بعض الكتب** أن في براءة الزوج عن المهر إذا لم يذكر في الخلع شيئا روايتان عن أبي حنيفة رحمه الله، والأصح هو البراءة، وفي «شرح الكافي»: أن الزوج يبرأ عن المهر عند أبي حنيفة رحمه الله، وإن ما يذكر في الخلع شيئا، ولا تسقط نفقة العدة إلا بالذكر، وإذا قال لها خالعتك ونوى الطلاق يقع الطلاق، ولا يبرأ الزوج عن المهر بالاتفاق.

وإذا قال لها بالعربية: بعت لا يقع الطلاق ما لم يقل اشتريت، وإذا قالت اشتريت حتى يقع الطلاق، فحكم المهر ما ذكرنا فيما إذا قال لها بالفارسية «مروحيمت» هذا إذا خالعها، ولم يذكر المال أصلا.

وأما إذا خالعها على جميع مهرها والمهر مقبوض وذلك ألف درهم والمرأة مدخول بها كان عليها رد ما قبضت من المهر، أو رد مثله وإن كان غير مقبوض سقط عن الزوج جميع المهر؛ لأنه وجب للزوج عليها

---

(١) الفتاوى الهندية، ٥/٢٧٢

ألف درهم لأنه خالعها على مهرها ومهرها ألف درهم، وكان للمرأة على الزوج مثل ذلك فيلتقيان قصاصا، ولا يتبع أحدهما صاحبه بشيء من المهر بسبب الطلاق في الفصلين جميعا، وإن لم يكن الزوج دخل بها فخالعها والمهر مقبوض، فالقياس أن يرجع الزوج عليها بألف وخمسمائة، ألف بدل الخلع وخمسمائة نصف المهر بالطلاق قبل الدخول، وفي الاستحسان يرجع عليها بألف درهم لا غير خمس مائة بدل الخلع وخمس مائة بالطلاق قبل الدخول، وإن كان المهر غير مقبوض فالقياس أن يرجع الزوج عليها بخمسمائة.." (١)

"**ورأيت في بعض الكتب** أن هذا الاختلاف فيما إذا اشترى منهم درهما بدرهمين لا يجوز بالاتفاق؛ لأن فيه إعانة لهم بقدر الدرهم الزائد ومبرة في حقهم بذلك.." (٢)

"التادلي بعد أن ذكر كلام سند المتقدم عن القرافي في شرح الرسالة لعبد الصادق ونقله من كتاب جمل من أصول العلم لابن رشد قال : وسألته عمن حج بمال حرام أترى أن ذلك مجزئ ويغرم المال لأصحابه ؟ قال : أما في مذهبنا فلا يجزئه ذلك وأما في قول الشافعي فذلك جائز ويرد المال ويطيب له حجه ، وقول الشافعي هذا أقرب إلى مذهب مالك بن أنس انتهى .

ونقله ابن فرحون في مناسكه وقال : قلت : **ورأيت في بعض الكتب** لم يحضرني الآن عن مالك عدم الإجزاء وأنه وقف في المسجد الحرام ونادى أيها الناس من عرفني فقد عرفني ومن لا يعرفني فأنا مالك بن أنس من حج بمال حرام فليس له حج أو كلام هذا معناه انتهى ، فظاهر هذه الرواية عدم الإجزاء كقول الإمام أحمد ، وحملها على عدم القبول بعيد وفي مناسك ابن معلى قال العلماء : يجب على مريد الحج أن يحرص أن تكون نفقته حلالا لا شبهة فيها لقوله تعالى ﴿ وتزودوا ﴾ الآية ، وقوله ﴿ إنما يتقبل الله من المتقين ﴾ ﴿ ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ﴾ ولقوله عليه السلام ﴿ إن الله - تعالى - طيب لا يقبل إلا الطيب ﴾ الحديث المشهور في مسلم قال القرطبي في شرح هذا الحديث : قوله صلى الله عليه وسلم يطيل السفر أشعث أغبر يفيد أنه سفر الحج ؛ لأن الصفتين المذكورتين غالبا لا يكونان إلا فيه قالوا : فلو حج بمال حرام فحجه صحيح عند مالك والشافعي وأبي حنيفة ، وقال ابن حنبل : لا يجزئه وحجه باطل

---

(١) المحيط البرهاني للإمام برهان الدين ابن مازة، ٦٣٧/٣

(٢) المحيط البرهاني للإمام برهان الدين ابن مازة، ٤٥٦/٧

.

(تنبيه) قال بعض الفضلاء : المنفق من غير حل في." (١)

"(فائدة) تتضمن بيان مقدار الأدب في ألفاظ وأفعال موجبة للأدب قال في المسائل الملقوطة قال في المفيد ومن قال لرجل : يا مجرم .

ضرب خمسة وعشرين ومن تكلم في عالم بما لا يجب فيه حد ضرب أربعين سوطا ومن تكلم في أحد بما لا يمكن فيه ولم يأت ببينة .

وكل من آذى مسلما بلفظ يضره ويقصد به أذاه فعليه في ذلك الأدب البالغ الرادع له ولمثله يقنع رأسه بالسوط أو يضرب بالدرة ظهره .

وذلك على قدر القائل أو سفاهته وقدر المقول فيه ومن لم ينصف الناس في أعراضهم لم ينصفهم في أموالهم انتهى .

ثم قال : وإذا قال الرجل لصاحبه الله أكبر عليك .

فإنه يعزر .

إلا أن يعفو عنه خصمه قاله في الدرر الملتقطة للدميري وهذا من الشافعية ثم قال وإذا شتم الأخ أخاه فإن كان الأخ كبيرا وكان شتمه لأخيه على وجه الأدب لم يحد من الطرر قال : **ورأيت في بعض الكتب** سئل بعضهم عن شاتم عمه أو خاله فقال لا أرى عليه في ذلك شيئا وذلك إذا كان على وجه الأدب انتهى .

والمسألة في سماع ابن القاسم ونقلها ابن عرفة فراجعها في كتاب القذف وقال في المسائل الملقوطة عن المفيد أيضا ومن تكلم بكلمة لغير موجب في أمير من أمراء المسلمين لزمته العقوبة الشديدة ويسجن شهرا ومن خالف ما حكم به القاضي ولم يرض بالحكم عوقب إلا أن يتبين الجور .

ومن خالف أميرا أو كسر دعوته لزمته العقوبة بقدر اجتهاد الإمام ومن استهان بدعوة القاضي أو الحاكم ولم يجب ، ضرب أربعين .

وإذا ارتفع الكلام بين." (٢)

"ورجحه ابن رشد فينبغي أن لا يسقط وأن يحل بموت الزوج فتأمله .

(فرع) وللزوج الرجوع على المرأة بما أنفقه بالشرط على ولدها أو على من لا يلزمه نفقته من خدمها إلى

---

(١) مواهب الجليل في شرح مختصر الشيخ خليل، ١٨١/٧

(٢) مواهب الجليل في شرح مختصر الشيخ خليل، ٧٨/١٨

حين فسخ النكاح أو تصحيحه بصداق المثل قاله ابن رشد في الرسم المذكور .

(فرع) قال البرزلي وفي الطرر **رأيت في بعض الكتب** إن كان الطوع بنفقة الولد لمدة أمد الزوجية فإنما يلزم الزوج الإنفاق على الربيب ما دام صغيرا لا يقدر على الكسب ا هـ وجزم به ابن سلمون ونصه ، وإن كان الطوع لمدة الزوجية فإنما يلزم الزوج الإنفاق على الربيب ما دام صغيرا لا يقدر على الكسب قلت وهذا خلاف ظاهر ما تقدم عن مختصر المتيطية ومعين الحكام ويحتمل أن يكون هذا تقييدا له وهو الظاهر فتأمله والله أعلم .." (١)

"الأولاد تعلق بالطوع فليس لأمهم إسقاطه وإن كانت وصيا عليهم ؛ لأن وصي المحجور لا يفوت عليه مالا بغير عوض ، وقد نص ابن رشد في النوازل على أن المرأة ليس لها أن تسقط عن زوجها من الشروط إلا ما لا يتعلق به حق لغيرها كتطليق نفسها إن تزوج عليها ، فإن كان الشرط أن الداخلة عليها طالق فهذا لا يسقط لأنه تعلق به حق الله تعالى .

من (الفائق) للونشريسي وانظر إذا تطوع بنفقة ولدها هل تنقطع ببلوغه عاقلا قادرا على التكسب كما تنقطع بذلك عن الأب أو لا تنقطع إلا بموت أحد الزوجين أو فراقهما لقول الموثق في وثيقة الالتزام مدة الزوجية بينه وبين أمه : قال الحطاب في الالتزام (فرع) قال ابن زرب : وفي الطرر : **رأيت في بعض الكتب** إن كان الطوع بنفقة الولد لمدة الزوجية فإنما يلزم الزوج الإنفاق على الربيب ما دام صغيرا لا يقدر على الكسب ا هـ .

وجزم به ابن سلمون ونصه : وإن كان الطوع لمدة الزوجية فإنما يلزم الزوج الإنفاق على الربيب ما دام صغيرا لا يقدر على الكسب ا هـ .

(الحطاب) وهذا خلاف ما تقدم عن مختصر المتيطية معين الحكام ، قال في معين الحكام : إذا طاع الزوج بنفقة ابن امرأته أمد الزوجية جاز بعد ثبوت العقد ، وإن كان ذلك في العقد لم يجز للغرر ويفسخ قبل البناء ويثبت بعده بصداق المثل ويبطل الشرط .." (٢)

"يخرج من الرضاع وحينئذ يكون عليه السكنى ، كذلك **رأيت في بعض الكتب** يريد أن مسكن الرضيع مدة الرضاع إنما هو في حجر الأم في الغالب .

(١) فتح العلي المالك (فتاوى ابن عليش)، ٥١/٢

(٢) شرح ميارة، ١٠٦/٢

ا هـ .

وجملة " والرضاع ما انقضى " حالية ، و " ما " نافية .." [(١)]

"قبل قبضها ، وأما إذا كان شرطا في العقد وأجزناه إذا كان لمدة معلومة على ما قال أبو بكر بن عبد الرحمن ورجحه ابن رشد فينبغي أن لا يسقط وأن يحل بموت الزوج فتأمله .

(فرع) وللزوج الرجوع على المرأة بما أنفقه بالشرط على ولدها أو على من لا يلزمه نفقته من خدمها إلى حين فسخ النكاح أو تصحيحه بصداق المثل قاله ابن رشد في الرسم المذكور .

(فرع) قال البرزلي وفي الطرر **رأيت في بعض الكتب** إن كان الطوع بنفقة الولد لمدة أمد الزوجية فإنما يلزم الزوج الإنفاق على الربيب ما دام صغيرا لا يقدر على الكسب ا هـ وجزم به ابن سلمون ونصه ، وإن كان الطوع لمدة الزوجية فإنما يلزم الزوج الإنفاق على الربيب ما دام صغيرا لا يقدر على الكسب قلت وهذا خلاف ظاهر ما تقدم عن مختصر المتيطية ومعين الحكام ويحتمل أن يكون هذا تقييدا له وهو الظاهر فتأمله والله أعلم .

(فرع) قال البرزلي في مسائل الأنكحة إن اختلف الزوج وزوجته في بنيها من غيره فقالت شرطت عليك الإنفاق وأنكر ذلك فإنه يحلف قاله ابن الهندي ولابن فتحون لا يمين عليه ا هـ . قلت إن ادعت أنه شرط في العقد فلا يمين عليه إلا على القول بصحة العقد مع ذلك إذا كان لمدة معلومة وإلا فهي مدعية لفساد النكاح فالقول قول الزوج كما قالوا فيما إذا ادعت أنه تزوجها في العدة ، وقال الزوج بعدها إلا أن يشهد العرف لها فيكون القول قولها كما سيأتي قريبا عن ابن رشد أن القول قول من ادعى الشرط لشهادة العرف له ، وإن ادعت عليه أنه التزم ذلك بعد العقد فيجرى الخلاف في توجه اليمين على الخلاف فيمن ادعى على شخص أنه وهبه . قال ابن عرفة وفي إيجاب دعوى هبة معين يمين الواهب قول الجلاب ، ونقل الباجي عن ظاهر المذهب قائلا دعوى المدين هبة رب الدين دينه توجب يمينه اتفاقا قال ابن عرفة ، قلت : وكذا هبة ما بيده من معين ا هـ . قلت وقد صرح بذلك ابن الرعبني في كتاب الدعوى والإنكار ونصه من ادعى على أحد من الناس هبة له أو صدقة أو عطية أو نحلة أو عارية إلى أجل أو سكنى أو عمرى أو حبسا أو إخدام عبد أو وصية وكان ذلك بيد المدعى عليه وعجز المدعي عن إثبات البينة على دعواه فلا يمين على المدعى عليه إذا أنكر وإذا كانا أخوين أو خليطين بأي خلطة كانت ، وإن كانت هذه الأشياء بيد المدعي بما ذكرنا وقام وصاحبها يريد أخذها فادعى عليه المدعي بما ذكرناه فأنكر المدعى عليه ذلك

---

(١) شرح ميارة، ١٥٨/٢

حلف وأخذ متاعه استحسانا والقياس أنه أولى بمتاعه بلا يمين ، وقد قال مالك في رجل تصدق على رجل بنخل وهي مثمرة فادعى المتصدق عليه الثمرة وقال المتصدق إنما تصدقت بالأصل دون الثمرة فأراد أن يحلف على ذلك فقال القول قوله واليمين عليه فإن أبى أن يحلف حلف المدعي وكانت له دعواه فإن أبى أن يحلف لم يكن له شيء ورد إلى ربه انتهى . وما ذكره في مسألة الصدقة مخالف لما في كتاب الصداق من المدونة ونصه ومن تصدق على رجل بحائطه وفيه ثمرة فزعم أنه لم يتصدق بثمرتها فإن كانت الثمرة يوم الصدقة لم تؤبر فهي للمعطي ، وإن كانت مأبورة فهي للمعطى ويقبل قوله ، ولا يمين عليه ، وكذا الهبة وذكر أبو الحسن مواضع من المدونة تقتضي الخلاف في توجه اليمين ثم قال في آخر كلامه فيقوم القولان في دعوى المعروف من الكتاب وهما منصوصان في دعوى الهبة ا هـ . وتفصيل الرعيني وابن عرفة ظاهر فليعتمد والله أعلم .." (١)

"١٤ - حدثنا محمد بن الحسين النخاس، نا عبد الله بن زيدان، نا هناد بن السري، نا محمد بن عبيد بن عامر بن السمط، عن حبيب بن أبي ثابت، عن أبي الطفيل، قال: جاء رجل إلى علي ، فقال: ما ذو القرنين؟ فقال: ﷺ«أما أنه لم يكن ذا قرنين، ولكنه عبد وأحب الله، فأحبه الله، وناصح الله فنصحه الله، فأمر قومه بتقوى الله، فضربوه على قرنه، فسمي ذا القرنين»

حدثنا أحمد بن إبراهيم، نا عبيد الله بن عبد الرحمن، نا زكريا، نا الأصمعي، قال: قال أبو عمرو بن العلاء لا يكون الهمز إلا في ثلاثة أحرف: الياء والواو والألف

وبه قال أبو عمرو: لغة قضاعة تجعل مكان السين ثاء قل أعوذ برب الناث ملك الناث لأن مخرج السين والثاء واحد

حدثنا أحمد بن إبراهيم، نا إبراهيم بن محمد بن عرفة الأزدي، قال: سمعت أحمد بن يحيى، يقول: قيل لأعرابي: أتعرف الأشهر الحرم؟ قال: نعم ثلاثة سرد ، وواحد فرد يعني بالفرد رجبا، قال: وكانت العرب تعظمه، ويقال: رجبت الرجل إذا أكرمته

حدثنا أحمد بن إبراهيم، نا إبراهيم بن محمد بن عرفة، أخبرني أحمد بن يحيى، عن محمد بن سلام، قال: قلت ليونس: افرق لي بين المسكين والفقير، فقال الفقير الذي يجد القوت ونحوه، والمسكين الذي ليس له شيء، قال إبراهيم: الفقير عند العرب المحتاج ، قال الله عز وجل: ﴿يأيها الناس أنتم الفقراء إلى الله﴾ [فاطر: ١٥] أي المحتاجون إليه

---

(١) فتاوى ابن عليش، ١/ ٢١٠

حدثنا عبد الله بن أحمد بن عبد الله التمار، أجازنا من أصله ، نا الحسين بن أحمد بن بسطام ، بالأبلة، نا إبراهيم بن سعيد الجوهري، نا أبو معاوية، قال: سمعت الأعمش، يقول: أدركت الناس يسمونهم الكذابين، يعني الشيعة، قال الأعمش: لا عليكم ألا تخبروا بهذا عني، فإني لا آمنهم أن يقولوا وأخذنا سليمان مع امرأة مرة

كتب إلي أبو نصر محمد بن أحمد بن إبراهيم الجرجاني، قال: سمعت أبا علي محمد بن إبراهيم الكاتب النيسابوري ، بجرجان، قال: **رأيت في بعض الكتب**، أن بعض الناس تقدم إلى علي بن عيسى وهو يركض، فقال له: سألتك بجلال الله ألا وقفت، فالتفت إليه، وقال: لم استوقفتني يا رجل وقد استدعاني الخليفة في مهم؟ فقال لا تعتذر بشغلك لا أراني الله يوم فراغك ، فاستحسن ذلك منه، وأمر بقضاء حاجته." (١)

"٤٠ – أخبرنا أحمد بن عمر الخطيب، نا محمد بن الفرخان، نا أبي، نا إسحاق بن محمد، نا سعيد بن مسلم، عن أبيه، عن علي بن أبي طالب، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﷺ" أمان لأمتي من الغرق إذا ركبوا الفلك، أن يقولوا: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه﴾ [الزمر: ٦٧] ، ﴿بسم الله مجراها ومرساها إن ربي لغفور رحيم﴾ [هود: ٤١] "

سمعت أبا عبد الرحمن محمد بن الحسين المكي، يقول: كان رجل عبد يقال له عباد بن الأسود، وكان مجاورا بمكة ثلاثين سنة فما رئي أكل ولا شرب، غير أنه كان وقت إفطاره يخرج شيئا من جيبه ينظر فيه ويضحك ويرده إلى جيبه، فلما مات، فتشوا جيبه، وإذا فيه قرطاس مكتوب عليه، بسم الله الرحمن الرحيم، قال: فتعجبوا من ذلك، وإذا بهاتف يهتف بهم من البيت: لا تتعجبوا، فإنه بالتسمية أطعمناه، وبالألوهية قبلناه، وقفناه، وبالرحيمية عفوناه

سمعت أبا سعيد الحسن بن علي الواعظ، يقول: سمعت محمد بن الحسن الواعظ، يقول: سمعت أبي، يقول: **رأيت في بعض الكتب**، أن الله تعالى يظهر على كف ملك الموت بسم الله الرحمن الرحيم بخط من النور، ثم أمر أن يبسط كفه للعارف في وقت وفاته، ويوريه تلك الكتابة، فإذا رأتها روح العارف طارت إليه في أسرع من طرف العين." (٢)

---

(١) العاشر من المشيخة البغدادية لأبي طاهر السلفي أبو طاهر السِّلَفي ص/٢٧

(٢) السادس والعشرون من المشيخة البغدادية لأبي طاهر السلفي أبو طاهر السِّلَفي ص/٤٦

"يكن ذا قرنين، ولكنه عبد ، وأحب الله فأحبه الله، وناصح الله فنصحه الله، فأمر قومه بتقوى الله، فضربوه على قرنه، فسمى ذا القرنين.

؟ حدثنا أحمد بن إبراهيم، نا عبيد الله بن عبد الرحمن، نا زكريا، نا الأصمعي، قال: قال أبو عمرو بن العلاء لا يكون الهمز إلا في ثلاثة أحرف: الياء والواو والألف.

؟ وبه قال أبو عمرو: لغة قضاعة تجعل مكان السين ثاء، ﴿قل أعوذ برب الناث﴾ لأن مخرج السين والثاء واحد.

؟ حدثنا أحمد بن إبراهيم، نا إبراهيم بن محمد بن عرفة الأزدي، قال: سمعت أحمد بن يحيي يقول: قيل لأعرابي: أتعرف الأشهر الحرم؟ قال: نعم ثلاثة سرد وواحد فرد، يعني بالفرد رجبا، قال: وكانت العرب تعظمه، ويقال: رجبت الرجل إذا أكرمته.

؟ حدثنا أحمد بن إبراهيم، نا إبراهيم بن محمد بن عرفة، أخبرني أحمد بن يحيى، عن محمد بن سلام، قال: قلت ليونس: افرق لي بين المسكين والفقير، فقال: الفقير الذي يجد القوت ونحوه، والمسكين الذي ليس له شيء، قال إبراهيم: الفقير عند العرب المحتاج، قال الله عز وجل: ﴿يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله﴾ أي المحتاجون إليه.

؟ حدثنا عبد الله بن أحمد بن عبد الله التمار، أجازنا من أصله، نا الحسين بن أحمد بن بسطام بالأبلة، نا إبراهيم بن سعيد الجوهري، نا أبو معاوية، قال: سمعت الأعمش يقول: أدركت الناس يسمونهم الكذابين يعني الشيعة، قال الأعمش: لا عليكم إلا تخبروا بهذا عني، فإني لا آمنهم أن يقولوا وأخذنا سليمان مع امرأة مرة.

؟ كتب إلي أبو نصر محمد بن أحمد بن إبراهيم الجرجاني، قال: سمعت أبا علي محمد بن إبراهيم الكاتب النيسابوري بجرجان، قال: **رأيت في بعض الكتب** أن بعض الناس تقدم إلى علي بن عيسى وهو يركض، فقال له: سألتك بجلال الله إلا وقفت، فالتفت إليه، وقال: لم استوقفتني يا رجل وقد استدعاني الخليفة في مهم؟ فقال: لا تعتذر بشغلك لا أراني الله يوم فراغك، فاستحسن ذلك منه وأمر بقضاء حاجته.

من حديث الخلال أيضا

؟ أخبرنا الشريف أبو الفضل محمد بن عبد السلام الأنصاري، بقراءتي عليه، في دار الوزير، في شهر الله الأصم سنة أربع وتسعين، أنا أبو محمد الخلال، نا عبيد الله بن أحمد بن يعقوب المعروف بابن البواب المقرئ، أخبرني مكحول بن عبد الله الشامي، في كتابه، حدثني علي بن أبي المضاء، نا داود بن معاذ، نا

عبد الوارث بن سعيد، قال أبو عمرو بن العلاء: في القرآن أربعة مواضع لحن: ﴿إن هذان لساحران﴾ ، وقوله: ﴿فأصدق وأكن﴾ قال: هو وأكون، و: ﴿سلاسلا﴾ قال: لا تنونها، و: ﴿السماء منفطر به﴾ قال: هي منفطرة.." (١)

". . . . .

= * محمد بن الفضيل البلخي، ذكره الدارقطني في "السنن" (١/ ١٥)، ولم يسنده.

* علي بن شعيب، عند الدارقطني في "السنن" (١/ ١٦).

* سفيان بن وكيع، عند ابن جرير في "تهذيب الآثار" (٢/ ٢٢٤/ رقم ١٦٠٩).

* حجاج بن حمرة، فيما ذكر ابن أبي حاتم في "العلل" (١/ ٤٤/ رقم ٩٦).

* الشافعي في "مسنده" (رقم ٣٦)، و"الأم" (١/ ٤)، ومن طريقه الحاكم في "المستدرك" (١/ ١٣٣)، والدارقطني في "السنن" (١/ ١٦)، والبيهقي في "المعرفة" (٢/ ٨٤)، وفي "الخلافيات" (٩٤٠)، أخبرنا الثقة: عن الوليد بن كثير عن محمد بن عباد بن جعفر به.

وقال البيهقي عقبه في "المعرفة": "هذا الثقة هو أبو أسامة حماد بن أسامة الكوفي، فإن الحديث مشهور به". قال: "وقد **رأيت في بعض الكتب** ما يدل على أن الشافعي أخذه عن بعض أصحابه عن أبي أسامة".

وقال الحاكم في المستدرك (١/ ١٣٣): "هذا فلان لا يوهن هذا الحديث، فقد احتج الشيخان بالوليد بن كثير ومحمد بن جعفر بن الزبير، فأما محمد بن عباد فغير محتج به، وإن قرنه أبو أسامة إلى محمد بن جعفر بن الزبير ثم حدث به مرة عن هذا ومرة عن ذلك". ونقل هذا البيهقي في "الخلافيات" ثم قال (رقم ٩٤١): "قول شيخنا رحمه الله في محمد بن عباد بن جعفر: إنه غير محتج به، سهو منه، فقد أخرج البخاري ومسلم -رحمهما الله- حديثه في "الصحيح" واحتجا به، والحديث محفوظ عن الوليد بن كثير عنهما جميعا".

ومما يدل على صحة كلام الحاكم في أن الوليد رواه عنهما جميعا: ما أخرجه الحاكم في "المستدرك" (١/ ١٣٣)، والدارقطني في "السنن" (١/ ١٨)، والبيهقي في "السنن الكبرى" (١/ ٢٦٠ - ٢٦١)، و"المعرفة" (٢/ ٨٦)، ورواه في "الخلافيات" (٩٤٢) فقال:

"قال شيخنا أبو عبد الله فيما قريء عليه وأنا أسمع؛ والدليل عليه ما حدثنيه أبو علي محمد بن علي

---

(١) المشيخة البغدادية لأبي طاهر السلفي - مخطوط أبو طاهر السِّلَفي ٩/٩

الإسفراييني من أصل كتابه وأنا اسمع؛ قال حدثنا علي بن عبد الله بن مبشر الواسطي، حدثنا شعيب بن أيوب، =." (١)

"أرطاة النخعي١، عن الحارث بن مرة الجهني٢، عنه٣.

قوله: وقد سئل مالك عن أربعين مسألة، فقال في ست وثلاثين منها: لا أدري٤.

٣٤٦- **رأيت في بعض الكتب**، في أدب المفتي والمستفتي.

أن الهيثم بن جميل٥ قال: "شهدت مالكا، وقد سئل عن ثمان وأربعين مسألة فقال في اثنتين وثلاثين منها: لا أدري".

وكذلك نقلها الشيخ محيي الدين النووي٦ في مقدمة شرح المهذب٧.

قوله: و "لو استقبلت من أمري ما استدبرت، لما سقت الهدي" ٨.

٣٤٧- قال جابر في حديثه الطويل في مسلم: "حتى إذا كان آخر طوافه -يعني: رسول الله صلى الله عليه وسلم- على المروة قال: "إني لو ٩ استقبلت من أمري

---

١ لم أقف على ترجمته، ولعله: أرطاة بن أبي أرطاة، روى عن عكرمة وروى عنه الحجاج بن أبي عثمان الصواف.

انظر ترجمته في التاريخ الكبير ٢/ ٥٨، والجرح والتعديل ٢/ ٣٢٦.

٢ لم أقف على ترجمته.

٣ لم أقف على كتاب سيف المذكور، ولم أر أحدا من المخرجين أو غيرهم يعزوه إليه، ولم تذكر هذه الرواية في نسخة ف والله أعلم.

٤ انظر القولة في مختصر المنتهى ص"٢٢١ و٢٢٢".

٥ هو: الهيثم بن جميل البغدادي أبو سهل. ثقة، من أصحاب الحديث، قال الحافظ في التقريب: وكأنه ترك فتغير. من صغار التاسعة، مات سنة ثلاث عشرة ومائة.

التقريب ٢/ ٣٢٦، التهذيب ١١/ ٩٠، الكواكب النيرات ص٤٩٦.

٦ هو: الإمام محيي الدين يحيى بن شرف بن مري، الحزامي الحوراني الشافعي، الحافظ الثقة القدوة الورع، شيخ الإسلام صاحب المصنفات، مشهور. مات سنة ست وسبعين وستمائة. تذكرة الحفاظ ٤/ ١٤٧٠.

---

(١) الإيجاز في شرح سنن أبي داود للنووي النووي ص/٢٦٦

٧ المجموع ١/ ٧٤.

وأخرجها ابن عبد البر في الانتقاء بسنده، عن الهيثم بن جميل ص٣٨.

٨ انظر القولة في مختصر المنتهى ص"٢٢٢".

٩ كذا في نسخة الأصل وفي نسخة ف: "لو استقبلت...." وفي الصحيح: "لو أني استقبلت....".." [١]

"الإشارة بالرمز

٦٠٤.... واختصروا في كتبهم (حدثنا) ... على (ثنا) أو (نا) وقيل: (دثنا)

٦٠٥.... واختصروا (أخبرنا) على (أنا) ... أو (أرنا) و (البيهقي) (أبنا)

جرت عادة أهل الحديث باختصار بعض ألفاظ الأداء في الخط دون النطق. فمن ذلك: حدثنا. والمشهور عندهم حذف شطرها الأول، ويقتصرون منه على صورة: ثنا. وربما اقتصروا على الضمير فقط، فكتبوا: نا. وربما اقتصروا على حذف الحاء فقط () ، فقالوا: دثنا. وقال ابن الصلاح () : إنه رآه في خط الحاكم وأبي عبد الرحمن السلمي والبيهقي.

ومن ذلك: أخبرنا. والمشهور في اختصارها حذف أصول الكلمة، والاقتصار على الألف والضمير، وربما لم يحذف بعضهم الراء، فقال: أرنا. وبعضهم يحذف الخاء والراء، ويكتب: أبنا، وقد فعله البيهقي في طائفة من المحدثين، قال ابن الصلاح: وليس بحسن () .

٦٠٦.... قلت: ورمز (قال) إسنادا يرد ... (قافا) وقال الشيخ: حذفها عهد

٦٠٧.... خطا ولابد من النطق كذا ... قيل له: وينبغي النطق بذا

ومما جرت به عادة أهل الحديث حذف ((قال)) في أثناء الإسناد في الخط، أو الإشارة إليها بالرمز. **فرأيت في بعض الكتب** المعتمدة الإشارة إليها بقاف، فبعضهم يجمعها مع أداة التحديث فيكتب: قثنا، يريد: قال: حدثنا. وقد توهم () بعض من رأى هذا هكذا أنها الواو التي تأتي بعد () حاء التحويل، وليس كذلك. وبعضهم." [٢]

---

(١) تحفة الطالب بمعرفة أحاديث مختصر ابن الحاجب ابن كثير ص/٣٩٢

(٢) شرح التبصرة والتذكرة ألفية العراقي العراقي، زين الدين ١/٤٩٥

"وأخرج الطبري من رواية أبي رجاء العطاردي عن علي نحوه١.

٦- وقال الثعلبي: رأيت في بعض الكتب أنها نزلت في علي بن أبي طالب لما نام في فراش النبي صلى الله عليه وسلم بعد أن هاجر يقيه بنفسه، وساق القصة مطولة ثم ساقها بسند له إلى الحكم بن ظهير٢ - أحد الهلكى وممن رمي بالرفض- عن السدي قال: قال ابن عباس: نزلت في علي حين خرج النبي صلى الله عليه وسلم إلى الغار الحديث٣.

١٢١- قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة﴾ [الآية: ٢٠٨] .

أخرج الواحدي٤ من "تفسير عبد الغني الثقفي بسنده إلى عطاء عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية في عبد الله بن سلام وأصحابه، وذلك أنهم حين آمنوا بالنبي قاموا بشرائعه وشرائع موسى فعظموا السبت وكرهوا لحمان الإبل وألبانها، فأنكر ذلك عليهم المسلمون، فقالوا: إنا نقوم٥ على هذا وعلى هذا، وقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: إن التوراة كتاب الله فدعنا ٦لنقم بها فأنزل الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة﴾ .

---

١ روى الطبري "٤/ ٢٤٤" "٣٩٨٨" عن العطاردي قال: "سمعت عليا في هذه الآية.. قال: اقتتلا ورب الكعبة" ا. هـ باختصار وزاد السيوطي "١/ ٥٧٨" نسبته إلى "وكيع وعبد بن حميد والبخاري في تاريخه وابن أبي حاتم والخطيب" وهذا -كما ترى- تفسير لا سبب نزول.

٢ هو الفزاري وفي "التقريب" "ص١٧٥": متروك رمي بالرفض واتهمه ابن معين، مات قريبا من سنة "١٨٠" أخرج له الترمذي.

٣ لم اجد هذا عن السدي في الطبري وابن كثير والسيوطي.

٤ "ص٥٩".

٥ في الواحدي: نقوى.

٦ فيه: فلنعمل.." (١)

"٦٠٥٩ - (قال الله تعالى لا يذكرني عبد في نفسه إلا ذكرته في ملأ) بفتح الميم واللام مهموز أي جماعة قال ابن حجر: يستفاد منه أن الذكر الخفي أفضل من الجهري والتقدير إن ذكرني في نفسه ذكرته بثواب لا أطلع عليه أحدا وإن ذكرني جهرا ذكرته بثواب أطلع عليه الملأ الأعلى قال ابن بطال: هذا نص

---

(١) العجاب في بيان الأسباب ابن حجر العسقلاني ٥٢٩/١

في أن الملائكة أفضل من الآدميين وهو مذهب جمهور أهل العلم وعليه شواهد من القرآن نحو ﴿إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين﴾ والخالد -[٤٩٤]- أفضل من الفاني فالملائكة أفضل وتعقبه جمهور أهل السنة بما هو معروف [١] قال بعض العارفين: الله تعالى له الأخلاق السنية وهي الأسماء الإلهية فمن ذكر الحق كان جليسه ومن كان جليسه فهو أنيسه فلا بد أن ينال من مكارم خلقه على قدر زمان مجالسته ومن جلس إلى قوم يذكرون الله أدخله معهم في رحمته وكرامته فإنهم القوم لا يشقى جليسهم فكيف يشقى من كان الحق جليسه (من ملائكتي ولا يذكرني في ملأ) أي جماعة من خواص خلقي المقبلين على ذكري داعيا لهم إلي أو ناشرا بينهم ثنائي أو دالا لهم على حقيقة ذكري أو مراقبتي أو شاغلا لهم بذكري (إلا ذكرته في الرفيق الأعلى) ظاهر هذا أن ذكر اللسان علانية أفضل من الذكر الخفي والذكر القلبي قال وهب: **رأيت في بعض الكتب** الإلهية أن الله يقول يا ابن آدم ما قمت لي بما يجب لي عليك أذكرك وتنساني وأدعوك وتفر مني خيري إليك نازل وشرك إلي صاعد

(طب عن معاذ بن أنس) بن مالك قال الهيثمي: إسناده حسن." [٢]

"فكتبوا دثنا قال ابن الصلاح: إنه رآه في خط الحاكم وأبي عبد الرحمن السلمي والبيهقي ومن ذلك أخبرنا اقتصر وافيها على الألف والضمير أعنى أنا وربما لم يحذف بعضهم الراء فيكتب أرنا وبعضهم بحذف الخاء والراء ويكتب أبنا وقد فعله البيهقي وطائفة من المحدثين قال ابن الصلاح: وليس بجيد ومما جرت عادة أهل الحديث حذف قال في أثناء الإسناد في الخط والإشارة إليه بالرمز **فرأيت في بعض الكتب** المعتمدة الإشارة إليها بقاف فبعضهم بجمعها مع أداة التحديث فيكتب قثنا يرد قال حدثنا وبعضهم يفردها فيكتب في ثنا وهذا اصطلاح متروك قال ابن الصلاح: جرت العادة بحذفها خطا قال ولا بد من ذكرها حال القراءة لفظا ومما جرت به عادتهم عند الإنتقال من سند إلى سند وذلك أنه إذا كان للحديث إسنادان فأكثر وجمعوا بين الأسانيد في متن واحد أنهم إذا انتقلوا من إسناد إلى إسناد آخر كتبوا بينهما حاء مفردة مهملة صورة ح و الذي عليه عمل أهل الحديث أن ينطق القاريء بها كذلك مفردة واختاره ابن الصلاح ونقل كلاما كثيرا في ذلك.

"وكتابة التسميع" قال الخطيب في كتاب الجامع يكتب الطالب بعد البسملة اسم الشيخ الذي سمع الكتاب منه وكنيته ونسبه قال وصورة ما ينبغي أن يكتب حدثنا أبو فلان فلان بن فلان بن فلان الفلاني قال حدثنا

---

(١) تنبيه

(٢) فيض القدير المناوي ٤/٤٩٣

فلان ويسوق ما سمعه من الشيخ على لفظه قال وإذا كتب الطالب الكتاب المسموع فإنه ينبغي أن يكتب فوق صدر التسمية أسماء من سمع معه وتاريخ وقت السماع قال وإن أحب كتب ذلك في حاشية أول ورقة من الكتاب فكلاهما قد فعله شيوخنا قال إن كان سماعه للكتاب في مجالس عديدة كتب عند انتهاء السماع في كل مجلس علامة البلاغ ويكتب في الذي يليه التسميع والتاريخ والتقطيع كما يكتب في أول الكتاب فعلى هذا شاهدت أصول جماعة من شيوخنا مرسومة.

"وقد ذكروا في هذا النوع آدابا كثيرة وفوائد حسنة أو دعوها هذا النوع من كتب علم الحديث وإنما اختصرتها لطول الكلام فيها واعتمادي على ما يتعلق به التحليل والتحريم غالبا" وقد ذكرنا مما ذكروه محل الحاجة. * * *." (١)

"اختطفه بأن الإلهام في جو حدسي. فأتعلل تارة بتشويش البال (١) بضيق الحال وأخرى بفرط الملال لسعة المجال. إلى أن رأيت في بعض ليالي الجمعة من رجب الأصم سنة الألف والمائتين والاثنتين والخمسين بعد هجرة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم رؤية لا أعدها أضغاث أحلام ولا أحسبها خيالات أوهام أن الله جل شأنه وعظم سلطانه أمرني بطي السماوات والأرض، ورتق فتقهما على الطول والعرض فرفعت يدا إلى السماء وخفضت الأخرى إلى مستقر الماء ثم انتبهت من نومتي، وأنا مستعظم رؤيتي، فجعلت أفتش لها عن تعبير **فرأيت في بعض الكتب** أنها إشارة إلى تأليف تفسير. فرددت حينئذ على النفس تعللها القديم وشرعت مستعينا بالله تعالى العظيم، وكأني إن شاء الله تعالى عن قريب عند إتمامه بعون عالم سري ونجواي أنادي وأقول غير مبال بتشنيع جهول: هذا تأويل رؤياي، وكان الشروع في الليلة السادسة عشرة من شعبان المبارك من السنة المذكورة وهي السنة الرابعة والثلاثون من سني عمري جعلها الله تعالى بسني لطفه معمورة وقد تشرف الذهن المشتت بتأليفه وأحكمت غرف مغاني المعاني بمحكم ترصيفه، زمن خلافة خليفة الله الأعظم، وظله المبسوط على خليقته في العالم مجدد نظام القواعد المحمدية، ومحدد جهات العدالة الإسلامية سورة الحمد الذي أظهره الرحمن في صورة الملك لكسر سورة الكافرين، وآية السيف الذي عوده الفاطر والفتح والنصر وأيده بمرسلات الذاريات في كل عصر فويل للمنافقين، من نازعات أرواحهم إذا عبس صمصام عزمه المتين، حضرة مولانا السلطان ابن السلطان سلطان الثقلين وخادم الحرمين المجدد الغازي محمود خان العدلي ابن السلطان عبد الحميد خان أيده الرحمن وأبد ملكه ما دام الدوران آمين، وبعد أن أبرمت حبل النية ونشرت مطوي الأمنية وعرا المخاض قريحة

---

(١) توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار الصنعاني ٢/٢٢١

الأذهان وقرب ظهور طفل التفسير للعيان جعلت أفكر ما اسمه وبماذا أدعوه إذا وضعته أمه فلم يظهر لي اسم تهتش له الضمائر وتبتش من سماعه الخواطر فعرضت الحال لدى حضرة وزير الوزراء ونور حديقة البهاء ونور حدقة الوزراء آية الله التي لا تنسخها آية، ورب النهى الذي ليس له نهاية وصاحب الأخلاق التي ملك بها القلوب ومعدن الأذواق التي يكاد أن يعلم معها الغيوب مولانا علي رضا باشا لا زال له الرضا غطاء وفراشا فسماه على الفور وبديهة ذهنه تغني عن الغور «روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني» فيا له اسم ما اسماه نسأل الله تعالى أن يطابقه مسماه وأحمد الله تعالى حمدا غضا، وأصلي وأسلم على نبيه النبيه حتى يرضى. وقد آن وقت الشروع في المقصود مقدما عليه عدة فوائد يليق أن تكتب بسواد العيون على صفحات الخدود فأقول: «الفائدة الأولى» في معنى التفسير والتأويل وبيان الحاجة إلى هذا العلم وشرفه. وأما معناهما فالتفسير تفعيل من الفسر وهو لغة البيان والكشف والقول بأنه مقلوب السفر مما لا يسفر له وجه، ويطلق التفسير على التعرية للانطلاق يقال فسرت الفرس إذا عريته لينطلق ولعله يرجع لمعنى الكشف كما لا يخفى بل كل تصاريف حروفه لا تخلو عن ذلك كما هو ظاهر لمن أمعن النظر. ورسموه بأنه علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب وتتمات لذلك كمعرفة النسخ وسبب النزول وقصة توضح ما أبهم في القرآن ونحو ذلك. والتأويل من الأول وهو الرجوع والقول بأنه من الإيالة وهي السياسة كأن المؤول للكلام ساس الكلام ووضع المعنى فيه موضعه ليس بشيء واختلف في الفرق بين التفسير والتأويل فقال أبو عبيدة: هما بمعنى، وقال الراغب: التفسير أعم وأكثر استعماله في الألفاظ ومفرداتها في الكتب الإلهية وغيرها والتأويل في المعاني والجمل في

---

(١) أنكر جماعة من أهل اللغة مجيء مشوش وقالوا الصواب أن يقال هوشته فهو مهوش لأنه من الهوش وهو اختلاط الشيء. وأثبته الجوهري فقال التشويش التخليط ووهمه صاحب القاموس. وقال ابن بري: إنه من كلام المولدين ولا أصل له في العربية. وقد اشتهر هذا اللفظ ووقع في كلام الزمخشري وغيره من أهل المعاني كقولهم هذا لف ونشر مشوش. اهـ مصححه.." (١)

"أورثناها إلخ معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه في جميع الأوجه، وما ذكر عن الواحدي من أن الله تعالى رد بني إسرائيل إلى مصر بعد ما أغرق فرعون وقومه ظاهره وقوع ذلك بعد الغرق من غير

---

(١) تفسير الألوسي = روح المعاني الألوسي، شهاب الدين ١/٥

تطاول مدة.

وأظهر منه في هذا ما روي عن الحسن قال: كما عبروا البحر ورجعوا وورثوا ديارهم وأموالهم **ورأيت في بعض الكتب** أنهم رجعوا مع موسى عليه السلام وبقوا معه في مصر عشر سنين، وقيل: إنه رجع بعضهم بعد إغراق فرعون وهم الذين أورثوا أموال القبط وذهب الباقون مع موسى عليه السلام إلى أرض الشام.

وقيل: إنهم بعد أن جاوزوا البحر ذهبوا إلى الشام ولم يدخلوا مصر في حياة موسى عليه السلام وملكوها زمن سليمان عليه السلام، والمذكور في التوراة التي بأيدي اليهود اليوم صريح في أنهم بعد أن جاوزوا البحر توجهوا إلى أرض الشام وقد فصلت قصة ذهابهم إليها وأكثر التواريخ على هذا وظواهر كثير من الآيات تقتضي ما ذكره الواحدي والله تعالى أعلم، ومعنى (أتبعوهم) لحقوهم يقال: تبعت القوم فأتبعهم أي تلوتهم فلحقتهم كأن المعنى فجعلتهم تابعين لي بعد ما كنت تابعا لهم مبالغة في اللحوق، وضمير الفاعل لقوم فرعون والمفعول لبني إسرائيل. وقرأ الحسن «فاتبعوهم» بوصل الهمزة وشد التاء مشرقين أي داخلين في وقت شروق الشمس أي طلوعها من أشرق زيد دخل في وقت الشروق كأصبح دخل في وقت الصباح وأمسى دخل في وقت المساء، وقال أبو عبيدة: هو من أشرق توجه نحو الشرق كأنجد توجه نحو نجد وأعرق توجه نحو العراق أي فاتبعوهم متوجهين نحو الشرق. والجمهور على الأول، وعن السدي أن الله تعالى ألقى على القبط الموت ليلة خرج موسى عليه السلام بقومه فمات كل بكر رجل منهم فشغلوا عن طلبهم بدفنهم حتى طلعت الشمس ومثل ذلك في التوراة بزيادة موت أبكار بهائمهم أيضا، والوصف حال من الفاعل، وقيل: هو حال من المفعول.

ومعنى مشرقين في ضياء بناء على ما روي أن بني إسرائيل كانوا في ضياء، وكان فرعون وقومه في ضباب وظلمة تحيروا فيها حتى جاوز بنو إسرائيل البحر ولا يكاد يصح ذلك لقوله تعالى: فلما تراءا الجمعان أي تقاربا بحيث رأى كل واحد منهما الآخر، نعم ذكر في التوراة ما حاصله أن بني إسرائيل لما خرجوا كان أمامهم نهارا عمود من غمام وليلا عمود من نار ليدلهم ذلك على الطريق فلما طلبهم فرعون ورأوا جنوده خافوا جدا ولاموا موسى عليه السلام في الخروج وقالوا له: أمن عدم القبور بمصر أخرجتنا لنموت في البر أما قلنا لك: دعنا نخدم المصريين فهو خير من موتنا في البر فقال لهم موسى: لا تخافوا وانظروا إغاثة الله تعالى لكم ثم أوحى الله تعالى إلى موسى أن يضرب بعصاه البحر فتحول عمود الغمام إلى ورائهم وصار بينهم وبين فرعون وجنوده ودخل الليل ولم يتقدم أحد من جنود فرعون طول الليل وشق البحر ثم دخل بنو إسرائيل وليس في هذا ما يصحح أمر الحالية المذكورة فتأمل.

وقرأ الأعمش وابن وثاب «ترا» بغير همز على مذهب التخفيف بين بين ولا يصح تحقيقها بالقلب للزوم ثلاث ألفات متسقة وذلك مما لا يكون أبدا قاله أبو الفضل الرازي، وقال ابن عطية وقرأ حمزة «تريئي» بكسر الراء وبمد ثم بهمز، وروي مثله عن عاصم وروي عنه أيضا «تراءى» بالفتح والمد، وقال أبو جعفر أحمد بن علي الأنصاري في كتابه الإقناع تراءا الجمعان في الشعراء إذا وقف عليها حمزة والكسائي أمالا الألف المنقلبة عن لام الفعل، وحمزة يميل ألف تفاعل وصلا ووقفا كإمالة الألف المنقلبة.

وقرىء «فلما تراءت» الفئتان قال أصحاب موسى إنا لمدركون أي لملحقون جاؤوا بالجملة الاسمية مؤكدة بحرفي التأكيد للدلالة على تحقق الإدراك واللحاق وتنجيزهما، وأرادوا بذلك التحزن وإظهار الشكوى طلبا." (١)

"كالنص في أنه صلى الله تعالى عليه وسلم كتب بنفسه فالعدول عنه إلى غيره مجاز لا ضرورة إليه ثم قال: وقد طال كلام كل فرقة في هذه المسألة وشنعت كل فرقة على الأخرى في هذا فالله تعالى أعلم.

ورأيت في بعض الكتب ولا أدري الآن أي كتاب هو أنه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يكن يقرأ ما يكتب لكن إذا نظر إلى المكتوب عرف ما فيه بإخبار الحروف إياه عليه الصلاة والسلام عن أسمائها فكل حرف يخبره عن نفسه أنه حرف كذا وذلك نظير إخبار الذراع إياه صلى الله تعالى عليه وسلم بأنها مسمومة.

وأنت تعلم أن مثل هذا لا يقبل بدون خبر صحيح ولم أظفر به بل هو أي القرآن، وهذا إضراب عن ارتيابهم، أي ليس القرآن مما يرتاب فيه لوضوح أمره بل هو آيات بينات واضحات ثابتة راسخة في صدور الذين أوتوا العلم من غير أن يلتقط من كتاب يحفظونه بحيث لا يقدر على تحريفه بخلاف غيره من الكتب، وجاء في وصف هذه الأمة صدورهم أنا جيلهم، وكون ضمير هو للقرآن هو الظاهر، ويؤيده قراءة عبد الله «بل هي آيات بينات» ، وقال قتادة: الضمير للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقرأ «بل هو آية بينة» على التوحيد، وجعله بعضهم له عليه الصلاة والسلام على قراءة الجمع على معنى بل النبي وأموره آيات، وقيل: الضمير لما يفهم من النفي السابق أي كونه لا يقرأ لا يخط آيات بينات في صدور العلماء من أهل الكتاب لأن ذلك نعت النبي عليه الصلاة والسلام في كتابهم، والكل كما ترى، وفي الأخير حمل الذين أوتوا العلم على علماء أهل الكتاب وهو مروي عن الضحاك والأكثرون على أنهم علماء الصحابة أو النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وعلماء أصحابه، وروي هذا عن الحسن

وروى بعض الإمامية عن أبي جعفر وأبي عبد الله رضي الله تعالى عنهما أنهم الأئمة من آل محمد صلى

---

(١) تفسير الألوسي = روح المعاني الألوسي، شهاب الدين ٨٣/١٠

الله عليه وسلم
وما يجحد بآياتنا مع كونها كما ذكر إلا الظالمون المتجاوزون للحد في الشر والمكابرة والفساد وقالوا أي كفار قريش بتعليم بعض أهل الكتاب.
وقيل: الضمير لأهل الكتاب لولا أنزل عليه آيات من ربه مثل ناقة صالح وعصا موسى، وقرأ أكثر أهل الكوفة «آية» على التوحيد قل إنما الآيات عند الله ينزلها حسبما يشاء من غير دخل لأحد في ذلك قطعا وإنما أنا نذير مبين ليس من شأني إلا الإنذار بما أوتيت من الآيات لا الإتيان بما اقترحتموه فالقصر قصر قلب أولم يكفهم كلام مستأنف وارد من جهته تعالى ردا على اقتراحهم وبيانا لبطلانه والهمزة للإنكار والنفي والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام أي أقصر ولم يكفهم آية مغنية عن سائر الآيات أنا أنزلنا عليك الكتاب الناطق بالحق المصدق لما بين يديه من الكتب السماوية وأنت بمعزل من مدارستها وممارستها يتلى عليهم تدوم تلاوته عليهم متحدين به فلا يزال معهم آية ثابتة لا تزول ولا تضمحل كما تزول كل آية بعد كونها، وقيل: يتلى عليهم أي أهل الكتاب بتحقيق ما في أيديهم من نعتك ونعت دينك، وله وجه إن كان ضمير قالوا فيما تقدم لأهل الكتاب وأما إذا كان لكفار قريش فلا يخفى ما فيه.
إن في ذلك أي الكتاب العظيم الشأن الباقي على ممر الدهور، وقيل: الذي هو حجة بينة لرحمة أي نعمة عظيمة وذكرى أي تذكرة لقوم يؤمنون أي همهم الإيمان لا التعنت فالجار والمجرور متعلق بذكرى والفعل مراد به الاستقبال، ويجوز أن يكون رحمة وذكرى مما تنازعا في الجار والمجرور فيجوز أن يكون الفعل للحال،
وأخرج الفريابي، والدارمي، وأبو داود في مراسيله، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن يحيى بن جعدة قال: «جاء ناس من المسلمين بكتف قد كتبوا فيها بعض ما سمعوه من اليهود فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: كفى بقوم حمقا أو ضلالة أن يرغبوا عما جاء به نبيهم إليهم إلى ما جاء به غيره إلى غيرهم فنزلت أولم." (١)

"تعالى عنه فأطلق عليه السحت، ولا يأبى ذلك إذنه عليه الصلاة والسلام في المناحبة لما أنها لا تضر بالمروءة أصلا وفيها من إظهار اليقين بصدق ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم ما فيها وكان عليه الصلاة والسلام على ثقة من صلاح الصديق رضي الله تعالى عنه وأنه إذا أمره بالتصدق بما يأخذه ونهاه عن تموله لم يخالفه، وقيل: السحت هنا بمعنى ما لا شيء على من استهلكه وهو أحد إطلاقاته كما في

---

(١) تفسير الألوسي = روح المعاني الألوسي، شهاب الدين ٧/١١

النهاية، والمراد هذا الذي لا شيء عليك إذا استهلكته وتصرفت فيه حسبما تشاء تصدق به كأنه عليه الصلاة والسلام بعد أن أخبر الصديق رضي الله تعالى عنه بأنه لا مانع له من التصرف فيه حسبما يريد أرشده إلى ما هو الأولى والأحرى

فقال: تصدق به

، وهو كما ترى، وقيل: إن السحت كما في النهاية يرد في الكلام بمعنى الحرام مرة وبمعنى المكروه أخرى ويستدل على ذلك بالقرائن فيجوز أن يكون في الخبر إذا صح فيه بمعنى المكروه إذ الأمر بالتصدق يمنع أن يكون بمعنى الحرام فيتعين كونه بمعنى المكروه، وفيه نظر، وأما تفسير السحت بالحرام والتزام القول بجواز التصدق بالحرام لهذا الخبر فمما لا يلتفت إليه أصلا فتأمل. وكانت كلتا الغلبتين في سلطنة خسرو برويز، قال في روضة الصفا ما ترجمته: إنه لما مضى من سلطنة خسرو أربعة عشر سنة غدر الروميون بملكهم وقتلوه مع ابنه بناطوس وهرب ابنه الآخر إلى خسرو فجهز معه ثلاثة رؤساء أولى قدر رفيع مع عسكر عظيم فدخلوا بلاد الشام وفلسطين وبيت المقدس وأسروا من فيها من الأساقفة وغيرهم وأرسلوا إلى خسرو الصليب الذي كان مدفونا عندهم في تابوت من ذهب وكذلك استولوا على الإسكندرية وبلاد النوبة إلى أن وصلوا إلى نواحي القسطنطينية وأكثروا الخراب وجهدوا على إطاعة الروميين لابن قيصر فلم تحصل، قيل: إن الروميين جعلوا عليهم حاكما شخصا اسمه هرقل وكان سلطانا عادلا يخاف الله تعالى فلما رأى تخريب فارس قد شاع في بلاد الروم من النهب والقتل تضرع وبكى وسأل الله تعالى تخليص الروميين فصادف دعاؤه هدف الإجابة فرأى في ليالي متعددة في منامه أنه قد جيء إليه بخسرو في عنقه سلسلة، وقيل له: عجل بمحاربة برويز لأنه يكون لك الظفر والنصرة فجمع هرقل عسكره بسبب تلك الرؤيا وتوجه من قسطنطينية إلى نصيبين فسمع خسرو فجهز اثني عشر ألفا مع أمير من أمرائه فقابلهم هرقل فكسرهم وقتل منهم تسعة آلاف مع رؤسائهم.

وفي بعض الروايات أنهم ربطوا خيولهم بالمدائن، **ورأيت في بعض الكتب** أن سبب ظهور الروم على فارس أن كسرى بعث إلى أميره شهريار وهو الذي ولاه على محاربة الروم أن اقتل أخاك فرخان لمقالة قالها وهو قوله: لقد رأيتني جالسا على سرير كسرى فلم يقتله فبعث إلى فارس إني قد عزلت شهريار ووليت أخاه فرخان فاطلع فرخان على حقيقة الحال فرد الملك إلى أخيه وكتب شهريار إلى قيصر ملك الروم فتعاونا على كسرى فغلبت الروم فارس وجاء الخبر ففرح المسلمون وكان ذلك من الآيات البينات الباهرة الشاهدة بصحة النبوة وكون القرآن من عند الله عز وجل لما في ذلك من الإخبار عن الغيب الذي لا يعلمه الله

تعالى العليم الخبير، وقد صح أنه أسلم عند ذلك ناس كثير. وقرأ علي كرم الله تعالى وجهه، وابن عباس، وابن عمر، وأبو سعيد الخدري، والحسن، ومعاوية بن قرة «غلبت الروم» على البناء للفاعل وسيغلبون على البناء للمفعول، والمعنى على ما قيل: إن الروم غلبوا على ريف الشام وسيغلبهم المسلمون وقد غزاهم المسلمون في السنة التاسعة من نزول الآية ففتحوا بعض بلادهم، وإضافة «غلب» عليه من إضافة المصدر إلى الفاعل، ووفق بين القراءتين بأن الآية نزلت مرتين مرة بمكة على قراءة الجمهور ومرة يوم بدر كما رواه الترمذي وحسنه عن أبي سعيد على هذه القراءة.

وقال بعض الأجلة: الصواب أن يبقى نزولها على ظاهره ويراد بغلب المسلمين إياهم ما كان في غزوة مؤتة وكانت في جمادى الأولى سنة ثمان وذلك قريب من التاريخ الذي ذكروه لنزول الآية أولا ولا حاجة إلى تعدد النزول." (١)

"الأخير لأن المراد بالأموات. فاقدو الحياة بعد الاتصاف بها كما يشعر به أرداف ذلك بقوله تعالى: وما أنت بمسمع من في القبور فيكون للحياة مع أنها وجودية رتبة السبق أيضا، وقيل إن تقديم غير الأشرف مع انفهام أنه غير أشرف على الأشرف للإشارة إلى أن التقديم صورة لا يخل بشرف الأشرف:

فالنار يعلوها الدخان وربما ... يعلو الغبار عمائم الفرسان

وجمع الظلمات مع إفراد النور لتعدد فنون الباطل واتحاد الحق، وقيل لأن الظلمة قد تتعدد فتكون في محال قد تخلل بينهما نور والنور في هذا العالم وإن تعدد إلا أنه يتحد وراء محل تعدده، وجمع الأحياء والأموات على بابه لتعدد المشبه بهما ولم يجمع الأعمى والبصير لذلك لأن القصد إلى الجنس والمفرد أظهر فيه مع أن في البصراء ترك رعاية الفاصلة وهو على الذوق السليم دون البصير، فتدبر جميع ذلك والله تعالى أعلم بأسرار كتابه وهو العليم الخبير.

وقرأ الأشهب والحسن «بمسمع من» بالإضافة إن أنت إلا نذير أي ما عليك إلا أن تبلغ وتنذر فإن كان المنذر ممن أراد الله تعالى هدايته سمع واهتدى وإن كان ممن أراد سبحانه ضلاله وطبع على قلبه فما عليك منه تبعة إنا أرسلناك بالحق أي محقين على أنه حال من الفاعل أو محقا على أنه حال من المفعول أو إرسالا مصحوبا بالحق على أنه صفة لمصدر محذوف، وجوز الزمخشري تعلقه بقوله سبحانه: بشيرا ومتعلق قوله تعالى:

ونذيرا محذوف لدلالة المقابل على مقابله أي بشيرا بالوعد الحق ونذيرا بالوعيد الحق.

---

(١) تفسير الألوسي = روح المعاني الألوسي، شهاب الدين ٢١/١١

وإن من أمة أي ما من جماعة كثيرة أهل عصر وأمة من الأمم الدارجة في الأزمنة الماضية إلا خلا مضى فيها نذير من نبي أو عالم ينذرها، والاكتفاء بذكره للعلم بأن النذارة قريبة البشارة لا سيما وقد اقترنا آنفا مع أن الإنذار أنسب بالمقام، وقيل خص النذير بالذكر لأن البشارة لا تكون إلا بالسمع فهو من خصائص الأنبياء عليهم السلام فال بشير نبي أو ناقل عنه بخلاف النذارة فإنه تكون سمعا وعقلا فلذا وجه النذير في كل أمة، وفيه بحث.

واستدل بعض الناس بهذه الآية مع قوله تعالى: وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم [الأنعام: ٣٨] على في البهائم وسائر الحيوانات أنبياء أو علماء ينذرون، والاستدلال بذلك باطل لا يكاد نفي بطلانه على أحد حتى على البهائم، ولم نسمع القول بنبوة فرد من البهائم ونحوها إلا عن الشيخ محيي الدين ومن تابعه قدس الله سره، **ورأيت في بعض الكتب** أن القول بذلك كفر والعياذ بالله تعالى.

وإن يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم من الأمم العاتية فلا تحزن من تكذيب هؤلاء إياك.

جاءتهم رسلهم في موضع الحال على ما قال أبو البقاء إما بدون تقدير قد أو بتقديرها أي كذب الذين من قبلهم وقد جاءتهم رسلهم بالبينات أي بالمعجزات الظاهرة الدالة على صدقهم فيما يدعون وبالزبر كصحف إبراهيم عليه السلام وبالكتاب المنير كالتوراة والإنجيل على إرادة التفصيل يعني أن بعضهم جاء بهذا وبعضهم جاء بهذا لا على إرادة الجمع وأن كل رسول جاء بجميع ما ذكر حتى يلزم أن يكون لكل رسول كتاب وعدد الرسل أكثر بكثير من عدد الكتب كما هو معروف، ومال هذا إلى منع الخلو، ويجوز أن يراد بالزبر والكتاب واحد والعطف لتغاير العنوانين لكن فيه بعد ثم أخذت الذين كفروا وضع الظاهر موضع ضميرهم لذمهم بما حيز الصلة والأشعار بعلة الأخذ فكيف كان نكير أي إنكاري عليهم بالعقوبة، وفيه مزيد تشديد وتهويل وقد تقدم الكلام في نظير هذا في سبأ فتذكر.

وفي الآية من تسليته صلى الله عليه وسلم ما فيها ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء إلخ استئناف مسوق على ما يخطر." (١)

"بالنسبة إلى المغرقين وتلتزم القول بأنه لم يبق عقب لأحد من أهل السفينة هو من ذرية أحد من المغرقين أي وجعلنا ذريته هم الباقين لا ذرية أحد غيره من المغرقين، وولد كنعان إن صح وصح بقاء نسله دخل في ذريته والله تعالى أعلم وتركنا عليه في الآخرين في الباقين غابر الدهر سلام على نوح مبتدأ وخبر

---

(١) تفسير الألوسي = روح المعاني الألوسي، شهاب الدين ١١/٣٦٠

وجاز الابتداء بالنكرة لما فيه من معنى الدعاء، والكلام وارد على الحكاية كقولك: قرأت سورة أنزلناها [النور: ١] وهو على ما قال الفراء وغيره من الكوفيين محكي- بترك- في موضع نصب بها أي تركنا عليه هذا الكلام بعينه.

وقال آخرون: هو محكي بقول مقدر أي تركنا عليه في الآخرين قولهم سلام على نوح، والمراد أبقينا له دعاء الناس وتسليمهم عليه أمة بعد أمة، وقيل: هذا سلام منه عز وجل لا من الآخرين، ومفعول تركنا محذوف أي تركنا عليه الثناء الحسن وأبقيناه له فيمن بعده إلى آخر الدهر، ونسب هذا إلى ابن عباس ومجاهد قتادة والسدي وجملة سلام على نوح معمول لقول مقدر على ما ذكر الخفاجي أي وقلنا سلام إلخ، وقال أبو حيان: مستأنفة سلم الله تعالى عليه السلام ليقتدي بذلك البشر فلا يذكره أحد بسوء، وقرأ عبد الله «سلاما» بالنصب على أنه مفعول تركنا وقوله تعالى: في العالمين متعلق بالظرف لنيابته عن عامله أو بما تعلق الظرف به. جوز كونه حالا من الضمير المستتر فيه، وأيا ما كان فهو من تتمة الجملة السابقة وجيء به للدلالة على الاعتناء التام بشأن السلام من حيث أنه أفاد الكلام عليه ثبوته في العالمين من الملائكة والثقلين أو أنه حال كونه في العالمين على نوح. وهذا كما تقول سلام على زيد في جميع الأمكنة وفي جميع الأزمنة. وزعم بعضهم جواز جعله بدلا من قوله تعالى في الآخرين ويوشك أن يكون غلطا كما لا يخفى.

وقوله تعالى إنا كذلك نجزي المحسنين تعليل لما فعل به مما قصه الله عز وجل بكونه عليه السلام من زمرة المعروفين بالإحسان الراسخين فيه فيكون ما وقع من قبيل مجازاة الإحسان بالإحسان، وإحسانه مجاهدته أعداء الله تعالى بالدعوة إلى دينه والصبر الطويل على أذاهم ونحو ما ذكر وذلك إشارة إلى ما ذكر من الكرامات السنية التي وقعت جزاء له عليه السلام، وما في من معنى البعد للإيذان بعلو رتبته وبعد منزلته في الفضل والشرف، والكاف متعلقة بما بعدها أي مثل ذلك الجزاء الكامل نجزي الكاملين في الإحسان لاجزاء أدنى منه، وقوله تعالى: إنه من عبادنا المؤمنين تعليل لكونه عليه السلام محسنا المفهوم من الكلام بخلوص عبوديته وكمال إيمانه، وفيه من الدلالة على جلالة قدرهما ما لا يخفى وإلا فمنصب الرسالة منصب عظيم والرسول لا ينفك عن الخلوص بالعبودية وكمال الإيمان فالمقصود بالصفة مدحها نفسها لا مدح موصوفها ثم أغرقنا الآخرين أي المغايرين لنوح عليه السلام وأهله وهم كفار قومه أجمعين، وثم للتراخي الذكرى إذ بقاؤه عليه السلام ومن معه متأخر عن الإغراق وإن من شيعته أي ممن شايع نوحا وتابعه في أصول الدين لإبراهيم وإن اختلفت فروع شريعتيهما أو ممن شايعه في التصلب في دين الله تعالى

ومصابرة المكذبين ونقل هذا عن ابن عباس، وجوز أن يكون بين شريعتيهما اتفاق كلي أو أكثري وللأكثر حكم الكل، ورأيت في بعض الكتب ولا أدري الآن أي كتاب هو أن نوحا عليه السلام لم يرسل إلا بالتوحيد ونحوه من أصول العقائد ولم يرسل بفروع، قيل: وكان بين إبراهيم وبينه عليهما السلام نبيان هود وصالح لا غير، ولعله أريد بالنبي الرسول لا ما هو أعم منه، وهذا بناء على أن ساما كان نبيا وكان بينهما على ما في جامع الأصول ألف سنة ومائة واثنتان وأربعون سنة، وقيل ألفان وستمائة وأربعون سنة.

وذهب الفراء إلى أن ضمير شيعته لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم، والظاهر ما أشرنا إليه وهو المروي عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي وقلما يقال للمتقدم هو شيعة للمتأخر، ومنه قول الكميت الأصغر بن زيد:." (١)

"ليس لهم أن يقطعوا أمرا دون الانتهاء إليه، فإن الخروج لما جعله الله تعالى غاية كان كذلك في الواقع، وإلى هذا ذهب الزمخشري، وتوهم ابن مالك أنه لم يقل به أحد غيره، واعترض عليه بقوله:

عينت ليلة فما زلت حتى ... نصفها راجيا فعدت يؤوسا

وأجيب بأنه على تسليم أنه من كلام من يعتد به مع أنه نادر شاذ لا يرد مثله نقضا مدفوع بأن معنى عينت ليلة عينت وقتا للزيارة وزيارة الأحباب يتعارف فيها أن تقع في أول الليل فقوله: حتى نصفها بيان لغاية الوقت المتعارف للزيارة الذي هو أول الليل والنصف ملاق له، وهو أولى من قول ابن هشام في المغني: إن هذا ليس محل الاشتراط إذ لم يقل: فما زلت في تلك الليلة حتى نصفها وإن كان المعنى عليه، وحاصله أن الاشتراط مخصوص فيما إذا صرح بذي الغاية إذ لا دليل على هذا التخصيص، وخفاء عدم الاكتفاء بتقديم ليلة في صدر البيت. نعم ما ذكر من أصله لا يخلو عن كلام كما يشير إليه كلام صاحب الكشف، ولذا قال الأظهر: إنه أوثر حتى تخرج اختصارا لوجوب حذف أن ووجوب الإظهار في إلى مع أن حتى أظهر دلالة على الغاية المناسبة للحكم وتخالف ما بعدها وما قبلها ولهذا جاءت للتعليل دون إلى، وفي قوله تعالى: إليهم إشعار بأنه عليه الصلاة والسلام لو خرج لا لأجلهم ينبغي أن يصبروا حتى يفاتحهم بالكلام أو يتوجه إليهم فليس زائدا بل قيد لا بد منه والله غفور رحيم بليغ المغفرة والرحمة فلذا اقتصر سبحانه على النصح والتقريع لهؤلاء المسيئين الأدب التاركين تعظيم رسوله صلى الله عليه وسلم، وقد كان مقتضى ذلك أن يعذبهم أو يهلكهم أو فلم تضق ساحة مغفرته ورحمته عز وجل عن هؤلاء ان تابوا وأصلحوا، ويشير إلى هذا قوله صلى الله عليه وسلم للأقرع بعد أن دنا منه عليه الصلاة والسلام وقال: أشهد أن لا إله إلا الله

---

(١) تفسير الألوسي = روح المعاني الألوسي، شهاب الدين ٩٦/١٢

وأنك رسول الله: ما يضرك ما كان قبل هذا، وفي الآيات من الدلالة على قبح سوء الأدب مع الرسول صلى الله عليه وسلم ما لا يخفى، ومن هذا وأمثاله تقتطف ثمر الألباب وتقتبس محاسن الآداب كما يحكى عن أبي عبيد وهو في الفضل هو أنه قال: ما دققت بابا على عالم حتى يخرج في وقت خروجه، ونقله بعضهم عن القاسم بن سلام الكوفي، **ورأيت في بعض الكتب** أن الحبر ابن عباس كان يذهب إلى أبي في بيته لأخذ القرآن العظيم عنه فيقف عند الباب ولا يدق الباب عليه حتى يخرج فاستعظم ذلك أبي منه فقال له يوما: هلا دققت الباب يا ابن عباس؟ فقال: العالم في قومه كالنبي في أمته وقد قال الله تعالى في حق نبيه عليه الصلاة والسلام: ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيرا لهم وقد رأيت هذه القصة صغيرا فعملت بموجبها مع مشايخي والحمد لله تعالى على ذلك.

يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا

أخرج أحمد وابن أبي الدنيا والطبراني وابن منده وابن مردويه بسند جيد عن الحارث بن أبي ضرار الخزاعي قال: قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاني إلى الإسلام فدخلت فيه وأقررت به ودعاني إلى الزكاة فأقررت بها وقلت: يا رسول الله أرجع إلى قومي فادعوهم إلى الإسلام وأداء الزكاة فمن استجاب لي جمعت زكاته وترسل إلي يا رسول الله رسولا لإبان كذا وكذا ليأتيك بما جمعت من الزكاة فلما جمع الحارث الزكاة ممن استجاب له وبلغ الإبان الذي أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبعث إليه احتبس الرسول فلم يأت فظن الحارث أن قد حدث فيه سخطة من الله تعالى ورسوله عليه الصلاة والسلام فدعا سروات قومه فقال لهم: رسول الله صلى الله عليه وسلم كان وقت لي وقتا يرسل إلى رسوله ليقبض ما كان عندنا من الزكاة وليس من رسول الله عليه الصلاة والسلام الخلف ولا أرى حبس رسوله إلا من سخطة فانطلقوا بنا نأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الوليد بن عقبة بن أبي معيط وهو أخو عثمان رضي الله تعالى عنه لأمه إلى الحارث ليقبض ما كان عنده مما جمع من الزكاة فلما أن سار الوليد إلى أن بلغ بعض الطريق فرق فرجع فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إن الحارث منعني الزكاة وأراد قتلي فضرب." (١)

"عليه ما

أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في زوائد الزهد والديلمي عن الحسن قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ثلاث لا يحاسب بهن العبد: ظل خص يستظل به، وكسرة يشد بها صلبه، وثوب يواري به عورته»

(١) تفسير الألوسي = روح المعاني الألوسي، شهاب الدين ١٣/٢٩٦

وأجيب بأنه إن صح فالمراد لا يناقش الحساب بهن. وقيل: المراد ما يضطر العبد إليه من ذلك لحياته فتأمل. **ورأيت في بعض الكتب** أن الطعام الذي يؤكل مع اليتيم لا يسأل عنه وكان ذلك لأن في الأكل معه جبرا لقلبه وإزالة لوحشته فيكون ذلك بمنزلة الشكر فلا يسأل عنه سؤال تقريع. وفي القلب من صحة ذلك شيء والله تعالى أعلم.." (١)

"وقوله عليه الصلاة والسلام على ما أخرجه الإمام أحمد والشيخان والترمذي والنسائي وابن ماجة وآخرون عن أنس عنه صلى الله عليه وسلم: «دخلت الجنة فإذا أنا بنهر حافتاه خيام اللؤلؤ، فضربت بيدي إلى ما يجري فيه الماء فإذا مسك أذفر، قلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذي أعطاكه الله تعالى»
.

وجاء في حديث عن أنس أيضا قال: دخلت على رسول الله فقال: «قد أعطيت الكوثر» قلت: «يا رسول الله وما الكوثر؟ قال: «نهر في الجنة عرضه وطوله ما بين المشرق والمغرب لا يشرب منه أحد فيظمأ ولا يتوضأ منه أحد فيشعث أبدا، لا يشرب منه من أخفر ذمتي ولا من قتل أهل بيتي»
.

وروي عن عائشة أنها قالت: هو نهر في الجنة عمقه سبعون ألف فرسخ ماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل، شاطئاه الدر والياقوت والزبرجد، خص الله تعالى به نبيه محمد صلى الله عليه وسلم من بين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. وقالت: ليس أحد يدخل أصبعيه في أذنيه إلا سمع خرير ذلك النهر
. وهو على التشبيه البليغ. وقيل: هو حوض له عليه الصلاة والسلام في المحشر. وقول بعضهم الاختلاف في الروايات سببه ملاحظة اختلاف سرعة السير وعدمها وهو قبل الميزان والصراط عند بعض وبعدهما قريبا من باب الجنة حيث يحبس أهلها من أمته صلى الله عليه وسلم ليتحاللوا من المظالم التي بينهم عند آخرين، ويكون على هذا في الأرض المبدلة. وقيل له صلى الله عليه وسلم حوضان حوض قبل الصراط وحوض بعده ويسمى كل منهما على ما حكاه القاضي زكريا كوثرا وصحح رحمه الله تعالى أنه بعد الصراط، وأن الكوثر في الجنة وأن ماءه ينصب فيه ولذا يسمى كوثرا وليس هو من خواصه عليه الصلاة والسلام كالنهر السابق بل يكون لسائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يرده مؤمنو أممهم.
ففي حديث الترمذي: «إن لكل نبي حوضا وإنهم يتباهون أيهم أكثر واردة، وإني أرجو أن أكون أكثرهم واردة»

---

(١) تفسير الألوسي = روح المعاني الألوسي، شهاب الدين ١٥/٤٥٦

. وهو كما قال حديث حسن غريب. وهذه الحياض لا يجب الإيمان بها كما يجب الإيمان بحوضه عليه الصلاة والسلام عندنا خلافا للمعتزلة النافين له لكون أحاديثه بلغت مبلغ التواتر بخلاف أحاديثها فإنها آحاد بل قيل: لا تكاد تبلغ الصحة. **ورأيت في بعض الكتب** أن الكوثر هو النهر الذي ذكره أولا وهو الحوض وهو على ظهر ملك عظيم يكون مع النبي صلى الله عليه وسلم حيث يكون فيكون في المحشر إذ يكون عليه الصلاة والسلام فيه، وفي الجنة إذ يكون عليه الصلاة والسلام فيها، ولا يعجز الله تعالى شيء. وقيل: هو أولاده عليه الصلاة والسلام لأن السورة نزلت ردا على من عابه صلى الله عليه وسلم وهم والحمد لله تعالى كثيرون قد ملؤوا البسيطة.

وقال أبو بكر بن عباس ويمان بن وثاب: أصحابه وأشياعه صلى الله عليه وسلم إلى يوم القيامة، وقيل: علماء أمته صلى الله عليه وسلم وهم أيضا كثيرون في كل قطر وإن كانوا اليوم في بعض الأقطار والأمر لله تعالى أقل قليل. وعن الحسن أنه القرآن وفضائله لا تحصى. وقال الحسين بن الفضل: هو تيسير القرآن وتخفيف الشرائع. وقيل: هو الإسلام. وقال هلال: هو التوحيد. وقال عكرمة: هو النبوة.

وقال جعفر الصادق رضي الله تعالى عنه: هو نور قلبه صلى الله عليه وسلم

. وقيل هو العلم والحكمة. وقال ابن كيسان: هو الإيثار. وقيل هو الفضائل الكثيرة المتصف بها عليه الصلاة والسلام.

وقيل المقام المحمود وقيل غير ذلك. وقد ذكر في التحرير ستة وعشرين قولا فيه وصحح في البحر قول النهر وجماعة أنه الخير الكثير والنعم الدنيوية والأخروية من الفضائل والفواضل، ورواه ابن جرير وابن عساكر عن مجاهد وهو المشهور عن الحبر ابن عباس رضي الله تعالى عنهما. وقد أخرج البخاري وابن جرير والحاكم من طريق أبي بشر عن سعيد بن جبير عنه رضي الله تعالى عنه أنه قال: الكوثر الخير الذي أعطاه الله تعالى إياه عليه الصلاة والسلام. قال أبو بشر: قلت لسعيد فإن ناسا يزعمون أنه نهر في الجنة. قال: النهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله عز وجل إياه صلى الله عليه وسلم. وحكي هذا الجواب عن ابن عباس نفسه أيضا وفيه إشارة إلى أن ما صح في الأحاديث من تفسيره صلى الله عليه وسلم إياه بالنهر من باب التمثيل والتخصيص لنكتة وإلا فبعد أن صح." (١)

"ربي

[الكهف: ١٠٩] لا أن الإذن منه ممكن في ذلك وأصل آذن أأذن بهمزتين الأولى للتكلم، والثانية من

---

(١) تفسير الألوسي = روح المعاني الألوسي، شهاب الدين ١٥/٤٧٩

صلب الكلمة قلبت ألفا لوقوعها ساكنة بعد همزة إن هذا الصنيع لمكر مكرتموه لحيلة احتلتموها أنتم وموسى وليس مما اقتضى الحال صدوره عنكم لقوة الدليل وظهور المعجزة، وهذا تمويه منه على القبط يريهم أنهم ما غلبوا ولا انقطعت حجتهم، قيل: وكذا قوله: قبل أن آذن لكم في المدينة أي في مصر قبل أن تخرجوا إلى الميعاد.

أخرج ابن جرير وأبو الشيخ عن ابن مسعود وناس من الصحابة قال: التقى موسى عليه السلام وأمير السحرة فقال له موسى: أرأيتك إن غلبتك أتؤمن بي وتشهد أن ما جئت به حق فقال الساحر: لآتين غدا بسحر لا يغلبه سحر فو الله لئن غلبتني لأؤمن بك ولأشهدن أنك حق وفرعون ينظر إليهم

وهو الذي نشأ عنه هذا القول لتخرجوا منها أهلها أي القبط وتخلص لكم ولبني إسرائيل فسوف تعلمون عاقبة ما فعلتم، وهذا وعيد ساقه بطريق الإجمال للتهويل ثم عقبه بالتفصيل فقال: لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف أي من كل جانب عضوا مغايرا للآخر كاليد من جانب والرجل من آخر، والجار في موضع الحال أي مختلفة، والقول بأن من تعليلية متعلقة بالفعل أي لأجل خلافكم بعيد ثم لأصلبنكم أجمعين تفضيحا لكم وتنكيلا لأمثالكم، والتصليب مأخوذ من الصلب وهو الشد على خشبة أو غيرها وشاع في تعليق الشخص بنحو حبل في عنقه ليموت وهو المتعارف اليوم، **ورأيت في بعض الكتب** أن الصلب الذي عناه الجبار هو شد الشخص من تحت الإبطين وتعليقه حتى يهلك، وهو كقطع الأيدي والأرجل أول من سنه فرعون على ما أخرجه ابن المنذر وغيره عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، وشرعه الله تعالى لقطاع الطريق تعظيما لجرمهم، ولهذا سماه سبحانه محاربة لله ولرسوله قالوا استئناف بياني إنا إلى ربنا منقلبون أي إلى رحمته سبحانه وثوابه عائدون إن فعلت بنا ذلك فيا حبذاه.

أخرج ابن أبي حاتم عن ابن جبير أن السحرة حين خروا سجدا رأوا منازلهم تبنى لهم، وأخرج عن الأوزاعي أنهم رفعت لهم الجنة حتى نظروا إليها، ويحتمل أنهم أرادوا أنا ولا بد ميتون فلا ضير فيما تتوعدنا به والأجل محتوم لا يتأخر عن وقته:

ومن لم يمت بالسيف مات بغيره ... تعددت الأسباب والموت واحد

ويحتمل أيضا أن المعنى أنا جميعا ننقلب إلى الله تعالى فيحكم بيننا:

إلى ديان يوم الدين نمضي ... وعند الله تجتمع الخصوم

وضمير الجمع على الأول للسحرة فقط، وعلى الثاني لهم ولفرعون، وعلى الثاني يحتمل الأمرين وما تنقم أي ما تكره، وجاء في الماضي نقم ونقم على وزن ضرب وعلم منا معشر من آمن:

إلا أن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا وذلك أصل المفاخر وأعظم المحاسن، والاستثناء مفرغ، والمصدر في موضع المفعول به، والكلام على حد قوله:

ولا عيب فيهم غير أن ضيوفهم ... تعاب بنسيان الأحبة والوطن

وقيل: إن تنقم مضارع نقم بمعنى عاقب، يقال: نقم منه نقما وتنقاما وانتقم إذا عاقبه، وإلى هذا يشير ما روي عن عطاء، وعليه فيكون أن آمنا في موضع المفعول له، والمراد على التقديرين حسم طمع فرعون في نجع تهديده إياهم، ويحتمل أن يكون على الثاني تحقيقا لما أشاروا إليه أولا من الرحمة والثواب. ثم أعرضوا عن مخاطبته وفزعوا والتجئوا إليه سبحانه وقالوا: ربنا أفرغ علينا صبرا أي أفض علينا صبرا يغمرنا كما يفرغ الماء، أو صب علينا ما يطهرنا من الآثام وهو الصبر على وعيد فرعون، «فأفرغ» على الأول استعارة تبعية تصريحية وصبرا قرينتها." (١)

"فالمراد بالقرية أهلها مجازا شائعا والقرينة هنا أظهر من أن تخفى، وقوله تبارك وتعالى: إلا قوم يونس استثناء منقطع كما قال الزجاج وسيبويه والكسائي. وأكثر النحاة أي لكن قوم يونس لما آمنوا عند ما رأوا أمارات العذاب ولم يؤخروا إلى حلوله كشفنا عنهم عذاب الخزي أي الذل والهوان في الحياة الدنيا بعد ما أظلهم وكاد ينزل بهم ومتعناهم بمتاع الدنيا بعد كشف العذاب عنهم إلى حين أي زمان من الدهر مقدر لهم في علم الله تعالى. ونقل عن ابن عباس أن المراد إلى يوم القيامة فهم اليوم أحياء إلا أن الله تعالى سترهم عن الناس على حد ما يقال في الخضر عليه السلام، **ورأيت في بعض الكتب** ما يوافقه إلا أنه ذكر فيه أنهم يظهرون أيام المهدي ويكونون من جملة أنصاره ثم يموتون والكل مما لا صحة له. وقال آخرون: الاستثناء متصل، ويراد من القرية أهلها المشرفون على الهلاك.

وقيل: العاصون ويعتبر النفي الذي يشعر به التحضيض وهو مشعر بالأمر أيضا ولذا جعلوه في حكمه إلا أنه لا يصح اعتباره على تقدير الاتصال لما يلزمه من كون الإيمان من المستثنين غير مطلوب وهو غير مطلوب بل فاسد، وقيل: لا مانع من ذلك على ذلك التقدير لأن أهل القرى محضوضون على الإيمان النافع وليس قوم يونس محضوضين عليه لأنهم آمنوا، والذوق يأبى إلا اعتبار النفي فقط حال اعتبار الاتصال» ويكون قوله سبحانه: لما آمنوا استئنافا لبيان نفع إيمانهم. وقرىء «إلا قوم» بالرفع على البدل من قرية المراد بها أهلها، وأيد بذلك القول بالاتصال واعتبار النفي لأن البدل لا يكون إلا في غير الموجب، وخرج بعضهم هذه القراءة على أن إلا بمعنى غير وهي صفة ظهر إعرابها فيما بعدها كما في قوله على رأي:

---

(١) تفسير الألوسي = روح المعاني الألوسي، شهاب الدين ٢٨/٥

وكل أخ مفارقه أخوه ... لعمر أبيك إلا الفرقدان

وظاهر كلامهم أن الاستثناء مطلقا من قرية، وعن الزمخشري أنه على الأول من القرية لا من الضمير في آمنت وعلل بأن المنقطع بمعنى لكن فيتوسط بين الكلامين المتغايرين فلا يعتمد ما لا يستقل ولأنه لا مدخل للوصف أعني الإيمان في المستثنى منه فالاستثناء عن أصل الكلام، وأما على الثاني فهو استثناء من الضمير من حيث المعنى جعل في اللفظ منه أو من القرية إذ لا فرق في قولك: كان القوم منطلقين إلا زيدا بين جعله من الاسم أو من الضمير في الخبر لأن الحكم إنما يتم بالخبر، وإنما الفرق في نحو ضربت القوم العالمين إلا زيدا، ثم قال: ونظير هذا في الوجهين قوله تعالى: إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين إلا آل لوط [الحجر: ٥٨، ٥٩] ووجه ذلك ظاهر. وفي الكشف أن وجه الشبه اختلاف معنى الهلاك على الوجهين كاختلاف معنى الإرسال هنالك على الوجهين، وكأنه عنى بالهلاك المأخوذ قيدا في قوله فهلا كانت قرية من القرى التي أهلكناها فتدبر. وفي يونس لغات تثليث النون مهموزا وغير مهموز والمتواتر منها الضم بلا همز.

وكان من قصة هؤلاء القوم على ما روي عن غير واحد أن يونس عليه السلام بعث إلى أهل نينوى من أرض الموصل وكانوا أهل كفر وشرك فدعاهم إلى الإيمان بالله تعالى وحده وترك ما يعبدون من الأصنام فأبوا عليه وكذبوه فأخبرهم أن العذاب مصبحهم إلى ثلاث فلما كانت الليلة الثالثة ذهب عنهم من جوف الليل فلما أصبحوا تغشاهم العذاب فكان فوق رؤوسهم ليس بينهم وبينه إلا قدر ثلثي ميل، وجاء أنه غامت السماء غيما أسود هائلا يدخن دخانا شديدا فهبط حتى غشي مدينتهم واسودت أسطحتهم فلما أيقنوا بالهلاك طلبوا نبيهم فلم يجدوه فخرجوا إلى الصحراء بأنفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم ولبسوا المسوح وأظهروا الإيمان والتوبة وفرقوا بين الوالدة وولدها من الناس." (١)

"فاسألوهما عن ذلك قالوا: هذه آية أخرى، ثم سألوه عن العدة والأحمال والهيئات فمثلت له العير فأخبرهم عن كل ذلك وقال: تقدم (١) يوم كذا مع طلوع الشمس وفيها فلان وفلان يقدمها جمل أورق عليه غرارتان مخيطتان قالوا: وهذه آية أخرى فخرجوا يشتدون ذلك اليوم نحو الثنية فجعلوا ينظرون متى تطلع الشمس فيكذبوه إذ قال قائل: هذه الشمس قد طلعت وقال آخر: هذه العير قد أقبلت يقدمها بعير أورق فيها فلان وفلان كما قال فلم يؤمنوا وقالوا: هذا سحر مبين قاتلهم الله أنى يؤفكون. وفي بعض الآثار أن أم هانىء قالت: فقدته صلى الله عليه وسلم وكان نائما عندي فامتنع مني النوم مخافة أن يكون عرض

(١) تفسير الألوسي = روح المعاني الألوسي، شهاب الدين ١٨٠/٦

له بعض قريش ويقال إنه تفرقت بنو عبد المطلب يلتمسونه ووصل العباس إلى ذي طوى وهو ينادي يا محمد يا محمد فأجابه صلى الله عليه وسلم فقال: يا ابن أخي أعييت قومك أين كنت؟ قال: ذهبت إلى بيت المقدس قال: من ليلتك قال: نعم قال: هل أصابك الأخير؟ قال ما أصابني الأخير

وقيل: غير ذلك.

وكما اختلف في مبدأ الإسراء اختلف في سنته فذكر النووي في الروضة أنه كان بعد النبوة بعشر سنين وثلاثة أشهر، وفي الفتاوى أنه كان سنة خمس أو ست من النبوة، ونقل عنه الفاضل الملا أمين العمري في شرح ذات الشفاء الجزم بأنه كان في السنة الثانية عشرة من المبعث. وعن ابن حزم دعوى الإجماع على ذلك، وضعف ما في الفتاوى بأن خديجة رضي الله تعالى عنها لم تصل الخمس وقد ماتت قبل الهجرة بثلاث سنين. وقيل كان قبل الهجرة بسنة وخمسة أشهر، وقيل ثلاثة أشهر، ووقع في حديث شريك بن أبي نمرة عن أنس أنه كان قبل أن يوحى إليه صلى الله عليه وسلم وقد خطأه غير واحد في ذلك، ونقل الحافظ عبد الحق في كتابه الجمع بين الصحيحين حديث شريك الواقع فيه ذلك بطوله، ثم قال: هذا الحديث بهذا اللفظ من رواية شريك عن أنس قد زاد فيه زيادة مجهولة وأتى بألفاظ غير معروفة.

وقد روي حديث الإسراء عن أنس جماعة من الحفاظ المتقنين والأئمة المشهورين كابن شهاب. وثابت البناني وقتادة فلم يأت أحد منهم بما أتى به شريك، وشريك ليس بالحافظ عند أهل الحديث.

وأجاب عن ذلك محيي السنة وغيره بما ستسمعه إن شاء الله تعالى، وكذا اختلف في شهره وليلته فقال النووي في الفتاوى: كان في شهر ربيع الأول، وقال في شرح مسلم تبعا للقاضي عياض: إنه في شهر ربيع الآخر، وجزم في الروضة بأنه في رجب، وقيل: في شهر رمضان، وقيل: في شوال، وكان على ما قيل الليلة السابعة والعشرين من الشهر وكانت ليلة السبت كما نقله ابن الملقن عن رواية الواقدي، وقيل: كانت ليلة الجمعة لمكان فضلها وفضل الإسراء، ورد بأن جبرائيل عليه السلام صلى بالنبي صلى الله عليه وسلم أول يوم بعد الإسراء الظهر ولو كان يوم الجمعة لم يكن فرضها الظهر قاله محمد بن عمر السفيري، وفيه أن العمري ذكر في شرح ذات الشفاء أن الجمعة والجنازة وجبتا بعد الصلوات الخمس، وفي شرح المنهاج للعلامة ابن حجر إن صلاة الجمعة فرضت بمكة ولم تقم بها لفقد العدد أو لأن شعارها الإظهار وكان صلى الله عليه وسلم بها مستخفيا، وأول من أقامها بالمدينة قبل الهجرة أسعد بن زرارة بقرية على ميل من المدينة.

ونقل الدميري عن ابن الأثير أنه قال: الصحيح عندي أنها كانت ليلة الاثنين واختاره ابن المنير، وفي البحر

قيل إن الإسراء كان في سبع عشرة من شهر ربيع الأول والرسول صلى الله عليه وسلم ابن إحدى وخمسين سنة وتسعة أشهر وثمانية وعشرين يوما، وحكى أنها ليلة السابع والعشرين من شهر ربيع الآخر عن الجرمي، وهي على ما نقل السفيري عن الجمهور أفضل الليالي حتى ليلة القدر مطلقا، وقيل هي أفضل بالنسبة إلى النبي صلى الله عليه وسلم إلى أمته عليه الصلاة والسلام

---

(١) رأيت في بعض الكتب أنه يوم الأربعاء اه منه.." (١)

"وكلبهم الظاهر أنه الحيوان المعروف النباح، وله أسماء كثيرة أفرد لها الجلال السيوطي رسالة، قال كعب الأحبار: هو كلب مروا به فتبعهم فطردوه فعاد ففعلوا ذلك مرارا. فقال لهم: ما تريدون مني لا تخشوا جانبي أنا أحب أحياء الله تعالى فناموا وأنا أحرسكم

، وروي عن ابن عباس أنه كلب راع مروا به فتبع دينهم وذهب معهم وتبعهم الكلب، وقال عبيد بن عمير: هو كلب صيد أحدهم، وقيل: كلب غنمه ولا بأس في شريعتنا باقتناء الكلب لذلك وأما فيما عداه وما عدا ما ألحق به فمنهي عنه، ففي البخاري عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما من اقتنى كلبا ليس بكلب صيد أو ماشية نقص كل يوم من عمله قيراطان، وفي رواية قيراط، واختلف في لونه فأخرج ابن أبي حاتم من طريق سفيان قال: قال لي رجل بالكوفة يقال له عبيد وكان لا يتهم بكذب رأيت كلب أصحاب الكهف أحمر كأنه كساء أنبجاني، وأخرج عن كثير النواء قال: كان الكلب أصفر، وقيل كان أنمر (١) وروي ذلك عن ابن عباس، وقيل غير ذلك، وفي اسمه فأخرج ابن أبي حاتم عن الحسن أنه قطمير، وأخرج عن مجاهد أنه قطمورا، وقيل ريان، وقيل ثور، وقيل غير ذلك، وهو في الكبر على ما روي عن ابن عباس فوق القلطي ودون الكردي.

وأخرج ابن أبي حاتم عن عبيد أنه قال رأيته صغيرا زينينا. قال الجلال السيوطي: يعني صينيا، وفي التفسير الخازني تفسير القلطي بذلك، وزعم بعضهم أن المراد بالكلب هنا الأسد وهو على ما في القاموس أحد معانيه.

وقد جاء أنه صلى الله عليه وسلم دعا على كافر بقوله: اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فافترسه أسد وهو خلاف الظاهر، وأخرج ابن المنذر عن ابن جريج أنه قال: قلت لرجل من أهل العلم زعموا أن كلبهم كان أسدا فقال: لعمر الله ما كان أسدا ولكنه كان كلبا أحمر خرجوا به من بيوتهم يقال: له قطمورا وأبعد

---

(١) تفسير الألوسي = روح المعاني الألوسي، شهاب الدين ٨/٨

من هذا زعم من ذهب إلى أنه رجل طباخ لهم تبعهم أو أحدهم قعد عند الباب طليعة لهم، نعم حكى أبو عمرو الزاهدي غلام ثعلب أنه قرىء «وكالبهم» بهمزة مضمومة بدل الباء وألف بعد الكاف من كلأ إذا حفظ. ولا يبعد فيه أن يراد الرجل الربيئة لكن ظاهر القراءة المتواترة يقتضي إرادة الكلب المعروف منه أيضا وإطلاق ذلك عليه لحفظه ما استحفظ عليه وحراسته إياه. وقيل في هذه القراءة إنها تفسير أو تحريف، وقرأ جعفر الصادق رضي الله تعالى عنه «وكالبهم» بباء موحدة وزنة اسم الفاعل

والمراد صاحب كلبهم كما تقول لابن وتامر أي صاحب لبن وتمر وجاء في شأن كلبهم أنه يدخل الجنة يوم القيامة. فعن خالد ابن معدان ليس في الجنة من الدواب إلا كلب أصحاب الكهف وحمار بلعم، **ورأيت في بعض الكتب** أن ناقة صالح وكبش إسماعيل أيضا في الجنة ورأيت أيضا أن سائر الحيوانات المستحسنة في الدنيا كالظباء والطواويس وما ينتفع به المؤمن كالغنم تدخل الجنة على كيفية تليق بذلك المكان وتلك النشأة وليس فيما ذكر خبر يعول عليه فيما أعلم نعم في الجنة حيوانات مخلوقة فيها، وفي خبر يفهم من كلام الترمذي صحته التصريح بالخيل منها والله تعالى أعلم.

وقد اشتهر القول بدخول هذا الكلب الجنة حتى إن بعض الشيعة يسمون أبناءهم بكلب علي ويؤمل من سمي بذلك النجاة بالقياس الأولوي على ما ذكر وينشد:

فتية الكهف نجا كلبهم ... كيف لا ينجو غدا كلب علي

ولعمري إن قبله علي كرم الله تعالى وجهه كلبا له نجا ولكن لا أظن يقبله لأنه عقور باسط ذراعيه مادهما، والذراع من المرفق إلى رأس الأصبع الوسطى ونصب ذراعيه على أنه مفعول باسط وعمل مع أنه بمعنى الماضي واسم الفاعل لا يعمل إذا كان كذلك لأن المراد حكاية الحال الماضية. وذهب الكسائي وهشام وأبو جعفر

---

(١) أي فيه نمرة بيضاء ونمرة سوداء اه منه.." (١)

"وذكروا أنه كان شديد الوطأة كثير الغزو فمله قومه فأغروا ابنه حسان على قتله فقتله، ولا يخفى أن كلا هذين الشخصين لا يصح أن يكون المراد بذي القرنين الذي ذكر أنه لقي إبراهيم عليه السلام أما الأول فلأنهم ذكروا أنه ملك بعد ياسر ينعم بن عمرو وملك ياسر بعد بلقيس زوجة سليمان عليه السلام وكان عمها فكيف يتصور أن يكون هذا ذاك مع بعد زمان ما بين إبراهيم وسليمان عليهما السلام. وأما الثاني

---

(١) تفسير الألوسي = روح المعاني الألوسي، شهاب الدين ٢١٥/٨

فلأنه بعد هذا بكثير مع أنه لم يطلق عليه أحد ذا القرنين ولا نسب إليه غزوا في مشارق الأرض ومغاربها **ورأيت في بعض الكتب** أن في زمن منوجهر بن ايرج بن أفريدون بعث موسى عليه السلام وكان ملك اليمن في زمانه شمر أبا الملوك وكان في طاعته انتهى، وعليه أيضا لا يمكن أن يكون شمر هذا هو ذا القرنين السابق وهو ظاهر وإذا أسقطت جميع هذه الأقوال عن الاعتبار بناء على ما قيل إن أخبار ملوك اليمن مضطربة لا يكاد يوقف على روايتين متفقين فيها واعتبرت القول بأنه كان في زمن إبراهيم عليه السلام ملك منهم هو ذو القرنين بناء على حسن الظن بقائل ذلك أشكل الأمر من وجه آخر وهو أن كتب التواريخ قاطبة ناطقة بأن فريدون كان في زمان إبراهيم عليه السلام وأنه قسم المعمورة بين بنيه الثلاثة حسبما تقدم فكيف يتسنى مع هذا القول بأن ذا القرنين رجل من ملوك اليمن كان في ذلك الزمان أيضا، ويجيء نحو هذا الإشكال إذا قلنا إن ذا القرنين هو أحد الإسكندرين اليوناني والرومي وقلنا بأنه كان في زمن إبراهيم عليه السلام أيضا، والحاصل أن القول بأن فريدون كان في ذلك الزمان وكان مالكا المعمورة كما في عامة تواريخ الفرس يمنع القول بأن ذا القرنين في ذلك الزمان غيره بل القول بوجود أحد الثلاثة من فريدون وذي القرنين التبعي وأحد الإسكندرين في ذلك الزمان وملكه المعمورة يمنع من القول بوجود غيره منهم في ذلك الزمان وملكه المعمورة أيضا، واستشكل كون ذي القرنين أيا كان من هؤلاء الثلاثة في زمان إبراهيم عليه السلام بأن نمرود كان في زمانه أيضا، وقد جاء ملك الدنيا مؤمنان وكافران أما المؤمنان فسليمان عليه السلام وذو القرنين وأما الكافران فنمرود وبختنصر ولا مخلص من ذلك على تقدير صحة الخبر إلا بأن يقال كان زمان إبراهيم عليه السلام ممتدا ووقع ملكهما الدنيا متعاقبا وهو كما ترى.

ورأيت في بعض الكتب القول بأن ذا القرنين ملك نمرود وينحل به الإشكال. وقال بعضهم: الذي تقتضيه كتب التواريخ عدم صحة الخبر أو تأويله إذ ليس في شيء منها عموم ملك سليمان عليه السلام أو ملك نمرود أو بختنصر والظاهر عدم الصحة. واستشكل أيضا كونه في ذلك الزمان بأنه لم يذكر في التوراة كما يدعيه اليهود اليوم كافة ويبعد ذلك غاية البعد على تقدير وجوده فالظاهر من عدم ذكره عدم كونه موجودا، وأجيب بأنا لا نسلم عدم ذكره، فقد أخرج ابن أبي حاتم عن السدي أن اليهود قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: يا محمد إنك إنما تذكر إبراهيم وموسى وعيسى والنبيين لأنك سمعت ذكرهم منا فأخبرنا عن نبي لم يذكره الله تعالى في التوراة إلا في مكان واحد قال: ومن هو؟ قالوا: ذو القرنين الخبر بل الظاهر من سؤالهم أن له ذكرا في كتابهم وإنكارهم اليوم ذلك لا يلتفت إليه على أن ما ذكر في الاستشكال مجرد استبعاد ولا يخفى أنه ليس مانعا قويا، هذا وبالجملة لا يكاد يسلم في أمر ذي القرنين شيء من الأقوال

عن قيل وقال، وكأني بك بعد الاطلاع على الأقوال وما لها وما عليها تختار أنه الإسكندر بن فليقوس غالب دارا وتدعي أنه يقال له اليوناني كما يقال له الرومي وأنه كان مؤمنا بالله تعالى لم يرتكب مكفرا من عقد أو قول أو فعل وتقول إن تلمذته على أرسطو لا تمنع من ذلك:

فموسى الذي رباه جبريل كافر ... وموسى الذي رباه فرعون مرسل

وقد تتلمذ الأشعري على المعتزلة ورئيس المعتزلة على الحسن، وقد خالف أرسطو أفلاطون في أكثر المسائل وكان تلميذه، والقول بأن أرسطو كان بمنزلة الوزير عنده وكان يستشيره في المهمات ويعمل برأيه لا يدل على اتباعه له في سائر اعتقاداته فإن ذلك على تقدير ثبوته إنما هو في الأمور الملكية لا المسائل الاعتقادية على أن الملا صدر الدين." (١)

"سماع بعض عن بعض، وهذا من مذهب البخاري، فإن الأكثر يعتبرون بالمعاصرة فقط أيضا. ثم في المعاصرة والسماع صور:

إحداها: عدم اللقاء وعدم المعاصرة بين الراوي والمروى عنه فالرواية منقطعة عند الكل.

وثانيها: تحقق المعاصرة واللقاء فالرواية مقبولة عند الكل.

وثالثها: ثبوت المعاصرة لا السماع فالرواية مقبولة عند الجمهور وغير مقبولة عند البخاري ويقول البخاري، في مثل هذا: لم يثبت سماع فلان عن فلان، وزعم البعض أن هذا التعبير من البخاري يدل على نفي السماع والحال أن غرضه يكون بيان عدم علمه بالسماع ولا يدل على نفيه السماعد ثم السماع عند البخاري لا يجب أن يكون في الرواية التي تكون تحت البحث بل يكفي السماع في غير تلك الرواية أيضا، كما **رأيت في بعض الكتب** أنه سئل البخاري: هل لفلان سماع عن فلان؟ قال: نعم فإنه صرح بالسماع في رواية غير هذه الرواية، وأخرج أبو داود حديث الباب وسكت عن الحكم عليه وصححه ابن السكن، وصحيح ابن السكن لا يكون أقل من الحسن لذاته.

واعلم أن المتقدمين كانوا لا يفرقون بين الحسن والصحيح، والحديث عندهم، صحيح أو ضعيف وليست مرتبة الحسن عندهم، وقال الحافظ ابن تيمية: إن الحسن لذاته والصحيح واحد عند المتقدمين، حتى أن نقل الإجماع على وحدة الحسن لذاته والصحيح، وأقول: إن نقل الإجماع مشكل، وقيل: إن أول من أخرج مرتبة الحسن هو الترمذي، أقول: قد ثبت استعمال الحسن عن البخاري وعن ابن المديني وفي طبقات ابن سعد ومصنف ابن أبي شيبة في حديث الباب «إن الله أمدكم الليلة» وقال ابن سعد: إن خارجة بن حذافة

(١) تفسير الألوسي = روح المعاني الألوسي، شهاب الدين ٣٥٠/٨

من مسلمي فتح مكة فيكون الإمداد بعد فتح مكة، أي وجوب الوتر بعد فتح مكة فيكون خلاف ما حققت أن وجوب الوتر قبل وجوب الخمسة، وكذلك البردان واجبتان قبل وجوب الخمسة فأجيب عما حققت: إن خارجة لعله لم يسمع هذا الحديث منه عليه الصلاة والسلام بل من صحابي آخر، وأيضا الزيادة في هذه الليلة زيادة الوترية، وكانت صلاة الليل شفعة قبل هذه الليلة فالزيادة في الإيتار، وكذلك قال الخطابي: إن الزيادة زيادة الإيتار ولا يتوهم أن الصلاة صارت بعد الزيادة غير ما كانت قبل فإن الصلاة الرباعية كانت ثنائية ثم صارت أربعا، ولا يقول أحد بأن الثانية غير الأولى، وأقول: إن المنسوخ في آخر المزمل طول القراءة لا أصل الصلاة، وما من لفظ يدل على أن المنسوخ أصل الصلاة وقد كانت الصلاة فريضة اتفاقا قبل، وكذلك قال البخاري: إن المنسوخ بعض صلاة الليل لا كلها وإني ادعيت أن البخاري قائل بوجوب بعض صلاة الليل ولا أقل من الوتر كما سيظهر من البخاري فإن (من) في ما يكون فيه (ما) و (من) بعضية في جميع البخاري، وليست ببيانية كما زعم وسيأتي الكلام في البخاري، وصرح أبو بكر بن العربي المالكي في عارضة الأحوذي شرح الترمذي بأن البخاري قائل بوجوب الوتر، وقال الحافظ: لو لم." (١)

"النذارة مشفوعة بالبشارة فدل ذكرها عليها، قال بعضهم: إن عموم هذه الآية وقوله تعالى: (وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم) الآية ٢٩ من سورة الانعام في ج ٢، يفيد أن في البهائم وسائر الحيوانات أنبياء أو علماء ينذرونهم. وهو قول باطل لا تخفى سماجته على البهائم أمثال هذا القائل.

وما نقل عن الشيخ محي الدين قدس سره في هذا المعنى لا يكاد يصح، وإذا كان موجودا في كتبه فهو من جملة ما دس فيها عليه من الجمل التي يبعد أن تصدر عن مثله. قال محمود الآلوسي في تفسيره رأيت في بعض الكتب أن القول بذلك كفر وأنا أقول إذا لم يكن كفرا فهو قريب منه، والأولى أن لا يكون كفرا لاحتمال التأويل في ذلك وكل ما احتمل فيه التأويل لا يكفر به، وعلى فرض أنها كبيرة ففاعلها لا يكفر راجع تفسير الآية ٧٦ من سورة يس والآية ١٩ من سورة الفرقان المارتين، قال تعالى «وإن يكذبوك» يا سيد الرسل «فقد كذب الذين من قبلهم» أنبياءهم وآذوهم كما فعل بك قومك وقد «جاءتهم رسلهم بالبينات» الواضحات مثل ما جئتهم به «وبالزبر» الصحف المكتوبة على الألواح المنزلة من لدنا على أنبيائهم السابقين «وبالكتاب» الذي أنزلناه جملة واحدة كالتوراة والإنجيل والزبور «المنير» ٢٥ كل منها بأوضح وأفصح الدلائل على توحيدنا ومع ذلك لم يؤمنوا، فلا تذهب نفسك حسرات عليهم. وفي هذه

(١) العرف الشذي شرح سنن الترمذي الكشميري ٤٢٤/١

الآية تسلية لحضرة الرسول مما يلاقي من نكد قومه ليخفف عنه بعض همه عليهم واهتمامه بهم، لاستعجال إيمانهم، وإن شأنه شأن من قبله من الأنبياء مع أقوامهم، وان له أسوة بهم في عدم قبول الدعوة وتحمل الأذى «ثم أخذت الذين كفروا» بهم وبكتبهم بعقوبات متنوعة بعد إمهالهم مددا يتذكر فيها من يتذكر «فكيف كان نكير» ٢٦ عليهم وتعذيبي لهم إنه كان شيئا عظيما لم يتصوروه، ولم يقدر على إنزال مثله غيري أنا الإله المنتقم ممن كفر بي، وفي هذه الآية تهديد لقريش قوم محمد صلى الله عليه وسلم بأنهم إذا لم يؤمنوا يحل بهم ما حل بغيرهم من النكال «ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها» في الخضرة والحمرة والصفرة." (١)

"وفي رواية لمسلم من حديث أنس: (أن أهل مكة سألوا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر مرتين) (١) .

وهذه الرواية تقضي على جميع الإشكالات، فهي تدل أن الانشقاق حصل مرتين، فمرة رأوه فوق جبل أبي قبس ومرة عند الصفا، وإن كان بعض العلماء يشكك في هذه اللفظة (مرتين) ويرى أنها (فرقتين) (٢) .

ولو سلمنا التعارض التام بين هاتين اللفظتين من كل جهة، فهذا لا يضر في أصل الحديث، وأقصى ما فيه أن ابن مسعود، أو أحد الرواة عنه كان يهم في اسم الجبلين، فتارة يقول (شقة على أبي قبيس وشقة على السويداء) ، وتارة (فانشق القمر نصفين، نصفا على الصفا، ونصفا المروة) ، وأما أصل الحديث وهو الشاهد منه، أن القمر انشق، فليس فيها أي اضطراب أو نسيان أو وهم.

ولو سلمنا أن هذا الاضطراب يسقط الاحتجاج بالحديث، فما القول إذن بحديث علي، وحذيفة، وجبير بن مطعم، وابن عمر رضي الله عنهم أجمعين.

ثالثا: الإشكال الفلكي:

دعواه وجوب وجود النقل القطعي على هذه الحادثة، فنقول: قد وجد. فالحديث منقول في أصح الكتب، بل نص العلماء على تواتره، بل ذكره الله في كتابه، بل أجمع العلماء على وقوعه، بل حتى الكفار قد ذكروه في كتبهم ممن عاصروا الحادثة. فقد ذكر ابن كثير في البداية والنهاية: (إنه قد ذكر غير واحد من المسافرين

---

(١) بيان المعاني ملا حويش ١٢٥/٢

أنهم شاهدوا هيكلا بالهند مكتوبا عليه أنه بني في الليلة التي انشق القمر فيها) (٣) .

ويؤيد هذا ما نقله السيد رشيد رضا نفسه حيث قال: (على أن الحافظ المزي نقل عن شيخ الإسلام ابن تيمية، أن بعض المسافرين ذكر أنه رأى في بلاد الهند بناء قديما مكتوبا عليه أنه بني ليلة انشق القمر) .

ثم قال رشيد رضا: (وأذكر أنني **رأيت في بعض الكتب** أو الصحف، أن هذا رؤي في بلاد الصين) (٤) .

و (في مقابلة تليفزيونية للأستاذ الدكتور زغلول النجار، سأله مقدم البرنامج عن هذه الآية؛ (اقتربت الساعة وانشق القمر (: هل فيها إعجاز قرآني علمي؟ فأجاب الدكتور زغلول قائلا: هذه الآية لها معي قصة. فمنذ فترة كنت أحاضر في جامعة كارديف (Cardif) غرب بريطانيا، وكان الحضور خليطا من المسلمين وغير المسلمين، وكان هناك حوار حي للغاية عن الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، وفي أثناء هذا الحوار، وقف شاب من المسلمين وقال: يا سيدي هل ترى في قول الحق تبارك وتعالى: (اقتربت الساعة وانشق القمر (لمحة من لمحات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم؟ فأجبته: لا؛ فالأعجاز العلمي يفسره العلم، أما المعجزات فلا يستطيع العلم أن يفسرها، فالمعجزة أمر خارق للعادة فلا تستطيع السنن أن تفسرها، وانشقاق القمر معجزة حدثت لرسول الله (تشهد له بالنبوة والرسالة، والمعجزات الحسية شهادة صدق على من رآها، ولولا ورودها في كتاب الله تعالى وفي سنة رسوله (ما كان علينا نحن مسلمي هذا العصر أن نؤمن بها ولكننا نؤمن بها لورودها في كتاب الله تعالى وفي سنة رسوله (؛ ولأن الله تعالى قادر على كل شيء، قال: ثم ذكرت لهم الروايات الثابتة في انشقاق القمر.

---

(١) أخرجه مسلم (كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب انشقاق القمر، رقم:٢٨٠٢) .

(٢) انظر فتح الباري (٧/٢٢٢) .

(٣) البداية والنهاية لابن كثير (٦/٧٧) .

(٤) مجلة المنار، المجلد ٣٠ الجزء الخامس ص ٣٦٢.." [1]

"إبراهيم بن أبي عبلة قال قدمت المدينة وبها ابن المسيب وغيره وقد بزهم عمر يومئذ رأيا وقال محمد بن سعد أخبرنا محمد بن عمر حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه قال لما قدم عمر بن عبد العزيز

---

(١) دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم = الطعن في القرآن الكريم والرد على الطاعنين عبد المحسن المطيري ص/

المدينة واليا عليها كف حاجة الناس ثم دخلوا فسلموا عليه فلما صلى الظهر دعا عشرة نفر من فقهاء البلد عروة بن الزبير وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة وأبا بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام وأبا بكر بن سليمان بن خيثمة وسليمان بن يسار والقاسم بن محمد وسالم بن عبد الله وعبد الله بن عامر بن ربيعة وخارجة بن زيد بن ثابت فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال إني أدعوكم لأمر تؤجرون عليه وتكونون فيه أعوانا على الحق ماأريد أن أقطع أمرا إلا برأيكم أو برأي من حضر منكم فإن رأيتم أحدا يتعدى أو بلغكم عن عامل ظلامه فأحرج بالله على أحد بلغه ذلك إلا بلغني فجزوه خيرا وافترقوا وقال ابن وهب عن الليث حدثني قادم البربري أنه ذاكر ربيعة بن أبي عبد الرحمن شيئا من قضاء الله عمر بن عبد العزيز إذ كان بالمدينة فقال له ربيعة كأنك تقول إنه أخطأ والذي نفسي بيده ماأخطأ قط قلت وقد **رأيت في بعض الكتب** العتيقة حكاية مرسلة عن الإمام أحمد بن حنبل أنه قال لست أحتج بقول أحد من التابعين إلا بقول عمر بن عبد العزيز رحمه الله هذا الكلام صحيح من وجهين عند كثير من علماء الأصول أحدهما أن إجماع أهل المدينة حجة كما هو مذهب مالك ونص ربيعة الرأي هذا لأنه قد اتفق مع فقهاء عصره على أن لا يحكم إلا بقولهم وهو وهم أهل الحل والعقد وعليهم تدور الفتاوى في زمانهم رحمهم الله الثاني أن قول الإمام إذا اشتهر ولم ينكر يكون حجة بخلاف غيره من العلماء وهو اختيار بعض علماء الأصول ولم تكن هذه الخاصة إلا لعمر بن عبد العزيز من بين التابعين رحمهم الله وقال علي بن حرب عن سفيان بن عيينة قال مجاهد أتيناه نعلمه فما برحنا حتى تعلمنا منه قال وقال ميمون بن مهران ماكانت العلماء عند عمر بن عبد العزيز إلا تلامذة." (١)

"أرطاة النخعي١، عن الحارث بن مرة الجهني٢، عنه٣.

قوله: وقد سئل مالك عن أربعين مسألة، فقال في ست وثلاثين منها: لا أدري٤.

٣٤٦- **رأيت في بعض الكتب**، في أدب المفتي والمستفتي.

أن الهيثم بن جميل٥ قال: "شهدت مالكا، وقد سئل عن ثمان وأربعين مسألة فقال في اثنتين وثلاثين منها: لا أدري".

وكذلك نقلها الشيخ محيي الدين النووي٦ في مقدمة شرح المهذب٧.

قوله: و "لو استقبلت من أمري ما استدبرت، لما سقت الهدي" ٨.

٣٤٧- قال جابر في حديثه الطويل في مسلم: "حتى إذا كان آخر طوافه -يعني: رسول الله صلى الله عليه

---

(١) مسند الفاروق لابن كثير ابن كثير ٦٩٧/٢

وسلم- على المروة قال: "إني لو ٩ استقبلت من أمري

---

١ لم أقف على ترجمته، ولعله: أرطاة بن أبي أرطاة، روى عن عكرمة وروى عنه الحجاج بن أبي عثمان الصواف.

انظر ترجمته في التاريخ الكبير ٢/ ٥٨، والجرح والتعديل ٢/ ٣٢٦.

٢ لم أقف على ترجمته.

٣ لم أقف على كتاب سيف المذكور، ولم أر أحدا من المخرجين أو غيرهم يعزوه إليه، ولم تذكر هذه الرواية في نسخة ف والله أعلم.

٤ انظر القولة في مختصر المنتهى ص"٢٢١ و٢٢٢".

٥ هو: الهيثم بن جميل البغدادي أبو سهل. ثقة، من أصحاب الحديث، قال الحافظ في التقريب: وكأنه ترك فتغير. من صغار التاسعة، مات سنة ثلاث عشرة ومائة.

التقريب ٢/ ٣٢٦، التهذيب ١١/ ٩٠، الكواكب النيرات ص٤٩٦.

٦ هو: الإمام محيي الدين يحيى بن شرف بن مري، الحزامي الحوراني الشافعي، الحافظ الثقة القدوة الورع، شيخ الإسلام صاحب المصنفات، مشهور. مات سنة ست وسبعين وستمائة. تذكرة الحفاظ ٤/ ١٤٧٠.

٧ المجموع ١/ ٧٤.

وأخرجها ابن عبد البر في الانتقاء بسنده، عن الهيثم بن جميل ص٣٨.

٨ انظر القولة في مختصر المنتهى ص"٢٢٢".

٩ كذا في نسخة الأصل وفي نسخة ف: "لو استقبلت...." وفي الصحيح: "لو أني استقبلت....".." (١)

"بين رجلين ينطف١ رأسه ماء أو يهرق٢ ماء فقلت: من هذا؟ قالوا: هذا المسيح ابن مريم، فذهبت ألتفت فإذا رجل أحمرجسيم جعد الرأس؟ أعور العين اليمنى كأن عينه عنبة طافية؟ قلت: من هذا؟ قالوا: الدجال: وأقرب الناس به شبها ابن قطن قال الزهري: ابن قطن رجل من خزاعة هلك في الجاهلية وتقدم في حديث النواس بن سمعان "فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق في مهرودتين٣ واضعا كفيه على أجنحة ملكين؟ إذا طأطأ رأسه قطر وإذا رفعه تحدر منه مثل جمان اللؤلؤ، ولا يحل٤ لكافر يجد ريح نفسه إلا مات؟ ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه ".

---

(١) تحفة الطالب بمعرفة أحاديث مختصر ابن الحاجب ابن كثير ص/٣٩٢

هذا هو الأشهر في موضع نزوله أنه على المنارة البيضاء الشرقية بدمشق؟ وقد **رأيت في بعض الكتب** أنه ينزل على المنارة البيضاء شرقي جامع دمشق فلعل هذا هو المحفوظ، وتكون الرواية فينزل على المنارة البيضاء الشرقية بدمشق فتصرف الراوي في التعبير بحسب ما فهم، وليس بدمشق منارة تعرف بالشرقية سوى التي إلى شرق الجامع الأموي، وهذا هو الأنسب والأليق، لأنه ينزل وقد أقيمت الصلاة فيقول له: يا إمام المسلمين، يا روح الله، تقدم، فيقول: تقدم أنت فإنها أقيمت لك، وفي رواية بعضكم على بعض أمراء، يكرم الله هذه الأمة، وقد جدد بناء المنارة في زماننا في سنة إحدى وأربعين وسبعمائة من حجارة بيض، وكان بناؤها من أموال النصارى الذين حرقوا المنارة التي كانت مكانها، ولعل هذا يكون من دلائل النبوة الظاهرة حيث قيض الله بناء هذه المنارة البيضاء من أموال

---

١ ينطف: يقطر.

٢ يهرق: يسيل.

٣ الثوب المهرود المصبغ بالورس.

٤ لا يحل: لا يتأتى ولا يمكن.." (١)

"فقلت: من هذا؟ قالوا: ابن مريم. فذهبت ألتفت، فإذا رجل أحمر جسيم، جعد الرأس، أعور عينه اليمنى، كأن عينه عنبة طافية. قلت: من هذا؟ قالوا: هذا الدجال، وأقرب الناس به شبها ابن قطن» ". قال الزهري: رجل من خزاعة هلك في الجاهلية.

وتقدم في حديث النواس بن سمعان: " «فينزل عند المنارة البيضاء، شرقي دمشق، بين مهرودتين، واضعا كفيه على أجنحة ملكين، إذا طأطأ رأسه قطر، وإذا رفعه تحدر منه مثل جمان اللؤلؤ، ولا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه» ".

هذا هو الأشهر في موضع نزوله أنه على المنارة البيضاء الشرقية بدمشق، وقد **رأيت في بعض الكتب**: أنه ينزل على المنارة البيضاء شرقي جامع دمشق. فلعل هذا هو المحفوظ، وتكون الرواية: " فينزل على المنارة البيضاء الشرقية بدمشق " فتصرف الراوي في التعبير بحسب ما فهم، وليس في دمشق منارة تعرف بالشرقية سوى التي إلى جانب الجامع الأموي بدمشق من شرقيه، وهذا هو الأنسب والأليق؛ لأنه ينزل، وقد أقيمت الصلاة، فيقول له إمام المسلمين: " يا روح الله تقدم ". فيقول: " تقدم أنت، فإنها إنما أقيمت لك ". وفي

---

(١) النهاية في الفتن والملاحم ابن كثير ١٩٢/١

رواية: " «بعضكم على بعض أمراء، تكرمة الله هذه الأمة» ".
وقد جدد بناء منارة في زماننا في سنة إحدى وأربعين وسبعمائة، من حجارة بيض، من أموال النصارى الذين حرقوا المنارة التي كانت مكانها، ولعل هذا يكون من دلائل النبوة الظاهرة، حيث قبض الله بناء هذه المنارة البيضاء من أموال." (١)

"وقيل: إن أول من قام به من قريش ودعا إليه بعد نداء الرجل اليمني صاحب البضاعة بتلك الأبيات على الجبل يستعدي على السهمي: هو الزبير بن عبد المطلب، فقال: إن هذا الأمر ما ينبغي لنا أن نمسك عنه، فطاف في بني هاشم وبني زهرة وبني أسد وبني تيم، فاجتمعوا في دار عبد الله بن جدعان، وتحالفوا بالله لنكونن يدا للمظلوم على الظالم حتى نؤدي إليه حقه ما بل بحر صوفه، وما رسا ثبير وحراء في مكانه، وعلى التوادد والتعاقل. فتم ذلك إلى أن جاء الإسلام، وفي ذلك يقول الزبير بن عبد المطلب: من الوافر
حلفت لنعقدن حلفا عليهم ... وإن كنا جميعا أهل دار
نسميه الفضول إذا عقدنا ... يعز به الغريب لدى الجوار
ويعلم من حوال البيت أنا ... أباة الضيم نمنع كل عار
وأما حلف الأحابيش مع قريش: فقد قال الزبير بن بكار: حدثني محمد بن الحسن قال: تحالفت قريش والأحابيش، فصارت الأحابيش حلفا لقريش دون بني كنانة، و الذين جروا حلفهم لقريش بنو عبد مناف بن قصي، والأحابيش: هم بنو الحارث بن عبد مناة بن كنانة، والحياء، والمصطلق بن خزاعة والقارة: بنو الهون بن خزيمة بن مدركة، ومالك وملكان ابنا كنانة، وهذيل كلهم: يدا واحدة مع قريش، وكانت خزاعة كلها إلا الحياء والمصطلق مع بني مدلج، وكان تحالف قريش والأحابيش على الركن، يقوم رجل من قريش، والآخر من الأحابيش؛ فيضعان أيديهما على الركن؛ فيحلفان بالله وبحرمة هذا البيت والمقام والركن والشهر الحرام على النصر على الخلق جميعا حتى يرث الله الأرض ومن عليها، وعلى التعاون والتعاقل، وعلى من عاداهم من الناس جميعا، ما طلعت الشمس من مشرقها وما غربت من مغربها، تدونا ونديكم إلى يوم القيامة.
قلت: **ورأيت في بعض كتب** السير: إنما سموا الأحابيش؛ لعقدهم ذلك الحلف عند جبل بأسفل مكة، يقال له: حبشي، فالله تعالى أعلم بالحقائق.
وأما يوم الفجار الأول: فقال الفاكهي عند ذكر الفجار الأول، وما كان فيه بين قريش وقيس عيلان وسبب ذلك: حدثنا عبد الملك بن محمد، عن زياد بن عبد الله، عن محمد بن إسحاق قال: ثم هاج يوم الفجار

(١) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ٢٢٩/١٩

الأول بين قريش ومن كان إليها من كنانة كلا وبين قيس عيلان، سببه أن رجلا من بني كنانة كان عليه دين لرجل من بني نضر بن معاوية بن بكر بن هوازن، فأعدم به الكناني، فوافاه النضري بسوق عكاظ بقرد معه، فوقف به في السوق فقال: من يعني مثل هذا بمالي على فلان ابن فلان الكناني وإنما أراد بذلك تعيير الكناني وقومه، فمر به رجل من كنانة، فضرب القرد بالسيف فقتله أنفا مما يقول النضرين فصرخ النضري في قيس، وصرخ الكناني في بني كنانة، فتجاوز الناس حتى كاد أن يكون بينهم قتال، ثم تداعوا إلى الصلح ويسر الخطب في أنفسهم، فتراجع الناس وكف بعضهم عن بعض، ولم يكن بينهم إلا ذلك.

ويقال: بل سببه أن فتية من قريش قعدوا إلى امرأة من بني عامر في هيئة جميلة، وهي في درع فضل، وكذلك كن نساء العرب تفعل، فأعجبهم ما رأوا من حسن هيئتها، فقالوا لها: يا أمة الله، أسفري لنا عن وجهك ننظر إليك، فأبت عليهم، فقام غلام منها إلى خلفها فشك درعها إلى ظهرها بشوكة والمرأة لا تدري، فلما قامت انكشف الدرع عن دبرها، فضحكوا، وقالوا: منعتينا أن ننظر إلى وجهك، فقد نظرا إلى دبرك، فصاحت المرأة ببني عامر فضجت، فتجاوز الناس، ثم ترادوا ورأوا أن الأمر دون ذلك.

وقيل في السبب: إن رجلا من بني غفار بن مدركة بن خندف، يقال له: أبو ميسرة كان عارفا من العراف متعنتا في نفسه بسوق عكاظ، فمد رجله وقال: من الرجز

أنا ابن مدركة بن خندف ... من يطعنوا في عينه لم يطرف

ومن تكونوا ... قومه يغطرف

أنا والله أعز العرب، فمن زعم أنه أكرم مني فليضربها بالسيف، فضربها رجل من قيس بالسيف، فخدشها خدشا غير كبير، فتجاوز الناس عند ذلك، حتى كاد أن يكون بينهم قتال ثم تراجعوا ورأوا أنه لم يكن كبير أمر، فكل هذا الحديث يقال في سبب حرب الفجار الأول، والله أعلم أي ذلك كان هو.." (١)

"الشاه عباس بن سلطان محمد خدابنده ابن طهماسب بن شاه إسمعيل بن سلطان حيدر بن سلطان حيدر بن سلطان شيخ جنيد بن سلطان شيخ صدر الدين إبراهيم بن سلطان خواجه علي بن شيخ صدر الدين موسى بن سلطان شيخ صفي الدين أبو إسحق بن شيخ أمين الدين جبريل بن السيد صالح بن السيد قطب الدين أحمد بن السيد صلاح الدين رشيد بن السيد محمد الحافظ كلام الله بن السيد عوض الخواص بن السيد فيروز شاه درين كلاه بن محمد شرف شاه بن محمد بن أبي حسن بن محمد بن إبراهيم بن جعفر ابن محمد بن إسمعيل بن محمد بن أحمد العراقي بن محمد قاسم بن أبي القسم حمزة بن الإمام

(١) سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، ٩٣/١

موسى الكاظم بن الإمام جعفر الصادق بن الإمام محمد الباقر بن الإمام علي زيد العابدين بن الإمام الحسين ابن الإمام علي بن أبي طالب رضوان الله تعالى عليهم هذا نسب سلاطين العجم الذين منهم صاحب الترجمة وأول من بالغ في التشيع وأظهره سلطان حيدر وكان ذلك في سنة ست وتسعمائة وقيل في تاريخه مذهبنا حق ويروى أن بعض أهل السنة سمع هذا التاريخ فقال مذهبنا حق على النفي فإننا في الفارسي أداة نفي ومن ذلك العهد هاجر كثير من أهل السنة الذين في بلادهم إلى كثير من البلاد وتغلبت سلاطين بلادنا العثامنة على ملوكهم من عهد السلطان سليم الأول فإنه ركب على شاه إسمعيل وأخذ منه بلادا وقهره وكذلك فعل السلطان سليم الثاني فإنه جهز عليهم جيشا فأخذوا منهم تبريز وشروان وكيلان وروان وكثيرا من القصبات والولايات واستمروا مغلوبين إلى أن ظهر شاه عباس صاحب الترجمة فولى السلطنة بخراسان في سنة خمس وتسعين وتسعمائة مكان والده في حياته وكان جلوسه بقزوين لكون والده كان أعمى وقد استولت في أيامه أمراء قزلباش على الدولة واتخذوها حصصا فسفك فيهم واستقل بالأمر وكان في ابتداء أمره يداري طرف آل عثمان ويرسل ابن أخيه حيدرا بالهدايا والتحف إلى أن مات ملك الاوزبك خان وولده عبد المؤمن في سنة عشر بعد الألف وكان ملوك الأوزبك أخذوا من خراسان بلادا فاستخلصها واحدة بعد واحدة ثم قصد جدال عثمان لما كان وقع من الاختلال بسبب الجلالية الذين ظهروا في زمن السلطان أحمد ونقض العهد الذي بينه وبينهم وحاصر مملكة تبريز وروان واستولى عليهما ثم أخذ قندهار من بلاد الهند واستولى على خوارزم وكيلان وسجستان ثلاثة وأربعين سنة وكان سلطانا صاحب جاش وقوة مكر غدارا محتالا فاسترد بعض البلاد وتقوى في العسكر والعدة فأخذ بغداد من يد آل عثمان وقد قدمنا سبب أخذه لها وأنه كان الفاعل لذلك بكر كبير عسكرها وأن الشاه دخلها بمخامرة منه ومن ابنه محمد وفعل ما فعل فيها وفي أهلها وكان أخذه لها في ثالث شهر ربيع الثاني سنة اثنتين وثلاثين وألف واستمرت في يده إلى سنة ثمان وأربعين فأخذها من يده السلطان مراد وسنذكر خبر أخذها إن شاء الله تعالى في ترجمة السلطان مراد المذكور ومن ذلك العهد لزم شاه عباس حدهم الأصلي الذي كان في زمن الشاه إسمعيل ولم يتجاوزه لا هو ولا أبناؤه إلى يومنا هذا وطال عمره في السلطنة وبلغ من العزة والحرمة نهاية أمانيه وخدمه أجلاء العلماء في مناصبه منهم الشيخ الأستاذ محمد بهاء الدين بن حسين الحارثي الهمذاني الشامي فإنه كان مفتيه ومشيد أركان دولته وباسمه ألف كثيرا من كتبه ورسائله ونوه به وقد **رأيت في بعض كتبه** غريبة حكاها في سياق ذكره قال إن سلطان زماننا خلد الله ملكه وأجرى في بحار التأييد فلكه عرض له يوما في مصيده خنزير عظيم الجثة طويل السن الخارج فضربه بالسيف ضربة نصفه بها نصفين ثم أمر

بقلع سنه والإتيان بها إليه فوجد مكتوبا عليها لفظ الجلالة بخط بين مثبت ناتئ منها فحصل له ولنا ولمن حضر المصيدة من العسكر المنصور نهاية العجب فإن ذلك من أغرب الغرائب ولما أرانيها أدام الله نصره وتأييده قال لي كيف يجتمع هذا م ع نجاسة الخنزير فقلت له إن السيد المرتضى قائل بطهارة ما لا تحله الحياة من نجس العين ووجود هذا الخط على هذا السن ربما يؤيد كلامه طاب ثراه فإن السن مما لا تحله الحياة انتهى ومن المقربين إليه من الحذاق الحكيم شفائي وكان حكيمه وطبيبه ونديمه الخاص وكان شاعرا مطبوعا مليح التخيل وكان عند الشاه في المكانة المكينة ثم غضب عليه فحمى ميلا حديدا وكحله به فأعماه وأبعده عن مجلسه وأحواله وأموره غريبة جدا ومما يحكى عنه في باب اللطائف." (١)

"، الصَّالِحي، الشافعي، المعروف بـ: ''ابن الأحدب''، (٩٢١ ـ ١٠١٠هـ)(١).

(٣) الإمام الكبير، والمحدث الثَبْتُ، والورع الزاهد، الجامع للعلوم: أحمد بن أبي الوفاء علي، أبو الوفاء، المُفْلِحي، الصَّالحي ، شهاب الدين، الشهير بـ: ''الوفائي''، (٩٣٤ ـ ١٠٣٨هـ)(٢).

وقد **رأيتُ في بعض كتب** الأسانيد والإجازات، أنَّ ''الوفائي'' هذا يروي عن الحَجَّاوي، فيكون قد أجازه، ولم أرَ من ذكر ذلك ممن ترجمَ له(٣).

(٤) الشيخ المسند، والفقيه الفاضل: أبو بكر بن زيتون، الدِّمشقي، الصَّالِحي، (... ـ ١٠١٢هـ)(٤).

(٥) الشيخ: محمد بن أحمد بن محمد، شمس الدين، المَرْدَاوي، المقدسي، ثم الصَّالحي، (... ـ ...هـ)(٥).

وهو ابن شيخ الحَجَّاوي: شهاب الدين، الشهير بـ: ''ابن الدِّيوان'' السَّابق في شيوخه برقم: (٣).

---

(١) انظر ترجمته في: ''تراجم الأعيان'' [خ] (٣٠٤/١)، و ''لطف السَّمر'' (٢٤١/١ ـ ٢٤٢)، و ''خلاصة ال أثر'' (٣٦/١ ـ ٣٧)، وأشار إليه الغَزِّي في: ''النَّعت الأكمل'' (ص ١٢٥).

(٢) انظر ترجمته في: ''خلاصة الأثر'' (١٦٥/١ ـ ١٦٦)، و ''تراجم الأعيان'' [ط] (٤٨/١ ـ ٥٠)، و ''النَّعت الأكمل'' (ص ١٩٨ ـ ٢٠٤)، و ''السُّحُب الوابلة'' (١١٦/١ ـ ١١٨).

(٣) انظر: ''رياض أهل الجنة'' (ص ٢٢٧ ـ ٢٢٨) [الأصل]، و ''رياض أهل الجنة'' (ص ٤٢) [اختصار الفاداني]، و ''فهرس الفهارس'' (٣٢٦/١)، و ''إجازة الرواية'' لعبدالحق الهاشمي (ص ٧).

(٤) انظر ترجمته في: ''لطف السَّمر'' (٢٥٧/١ ـ ٢٥٨)، و ''الجواهر والدرر'' (ورقة ١١)، و ''النَّعت

---

(١) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، ٤٨٨/١

الأكمل'' (ص ١٧٦ - ١٧٧).

(٥) لم أجد له ترجمة فيما بين يدي من المصادر.

ورأيت في: ''خلاصة الأثر'' (٣٥٦/٣)، و ''النَّعت الأكمل'' (ص ١٨٥)، و ''السُّحُب الوابلة'' (٨٨٥/٢ - ٨٨٦)، و ''مختصر طبقات الحنابلة'' (ص ١٠٦) ترجمةً لـ: شيخ الحنابلة بـ: ''مصر'': الإمام: محمد بن أحمد، المَرْدَاوي، القاهري (... - ١٠٢٦)، فلَعَلَّه هو، والله أعلم.." [1]

"قال ابن عبد الظاهر: **رأيت في بعض كتب** الأملاك القديمة ما يدل على أنها قريبة من القصر النافعي، وكذا ذكر لي السيد الشريف الحلبي، أنها دار ابن أزدمر المجاورة لدار سكنى الآن، خلف فندق مسرور الكبير، وكذلك قال لي والدي رحمه الله، وقد بناها جمال الدين الإستادار الحلبي: دارا عظيمة غرم عليها مائة ألف، وأكثر من ذلك على ما ذكره، انتهى. وموضع دار العلم هذه دار كبيرة ذات زلاقة بجوار درب ابن عبد الظاهر قريبا من خان الخليلي، بخط الزراكشة العتيق.

موسم أول العام: قال ابن المأمون، وأسفرت غرة سنة سبع عشرة، وخمسمائة، وبادر امستخدمون في الخزائن، وصناديق الإنفاق بحمل ما يحضر بين يدي الخليفة من عين، وورق من ضرب السنة المستجدة، ورسم جميع من يختص به من إخوته، وجهاته، وقرابته، وأرباب الصنائع، والمستخدمات، وجميع الأستاذين العوالي والأدوان، وثنوا بحمل ما يختص بالأجل المأمون، وأولاده، و إخوته، واستأذنوا علىتفرقة ما يختص بالأجل المأمون: وأولاده، والأصحاب والحواشي والأمراء، والضيوف، والأجناد، فأمروا بتفرقته، والذي اشتمل عليه المبلغ في هذه السنة نظير ما كان قبلها، وجلس المأمون باكرا على السماط بداره، وفرقت الرسوم على أرباب الخدم والمميزين من يجمع أصنافه على ما تضمنته الأوراق، وحضرت التعاشير، والتشريفات، وزي الموكب إلى الدار المأمونية، وتسلم كل من المستخدمين المدارج بأسماء من شرف بالحجبة، ومصفات العساكر، وترتيب الأسمطة، وأصمد كل منهم إلى شغله، وتوجه لخدمته، ثم ركب الخليفة، واستدعى الوزير المأمون، ثم خرج من باب الذهب، وقد نشرت مظلته، وخدمت الرهجية، ورتب الموكب والجنائب، ومصفات العساكر عن يمينه وشماله، وجميع تجار البلدين من الجوهريين والصيارف، والصاغة، والبزازين، وغيرهم قد زينوا الطريق بما تقتضيه تجارة كل منهم، ومعاشه لطلب البركة بنظر الخليفة.

وخرج من باب الفتوح، والعساكر فارسها وراجلها بتجملها وزيها، وأبواب حارات العبيد معلقة بالستور، ودخل من باب النصر والصدقات تعم المساكين، والرسوم تفرق على المستقرين إلى أن دخل من باب

---

(١) ترجمة الحجاوي، ص/١٤

الذهب، فلقيه المقرئون بالقرآن الكريم في طول الدهاليز إى أن دخل خزانة الكسوة الخاص، وغير ثياب الموكب غيرها، وتوجه إلى تربة آبائه للترحيم على عادته، وبعد ذلك إلى ما رآه من قصوره على سبيل الراحة، وعبيت الأسمطة، وجرى الحال فيها، وفي جلوس الخليفة، ومن جرت عادته، وتهيئة قصور الخلافة، وتفرقة الرسوم على ما هو مستقر.

وتوجه الأجل المأمون إلى داره، فوجد الحال في الأسمطة على ما جرت به العادة والتوسعة فيها أكثر مما تقدمها، وكذلك الهناء في صبيحة الموسم بالدار المأمونية والقصور، وحضر من جرت العادة بحضوره للهناء وبعدهم الشعراء على طبقاتهم، وعادت الأمور في أيام السلام، والركوبات، وترتيبها على المعهود. وأحضر كل من المستخدمين في الدواوين ما يتعلق بديوانه من التذاكر، والمطالعات مما تحتاج إليه الدولة في طول السنة، وينعم به ويتصدق ويحمل إلى الحرمين الشريفين من كل صنف على ما فصل في التذاكر على يد المندوبين، ويحمل إلى الثغور ويخزن من سائر الأصناف ما يستعمل، ويباع في الثغور والبلاد والاستيمار وجريدة الأبواب، وتذكرة الطراز والتوقيع عليها.

وقال ابن الطوير: فإذا كان العشر الأخير من ذي الحجة في كل سنة انتصب كل منن المستخدمين بالأماكن لإخراج آلات الموكب من الأسلحة وغيرها، فيخرج من خزائن الأسلحة ما يحمله صبيان الركاب حول الخليفة من الأسلحة، وهو الصماصم المصقولة المذهبة، مكان السيوف المحدبة، والدبابيس الكيمخت الأحمر والأسود، ورؤوسها مدورة مضرسة، واللتوت كذلك ورؤوساه مستطيلة مضرسة أيضا، وآلات يقال لها: المستوفيات، وهي عمد حديد من طول ذراعين مربعة الأشكال بمقابض مدورة في أيديهم بعدة معلومة من كل صنف، فيتسلمها نقباؤهم، وهي في ضمانهم، وعليهم إعادتها إلى الخزائن بعد تقضي الخدمة بها، ويخرج للطائفة من العبيد الأقوياء السودان الشباب، ويقال لهم: أرباب السلاح الصفر، وهم ثلثمائة عبد لكل واحد حربتان بأسنة مصقولة تحتها جلب فضة كل اثنتين في شرابة وثلثمائة درقة بكوامخ فضة، يتسلم ذلك عرفاؤهم على ما تقدم، فيسلمونه للعبيد لكل واحد حربتان ودرقة.." (١)

"ثم تقدم هذا الجيش بعد فتح إغرناطة إلى تدمير، وهي مرسية، وإنما سميت تُدمير باسم العلج صاحبها؛ وكان اسمها أوربولة، وهي كانت مدينتها القديمة. فقاتل العلج تدمير المسلمين قتالا شديداً؛ وكان في قوّضة. ثم انهزم في فحص لا يسترهم شيء؛ فوضع المسلمين فيهم السلاح حتى أفنوهم؛ ولجأ من بقى منهم إلى مدينة أربولة. وكان تدمير بصيرا بأبواب الحرب؛ فلما رأى قلة من معه من أصحابه، أمر النساء؛

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٦٥/٢

فنشرن شعورهن، وأعطاهن القصب، ووقفن على سور المدينة، ووقف معهن بقية الرجال. ثمَّ قصد بنفسه إلى جيش المسلمين كهيئة الرسول، واستأمن؛ فأمن وانعقد له الصلح ولأهل بلده؛ فافتتحت مدينة تدمير صلحا. فلما انعقد الصلح وتمَّ، أبرز لهم نفسه وقال:)أنا تدمير صاحب المدينة.(ثمّ أدخلهم البلد؛ فلم يروا فيه أحداً عنده مدفع؛ فندم المسلمون وأمضوا على ما أعطوه من الأمان؛ وكتبوا بالفتح إلى الأمير طارق؛ وأقام بتدمير رجال من أهل العسكر، وصاروا مع أهلها؛ وتقدّم معظم الجيش إلى طليطلة؛ فلحق بطارق، وهو عليها.

فتح طُليطُلة

وألقى طارق طليطلة خالية، ليس فيها إلاَّ اليهود في قوم قلة، وفرّ علجها مع أصحابه، ولحق بمدينة خلف الجبل. وتبعهم طارق، بعد أن ضمّ اليهود، وخلى معهم بعض رجالة وأصحابه بطليطلة؛ فسلك إلى وادي الحجارة؛ ثمّ استقبل الجبل؛ فقطعه من فج يسمى به إلى اليوم؛ فبلغ مدينة خلف الجبل، تسمى مدينة المائدة.

ثمّ فتح مدينة المائدة؛ فوجد فيها مائدة سليمان بن داود – عليهما السلام! وكانت من زبرجدة خضراء، حافاتها وأرجلها منها؛ وأصاب بها مالا وحليا كثيراً؛ ثم انصرف إلى طليطلة. هكذا آثر الناس هذا كله، على أنَّ طارقا صنعه. وقال آخرون: بل، أقام طارق حيث كانت الوقعة، وجاز إليه موسى. وقيل: بل، وجده بقرطبة.

وفي سنة ٩٢ من الهجرة، دخل موسى بن نصير الأندلس في رمضان، بعد دخول طارق بسنة، ومضى غازيا فيها، مفتتحا لحصونها هذه السنة وسنة أربع وبعض سنة خمس؛ فافتتح جميع حصونها، وهزم جميع من لقيه من أمرائها؛ فلم يلق كيداً من أحد، ولا انهزمت له راية، حتى انتهى إلى مدينة من مدن إفرنجة، يقال لها لوطون، وقد ملك ما سواها ودونها إلى أقصى برسلونة. فلما انتهى إلى مدينة لوطون، ضاق المسلمون، وخافوا أن يحاط بهم؛ فكلموه في ذلك؛ فقفل بهم راجعا. قال مُؤلِف)كتاب بهجة النفس(: **ورأيت في بعض كتب** العجم أن المسلمين انتهوا إلى مدينة لوطون قاعدة الإفرنج، ولم يبق لأهل الإسلام شيء لم يتغلبوا عليه مما وراء ذلك، إلاَّ جبال قرقوشة وجبال بنبلونة وصخرة حليقية؛ فأما الصخرة، فلم يبق فيها مع ملك حليقية سوى ثلاثمائة رجل، تلفوا بالموت والجوع والحصار؛ فلما لم يبق منهم إلا ثلاثمائة رجل، ورأى ذلك المرتبون معهم على حصارهم، استقلوهم؛ فتركوهم؛ فلم يزالوا يزدادون حتى كانوا سبب إخراج المسلمين من حليقية، وهي قشتيلة. وأما قرقوشة، فذكر عبد الملك ابن حبيب أنها افتتحت في زمن هشام

بن عبد الملك صلحا. وكان الافتتاح كما ذكرته في بقية سنة ٩٢ وبعض سنة ٩٣ من الهجرة.
وكان السبب في جواز موسى بن نصير إلى الأندلس أنه أغرى بطارق عبده. وذكر له ما أفاء الله عليه؛ فكتب له موسى بأقبح السبّ، وأمره ألاَّ يتجاوز قرطبة، حتى يقدم عليه. قال ابن القطان: قيل: إنما حمله على الجواز للأندلس تعدّى طارق ما أمره به ألاَّ يتعدَى قرطبة، على قول، أو موضع هزيمة لذريق، على قول. وقيل أيضاً: إنما حمله على ذلك الحسد لطارق على ما أصاب من الفتوح والغنائم. وقيل أيضاً: إنما جاز باستدعاء طارق اياه؛ فكان جوازه في رمضان، كما تقدّم.
قال الرازي: وحدّث الواقدي عن موسى بن عليّ بن رباح، عن أبيه، قال: خرج موسى بن نصير في عشرة آلاف من إفريقية، مغضبا على طارق، وتقدّم يريد الأندلس؛ فدخلها ونزل الجزيرة. فقيل له:)أسلك طريق طارق!(فقال:)لا، والله، أسلك طريقه!(فقال له الأدلاء من الأعلاج:)نحن ندلك على طريق هي أشرف من طريقه، وعلى مدائن هي أعظم خطرا من مدائنه، لم تفتح، يفتحها الله على يديك إن شاء الله!(فامتلأ موسى سرورا؛ فساروا به إلى مدينة شذونة؛ فافتتحها عنوة؛ وهي أوّل فتوحاته.
فتح قَرْمُونَة." (١)

"ذكر تصويب أرجح المذاهب، أقول أن رأى من رأى تقديم أحد الأركان على غيره هو محتل واه لأنهم يختلقون في الاستحالة والفساد وكيف يصح على رأي تاليس الماء وهو عنده مستحيل من الأرض وعلى رأي يراقليطس النار وهي مستحيلة عنده من الهواء وكذلك سائر الأركان أم كيف يجوز عندهم تولد حيوان أو تكب نبات من غير اجتماع هذه الأخلاط الأربع فيها لأن ما تفرد بطبع واحد لا يوجد منه غير حركته الطبيعية أو من زعم بابتداء البسائد ثم العناصر المركبة فإنه يفحش قوله لأن البسائط أعراض لا تقوم بذواتها ولا بد لها من حامل فكيف يصح وجودها بلا حامل وكذلك من زعم النور والظلمة لأنهما عرضان لا جسمان والأصح على مذهب هؤلاء ما رأى اثمادقليس من تقدم الاسطقسات الأربع وفساد هذا ظاهر عند المسلمين بأن الاسطقسات لا تخلو أن تكون أعراضاً فإن كانت أعراضاً فالعرض لا يقوم بنفسه أو يكون أجساماً وحد الجسم ما ذكرناه وإثر الحدث مقارن له أو يكون لا أجساماً ولا أعراضاً فهذا غير معقول عند المسلمين إلا البارئ جل جلاله فإنه خلاف خلقه من جميع الوجوه وإذا لم تكن أجساماً ولا أعراضاً عندهم فلابد أن يكون هو الهيولى الموهوم في مذهبه وهذا شيء لو كان موهوماً لما جاز وقوع الاختلاف فيه إلا من معاند كما لا يجوز وقوع الاختلاف في المعقول إلا من معاند مع أن الوهم لا يحصر

(١) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ص/١٤٣

ما لا حد ولا صفة من لون أو مقدار أو شيء من الأعراض المحسوسة وجملة هذا القول في هذا الباب مراعاة إثر الحدث فيما سوى البارئ جل جلاله فإذا ثبت ذلك علم أن ما كان محدثاً فلا بد له من ابتداء وإذا كان لا يقول بحدث العالم إلا الموحدون لم يوجد ابتداء ذلك إلا من جهتهم وهم يختلفون في الرواية عن علمائهم في الظاهر ومتفقون في المعنى إذا انعموا النظر فأما أهل الكتاب وما حكى عنهم فمحتمل غير أنه لا يجوز القطع به ما لم يصدقه كتابنا أو خبر نبيںا صلى الله عليه وسلم لما وقع فيهم من التحريف والتبديل ولأنه خلاف ما ذكر في أول التورية في ابتداء الخلق فالذي يوجبه العقل أن يكون مكان كل متمكن سابق له وإن لا يحل حركة إلا في جسم ولا يوجد إلا في زمان وإن لا يصح فعل اختيار وتدبير إلا من حي عالم وإن لا يحدث شيء إلا من شيء وإن الأركان الأربع سابقة للأجسام فمن قال بقدم هذه ومذهبه ومن قال بحدثها فما حاجته إلى تقديم ما قدم منها وقد أقر بأن الله أحدث الزمان من غير زمان والمكان في غير مكان والأركان من غير اللهم إلا أن يعمد فيه شيئاً من كتب الله فليس يجد في كتاب أول ما خلق ما هو فيقضي على ما خالفه بالرد والإنكار ولا بد لكل حادث من غاية ينتهي إليها كقولنا الساعة من اليوم واليوم من الأسبوع والأسبوع من الشر والشهر من السنة والسنة من الزمان والزمان من الدهر فقد انتهى إلى الزمان والزمان غايته وكما نقول فلان من فلان وفلان مں فلان كما ترفع مثلاً نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أدم ثم يقال وآدم من تراب فالتراب آخره وكذلك سائر الأشياء الحادثة لابد لها من غاية هذا ما يعاينه ويشاهده فلذلك وضعنا ما روينا عن أهل الكتاب على وجه الاحتمال فقد ذهب بعض أهل الإسلام إلى أن أول ما أحدث الزمن العلوي وهو وقت يظهر فيه الفعل ليس السفلي الذي هو من حركات الفلك ثم المكان الذي هو غير متجزئ ولا متماسك وهو فضاء وبسيط ذاهب خلاء محيط بالعالم قال وليس الهواء من الفضاء في شيء لأن الهواء جسم متجزئ ومنتشر وليس الخلاء بمتجزئ ولا محسوس ومعنى قوله لتجزئ أن الخلاء لا يدخل العالم منه شيء إلا يتحلله بتةً والهواء ما بين السماء والأرض ولا يخلو منه شيء والخلاء ما فيه السماء والأرض والهواء وثم الأجسام بأعراضها كذا **رأيت في بعض كتبهم** والله أعلم فإذا سأل سائل عن ابتداء الخلق فجوابه أن ما دون الله مخلوق نعم سؤالك عں العالم العلوي أم العالم السفلي أم عن الآخرة الموعودة أم عن الدنيا الفانية لأن كل شيء من هذه الأشياء ابتداء منه ابتداء ونشو فإن قيل هل غير الدنيا والآخرة شيء قيل العرش والكرسي والملائكة واللوح والقلم وسدرة المنتهى مخلوقة كلها ولا تعد من الدنيا ولا من الآخرة وكذلك الجنة والنار والصراط والميزان والصور

والأعراف والرحمة والعذاب مخلوقة عند كثير من الأمة ثم من بعدهم من أهل الكتاب ولا يعد من الدنيا ولا من الآخرة فإن قيل فقد قال." (١)

"انقضاض الكواكب **رأيت في بعض كتب** التأريخ أنه كان بين مبعث رسول الله صلعم وإلى أن رأت قريش النجوم يرمي بها في السماء عشرون يوما وقال الله عز وجل إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظا من كل شيطان مارد لا يستمعون إلى الملأ الأعلى ويقذفون من كل جانب دحورا ولهم عذاب واصب ألا من خطف الخطفة فاتبعته شهاب ثاقب فدل بقوله حفظا من كل شيطان مارد أنها لم تزل محفوظة مذ خلقت الكواكب لها زينة وقد سئل الزهري عن انقضاض الكواكب في الجاهلية فقال قد كان ذلك فلما بعث رسول الله صلعم شدد وغلظ ألا ترى إلى قول الشاعر

فأنقض كالكوكب الدري يتبعه ... نقع يخال على أرجائه الطنبا

وقد روى أخبار هذا الباب والذي يشبه الحق أنه قد كان قبل ذلك انقضاض الكواكب وأنه قرن به عند الوحي ضرب من العذاب يقضى به الخاطف المستمع والله أعلم، ذكر فترة الوحي قالوا ثم فتر الوحي عن رسول الله صلعم حتى شق عليه مشقة شديدة وفي رواية ابن عباس رضه أنه كان يعدو مرة إلى ثبير ومرة إلى حراء يريد أن يلقى نفسه منها فبينا هو كذلك إذ سمع صوتا فرفع صوته فإذا هو بالملك الذي جاءه بحراء بين السماء والأرض قال فخشيت رعبا ورجعت إلى أهلي فقلت زملوني فألقوا علي قطيفة سوداء وصبوا علي ماء بارد فنزل يا أيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر، ذكر اختلافهم أول من أسلم قيل خديجة رضها صلى رسول الله صلعم غداة يوم الاثنين وصلت خديجة آخر اليوم وقيل علي بن أبي طالب صلى رسول الله صلعم يوم الاثنين وصلى يوم الثلثاء وقيل زيد بن حارثة وقيل أبو بكر الصديق رضه وأما ابن اسحق فإنه يقول أول من ذكر من الناس آمن بمحمد صلعم علي بن أبي طالب عم ثم زيد بن حارثة ثم أبو بكر الصديق وأسلم بدعائه عثمان بن عفان ثم سعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف وطلحة بن عبيد الله فهولاء النفر الثمانية الذين سبقوا بالإسلام وروى الواقدي أن سعد بن أبي وقاص قال لقد أتى على يوم واني لثالث الإسلام وعن عمرو بن عنبسة كنت ثالثا أو رابعا في الإسلام وعن خالد بن سعيد بن العاص كنت خامسا في الإسلام وممن سبق إسلامه أبو عبيدة بن الجراح والزبير بن العوام وعثمان بن مظعون وقدامة بن مظعون وعبيدة بن الحارث وجعفر بن أبي طالب وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن جحش وأخوه أبو أحمد بن جحش وأبو سلمة بن عبد الأسد وواقد بن عبد الله وخنيس بن حذافة ونعيم

(١) البدء والتاريخ، ص/٤٥

بن عبد الله النحام وخباب بن الارت وعامر بن فهيرة رضهم أجمعين ومن النساء أسماء بنت عميس الخثعمية امرأة جعفر ابن أبي طالب وفاطمة بنت الخطاب امرأة سعيد بن زيد بن عمرو وأسما بنت أبي بكر وعائشة وهي صغيرة فكان إسلام هولاء في ثلاث سنين ورسول الله صلعم يدعو في خفية قبل أن يدخل دار أرقم بن أبي الأرقم ثم أسلم صهيب بن سنان وعمار ابن ياسر وكان إسلامهما بعد إسلام بضعة وثلاثين رجلا ثم فشا بمكة وتحدث به وأمر الله عز وجل رسوله بإظهار الدعوة فقال فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين وذلك في السنة الرابعة من النبوة." (١)

"

سلخه توفي الشيخ البركة بدر الحلبي اصله من الباب من قرب حلب وقدم دمشق من نحو سبعين سنة وكان عمره آنذاك فوق الثلاثين واستمر بدمشق يتجر بسوق جقمق ويقيم الوقت بالمسجد القريب من التوريزي في كل ليلة اربعاء ثم كان يغسل الموتى ثم تنقلت به الاحوال إلى ان عجز واقام ببيته ملازما للتلاوة والذكر والخير وكان سليم الفطرة ومن حين نشأت اجتمعت به فلم اسمعه قط يذكر احدا بسوء ولا يقع من لفظه قط الا ما يتعلق بالدار الآخرة وذكر الموت ونحو هذا مما لوحظ في مجالسه في آخرته وقد جاوز المائة ولم يبق الآن بدمشق من جاوز المائة الا رجل آخر يقال له المكشوف بالمسجد المجاور للقجماسية شرقي دار النيابة وخلف الشيخ بدر ثلاثة اولاد احدهم الشيخ محمد نشأ على خير ملازم لحانوته بسوق جقمق يتجر ويخرج الزكاة كما تدل نزعته ولا يدخل فيما لا يعنيه قط ولا يخالط احدا ولا يعرف له ما ينقم عليه به في دينه قط م ولده قبل الاربعين وثمانمائة ودونه الشيخ احمد يخالط الناس ويعاملهم وحصل اموالا جزيلة ثم عامل من اكلها عليه وعجز عن خلاصها منهم وكان قد وقعت له محنة تكلف بسببها مالا فسمعته يقول في بعض المجالس ان الذي غرمه يحسبه من الزكاة ويدعي ان هذا مذهب ابي حنيفة وقد سألت عن ذلك من يوثق به من الحنفية فقال ان مذهبهم ان الرجل إذا نوى عند الدفع انه من الزكاة وقع عنها **ورأيت** **في بعض كتبهم** تعليله

". (٢)

---

(١) البدء والتاريخ، ص/٢٢٩

(٢) تاريخ البصروي، ص/١٨١

"عن أبي هلال عن معاوية بن قرة قال: كانوا يرون أنه يموت مذنبا نادما أحب إليهم من أن يموت معجبا. (٤٥٣/٥)

عن حزم بن أبي حزم سمعت الحسن يقول: لو كان كلام بني آدم كله صدقا وعمله كله حسنا يوشك أن يخسر، قيل(١) وكيف يخسر؟! قال: يعجب بنفسه. (٤٥٤/٥)

فصل في محقرات الذنوب

عن غيلان عن أنس قال: إنكم لتعملون أعمالا هي أدق في أعينكم من الشعر إن كنا نعدها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أنها لمن الموبقات(٢). (٤٥٤/٥)

عن عبد الرحمن بن يزيد عن ابن مسعود قال: مثل المحقرات كمثل قوم سفر نزلوا(٣) بأرض قفر معهم طعامهم لايصلحهم إلا النار فتفرقوا فيجيء هذا بالروثة، ويجيء هذا بالعظم، ويجيء هذا بالعود، حتى جمعوا من ذلك ما أصلحوا به طعامهم، قال: فكذلك صاحب المحقرات يكذب الكذبة ويذنب الذنب ويجمع من ذلك ما يكبه الله [به] على وجهه في نار جهنم. (٤٥٤/٥)

عن أبي هريرة قال: أحذركم محقرات هذه الأعمال وإنها تحصى عليكم وترد عليكم. (٤٥٤/٥)

عن أبي عمران أنه سمع أبا أيوب الأنصاري يقول: إن الرجل ليعمل الحسنة يتكل عليها ويعمل المحقرات حتى يأتي الله وقد أخطرته؟؟، وإن الرجل ليعمل السيئة فيفرق(٤) منها حتى يأتي الله آمنا. (٤٥٦/٥)

عن قيس بن سعد قال: قال ابن عباس: لا كبيرة بكبيرة مع الاستغفار، ولا صغيرة بصغيرة مع الإصرار(٥). (٤٥٦/٥)

عن سري السقطي قال: رأيت في بعض كتب الحكماء: كان يقال: قليل الحكمة كثير النفع، وقليل الصدق كثير الصواب، وقليل اليقين كثير الإيمان، وقليل الجهل كثير الضرر، وقليل الإصرار كثير العقوبة. (٤٥٦/٥)

عن قتادة قال: قال لقمان لابنه: يا بني اعتزل الشر كما يعتزلك فإن الشر للشر خلق. (٤٥٧/٥)

---

(١) كانت (قال).

(٢) رواه البخاري.

(٣) كانت (تركوا).

(٤) كانت (فيغرق).

(٥) الرواية المشتهرة على ألسنة الناس ليست فيها (بكبيرة) ولا (بصغيرة)، والباء هنا زائدة دخلت على خبر (لا) تفيد التوكيد.." (١)

"برغم أن المقدسي قد ذكر عشرات الأقوال في التفسير – سواء ذكر اسم المفسر، أم أبهمه– لكنه لم ينص على كتاب في التفسير إلا في موضعين:

الموضع الأول

ذكر فيه تفسير الإمام الطبري (ت ٣١٠ هـ ٩٢٣م) يقول المقدسي " وفي الحديث الآخر أن السحاب ملك يتكلم بأحسن الكلام، ويضحك بأحسن الضحك، فالرعد كلامه، والبرق ضحكه، والله اعلم بصحة هذه الأخبار لأن محمد بن جرير الطبري – رحمه الله – روى في كتاب التفسير أن ابن عباس – رضي الله عنهما – كتب إلى ابن الجلد (١) يسأله عن الرعد والبرق.... (٢)

الموضع الثاني

قال فيه المقدسي " **ورأيت في بعض كتب** المفسرين ميلاً إلى هذا الرأي – أي إلى أن الفلك حي ناطق والكواكب لها النفس الناطقة واحتج له بقول الله تعالى " قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ "(٣) (فصلت آية:١١) والحق أن الباحث يظن ظناً راجحاً أن المقدسي استفاد كثيراً من تفسير الطبري، برغم عدم تصريحه بالنقل عنه، لأنه نقل كثيراً من التفسير بالمأثور، وقد كان ولا يزال تفسير الطبري العمدة فيه، ولكنه ربما آثر النقل عن مصادر الطبري طلباً لعلو المصدر وقربه من القائل. والله أعلم.

ثالثاً: كتب الأحاديث والآثار

يجدر بنا قبل التعرف على هذه المصادر التنبيه على عدة أمور:

---

١ كذا ذكره المقدسي : " ابن الجلد " والصواب " أبي الجلد " وأبو الجلد هو جيلان بن فروه الجوني الأزدي، كان ذا اطلاع على كتب الأقدمين، وهو محدث ثقة. انظر: ابن سعد: محمد بن سعد بن منيع الزهري، الطبقات الكبرى، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٤٢١هـ ٢٠٠١م، ج ٩ ص ٢٢١. ابن حبان،

---

(١) بلوغ الأرب بتقريب كتاب الشعب، ٤٦٢/١

الثقات، حيدرأباد الدكن بالهند، ١٣٣٩هـ ١٩٧٣م، ج ٤ ص ١١٩.
٢ البدء والتاريخ، ج ٢ ص ٣٣.
٣ المرجع السابق، ج ٢ ص ٩.." (١)

"آلات المفاصل : بالخل والسوسن على أوجاع المفاصل والورك ضمادا وينفع من عرق النسا .

أعضاء الرأس : أصله وعصارته على الصداع المزمن مع الخل ودهن الورد والسقمونيا أعضاء الصدر : هو مما يؤذي القلب .

أعضاء الغذاء : يضر بالمعدة والكبد جدا وتكسر سورته بالتسوية وبزر الكرفس أو الأنيسون وهو مكرب مغث يذهب شهوة الطعام ويعطش .

أعضاء النفض : يسهل الصفراء بقوة ويختلف في البلدان حتى إني رأيت في بعض كتب الأطباء له شربة كبيرة الوزن لكن الطبيب ينبغي أن يراعي قوة المريض وقوة أعضائه الرئيسة وهواء البلد الحاضر .

والسمقونيا يضر بالأمعاء ويحتمل الإسقاط .

وأصل شجرته إذا شرب منه درخمي أسهل مرة وبلغما .

وذكر بعضهم أن السقمونيا إذا شرب منه المقدار المفرط وهو نصف درهم أمسك أولا ثم أكرب وغثى وعرق عرقا باردا ثم ربما انبعث إسهاله بإفراط وهو قاتل .

وأصل هذا النبات مسهل البطن وقد يكتفى منها بستة قراريط للإسهال إذا خلط بسمسم أو ببعض البزور .

ومن القدماء من كان يقول : إن الشربة التامة ثلاث ملاعق والشربة الوسطى ملعقتان والدون معلقة واحدة وذلك بأنهم كانوا يأخذون من اللبن الذي أخذ من هذا النبات قدر ست قوانوسات ومن الملح ست قوانوسات ويسقون الإنسان بخلاف ما نأمر نحن في زماننا هذا .

وقال بعضهم : إن العتيق إذا تنوول منه مقدار قليل أدر ولم يسهل وسقيه مع الصبر أقل لهذا وكدلك مع ترمس والملح والبزور العطرة وإذا احتمل في صوفة قتل السموم : ينفع من لسع العقرب شربا وطلاء على العضو .

سكبينج .

الماهية : شجرة لا منفعة فيها بل في صمغها وقد قيل : إن من القنة نوعا يستحيل فيصير سكبينج .

---

(١) المطهر المقدسي ومنهجه التاريخي في كتاب البدء والتاريخ، ص/١٤٦

قال ديسقوريدوس : هو صمغ نبات شبيه بالقثاء في شكله ينبت في بلد ماء .

والجيد منه ما كان صافيا وكان خارجه أحمر وداخله أبيض ورائحته فيما بين رائحة الحلتيت ورائحة القنة حريف وقد يغش بنوع من الصمغ .

" (١).

"و إنَّ ابن طلاع روى أنَّ أحمدا ... رأى أبويه بعد ذوق المنية

فأحياهما رب العباد فآمنا ... به ثم عادا مكرمين لتربة

و قدره عليه السلام أوسع من هذا كله صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم وعظم:

لو ناسبت قدره آياته عظما ... أحيا اسمه حين يدعى دارس الرعم

و أما قول المسعودي في أبي طالب فما استفاده محبكم إلاّ من كتبكم أبقى الله لنا بركاتنا.

قال جامع هذا الموضوع عبيد الله أحمد بن محمّد المقري وفقه الله : وجدت على هذا المحل من كلام الشيخ ابن غازي في الطرة بخط الإمام سيدي أحمد الوانشريشي رحمه الله ما نصه: قال القاضي أبو عبد الله محمّد بن خلفة الوشتاتي المعروف بالأبي في إكمال الإكمال ما نصه: السهيلي: **ورأيت في بعض كتب** المسعودي: وقيل إنَّه مات مؤمنا . ولا يصح لم تقدم من الآي والأحاديث.

و لا يحتج لذلك بما في السير من قول العباس: " و الله لقد قال أخي الكلمة التي أمرته بها يا رسول " لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لم اسمعها. ولو أنَّ العباس شهد بذلك بعد إسلامه قبلت شهادته لأن العدل إذا قال: سمعت وقال الأعدل : لم اسمع أخذ بقول من أثبت لأن عدم السماع قد يكون لسبب . فإن قلت: قد ذكرت أنَّ السير تدل على أنَّه كان مصدقا بقلبه وقدمت الخلاف في صحته إيمان من صدق بقلبه ولم ينطق بلسانه فهل يدخل في إيمانه ذلك الخلاف؟ قلت: لا يدخل لأنه صرح بالنقيض في قوله هو : " على ملة عبد المطلب " .

انتهى ما ألفيت بخط الوانشريشي.

و لنرجع إلى تتميم كلام ابن غازي.

٣ – قال رحمه الله: وأما أبو العباس العشاب الذي عرف باب طلحة فلا يعرف مجل سيادتكم إلاّ من كلام ابن عرفة وكأنه مؤرخ.

قال أحمد المقري وفقه الله : ألفيت على طرة هذا المحل بخط سيدي أحمد الوانشريشي رحمه الله ما

---

(١) القانون فى الطب . لابن سينا، ١٨٢/٢

نصه: لت أبو العباس العشاب المعروف بابن طلحة في كتاب الطلاق وقد وهم فيه وعرف في الترجمة مواقع الشهادات بابن الخبازي النحوي: هو أحمد بن محمّد بن إبراهيم المرادي المعروف بالعشاب. قال ابن مرزوق الخطيب في فهرسة شيوخه : هو من أعظم من لقيت بثغر الإسكندرية وأكثرهم تحصيلا قرأت عليه بعض موطأ الإمام وكتاب الشفا في التعريف بحقوق المصطفى وكتاب التيسير وكتاب التفسير من تأليفه جمع فيه بين تفسير ابن عطية وتفسير الزمخشري وقرأت عليه أوائل الكتب الستة بأسانيده فيها. ويحمل عن أعلام منهم أبو القاسم بن البراء والشيخ العارف أبو العباس أحمد بن عثمان بن أحمد بن عجلان القيسي الإشبيلي وأبو عمر عثمان بن سفيان المعروف بابن الشقي وأبو محمّد عبد الله بن محمّد بن أحمد الواعظ المعروف بابن الحجام وأبو العباس بن الغماز وعبد الحميد بن أبي البركات بن أبي الدنيا الصدفي وأبو القاسم بن زيتون وأبو علي بن عبيل.

انتهى ما ألفيت في هذا المحل بخط الشيخ سيدي أحمد الونشريشي .

و لنرجع إلى تكميل كلام ابن غازي.

قال رحمه الله: نعم ابن طلحة الذي عرف به : هو شيخ محمود الأعرج الزمخشري قرأ عليه كتاب سيبويه بمكة شرفها الله تعالى سمعت ذلك من شيخنا الأستاذ سيدي أبي عبد الله الكبير برد الله تعالى ضريحه وقد عرف صاحب الخريدة الزمخشري وهو بخزانة جامع الأندلس. وفي اعتقاد محبكم أنَّ ابن طلحة هذا النحوي خلاف الفقيه صاحب المدخل وأنَّ حظه من مسألة الاستثناء اللسان دون الفقه. فإن صح عند سيدنا أنَّه هو فليفدنا به متطولا مأجورا مشكورا.

قال أحمد المقري وفقه الله: و جدت على طرة هذا المحل بخط سيدي أحمد الونشريشي رحمه الله ما نصه:." (١)

"سقى الله أيام الصبا ما يسرها ... ويفعل فعل البابلي المعتق١

ولاشتهار بابل عند الأمم القديمة بمعارف السحر كما قدمنا في تعريف السحر صح جعل صلة الموصول قوله ﴿أنزل على الملكين﴾ إشارة إلى قصة يعلمونها.

و"هاروت وماروت" بدل من "الملكين" وهما اسمان كلدانيان دخلهما تغيير التعريف لإجرائهما على خفة الأوزان العربية، والظاهر أن هاروت معرب "هاروكا" وهو اسم القمر عند الكلدانيين وأن ماروت معرب "ما روداخ" وهو اسم المشتري عندهم وكانوا يعدون الكواكب السيارة من المعبودات المقدسة التي هي دون

---

(١) أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، ص/٢٦١

الآلهة لا سيما القمر فإنه أشد الكواكب تأثيرا عندهم في هذا العالم وهو رمز الأنثى، وكذلك المشتري فهو أشرف الكواكب السبعة عندهم ولعله كان رمز الذكر عندهم كما كان بعل عند الكنعانيين الفنيقيين. ومن المعلوم أن إسناد هذا التقديس للكواكب ناشئ عن اعتقادهم أنهم كانو من الصالحين المقدسين وأنهم بعد موتهم رفعوا للسماء في صورة الكواكب فيكون هاروكا و ماروداخ قد كانا من قدماء علمائهم وصالحيهم والحاكمين في البلاد وهما اللذان وضعا السحر ولعل هذا وجه التعبير عنهما في القصة بالملكين بفتح اللام ولأهل القصص هنا قصة خرافية من موضوعات اليهود في خرافاتهم الحديثة اعتاد بعض المفسرين ذكرها منهم ابن عطية والبيضاوي وأشار المحققون مثل البيضاوي والفخر وابن كثير والقرطبي وابن عرفة إلى كذبها وأنها من مرويات كعب الأحبار وقد وهم فيها بعض المتساهلين في الحديث فنسبوا روايتها عن النبي صلى الله عليه وسلم أو عن بعض الصحابة بأسانيد واهية والعجب للإمام أحمد ابن حنبل رحمه الله تعالى كيف أخرجها مسندة للنبي صلى الله عليه وسلم ولعلها مدسوسة على الإمام أحمد أو أنه غره فيها ظاهر حال رواتها مع أن فيهم موسى بن جبير وهو متكلم فيه واعتذر عبد الحكيم بأن الرواية صحيحة إلا أن المروي راجع إلى أخبار اليهود فهو باطل في نفسه ورواته صادقون فيما رووا وهذا عذر قبيح لأن الرواية أسندت إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن عرفة في تفسيره وقد كان الشيوخ يخطئون ابن عطية في هذا الموضع لأجل ذكره القصة ونقل بعضهم عن القرافي أن مالكا رحمه الله أنكر ذلك في

—

١ الذي ذكره الواحدي والمعري في تفسير البيت أنه أراد بالبابلي الخمر وكنت رأيت في بعض كتب الأدب أن بعض من ناظر المتنبي انتقد هذا الإطناب مع أنه كان يستطيع أن يقول سقاها خمرا لا سيما وقد قال ما يسرها قلت: وقرينة كونه المراد وصفه بالمعتق وهو من أوصاف الخمر والعذر للمتنبي أنه أراد سقاها الله خمرا كخمر بابل فلا ضير في ذلك.." (١)

"فقال إنما هذا من قول ابن مسعود لأن النبي صلى الله عليه وسلم إنما ضحك تعجبا لا تصديقا لليهودي وقد كثر تعجبي من إنكاره ودفعه هذا الخبر وكان يثبت الأخبار في ذكر الأصبعين. قد احتج في غير كتاب من كتبه بأخبار النبي صلى الله عليه وسلم ما من قلب إلا وهو بين أصبعين من أصابع رب العالمين فإذاكان هذا عنده ثابتا يحتج به فقد أقر وشهد أن لله صابع لأن مفهوما في اللغة إذا قيل أصبعين من الأصابع أن الأصابع أكثر من أصبعين فكيف ينفي الأصابع مرة ويثبتها أخرى فهذا تخليط في المذهب

---

(١) التحرير والتنوير، ٦٢٤/١

والله المستعان.

وقد حكيت مرارًا عن بعض من كان يطيل مجالسته أنه قد انتقل في التوحيد منذ قدم نيسابور ثلاث مرات وقد وصفت أقاويله التي انتقل من قول إلى قول وقد **رأيت في بعض كتبه** يحتج بخبر ليث بن أبي سليم عن عبدالرحمن بن سابط عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم.

ويخبر خالد بن اللجلاج عن عبدالرحمن بن عائش عن النبي صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم قال رأيت ربي في أحسن صورة فيحتج مرة بمثل هذه الأسانيد الضعاف الواهية التي لا تثبت عند أحد له معرفة بصناعة الحديث.." (١)

" صفحة رقم ٧١٦

شيء من ذلك عنهم في حال من الأحوال ، ونطق الكتاب بذلك في صرائح الأقوال ، وفي سوقه معلقا هكذا مع ما تقدم زيادة في عذابهم بتعليق رجائهم من انقطاع بلائهم بما لا مطمع فيه .

ولما كان في إظهار الجلال في هذا الحال من عظيم الأهوال ما لا يسعه المقال ، أتبعه اللطف بالمخاطب به (صلى الله عليه وسلم) فقال : (إن ربك) أي المحسن إليك برفع أوليائك وخفض أعدائك .

ولما كان السياق - في مثل هذه المقاولة في مجمع الحكم - للحكمة والعلم ، وكان النظر إلى الحكمة في تنزيل كل شيء منزلة أعظم ، قدم وصفها فقال : (حكيم) أي فلا يعذب المخلص ويترك المشرك ولا يعذب بعض من أشرك ويترك بعضا) عليم) أي بدقائق الأمور وجلائلها من الفريقين ، فلا يخفى عليه عمل أحد فيهمله لذلك .

ولما استبان بهذا أنه ولى الكفرة من ظالمي الجن ظالمي الإنس وسلطهم عليهم ، أخبر تعالى أن هذا عمله مع كل ظالم من أي قبيل كان سواء كان كافرا أو لا فقال : (وكذلك) أي ومثل تلك التولية التي سلطنا بها الجن على الإنس بما زاد عذاب الفريقين) نولي) أي نتبع في جميع الأزمان من جميع الخلق) بعض الظالمين) أي الغريقين في الظلم) بعضا) أي بأن نجمع بين الأشكال ، في الأوصاف الباطنة والخصال ، ونسلط بعضهم على بعض في الضلال والإضلال ، والأوجاع والأنكال) بما كانوا (بجبلاتهم) يكسبون) أي بسبب اجتماعهم في الطباع التي طبعناهم عليها يجتمعون وينقاد بعضهم لبعض ، بحسب ما سببنا من الأسباب الملائمة لذلك الظلم الذي يسرناه لهم ، حتى صارت أعمالهم كلها في غير مواضعها ، فيظلم بعضهم بعضا ويهلك بعضهم بعضا ، وهم لا يزدادون إلا الالتئام حتى يستحق الكل ما كتبنا لهم من عذاب

---

(١) التوحيد لابن خزيمة، ص/١٣٠

؛ روى الطبراني في الأوسط ن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : (إن الله عز وجل يقول : أنتقم ممن أبغض بمن أبغض ثم أصير كلا إلى النار) وعن مالك بن دينار قال : **رأيت في بعض كتب** الله المنزلة أن الله تعالى يقول : افني أعدائي بأعدائي ثم أفنيهم بأوليائي .
أو يقال : فقد أخبرنا أن الله عز وجل ولى المؤمنين بسبب محاسن أعمالهم ، ومثل ما ولاهم ليعزهم يولي بعض الظلمة بعضا ليهينهم بسبب ما كانوا يتعاطونه من مساوئ الأعمال ورديء الخلال وغث الخصال فيؤديهم إلى مهلك." (١)

"حقيقة مقالات ابن عربي وأصحابه وبيان وقت ظهورها ومدى شناعتها

قال رحمه الله تعالى: [واعلم أن هذه المقالات لا أعرفها لأحد من أمة قبل هؤلاء على هذا الوجه] يعني: هذه المقالات في شناعتها وإلحادها وكفرها لا تعرف لأحد من أمة قبل هؤلاء على هذا الوجه، ثم استدرك وقال: [ولكن **رأيت في بعض كتب** الفلسفة المنقولة عن أرسطو أنه حكى عن بعض الفلاسفة قوله: إن الوجود واحد ورد ذلك] أرسطو مع أنه فيلسوف وثني ملحد رد هذه المقولة؛ لأنها لا تعقل، مقولة: أن الوجود هو الله، قال: [وحسبك بمذهب لا يرضاه متكلمة الصابئين] يقصد أرسطو، ثم قال: [وإنما حدثت هذه المقالات بحدوث دولة التتار] ثم ذكر أنواع الحلول وليس لنا مصلحة منها؛ لأنها مقالات مجردة، وكلها تئول إلى الكفر.." (٢)

"والهواء ثم الأجسام بأعراضها كذا **رأيت في بعض كتبهم** والله أعلم فإذا سأل سائل عن ابتداء الخلق فجوابه أن ما دون الله مخلوق نعم سؤالك عن العالم العلوي أم العالم السفلي أم عن الآخرة الموعودة أم عن الدنيا الفانية [٣٠] لأن كل شيء من هذه الأشياء ابتدأ منه ابتداء ونشو فإن قيل هل غير الدنيا والآخرة شيء قيل العرش والكرسي والملائكة واللوح والقلم وسدرة المنتهى مخلوقة كلها ولا تعد [١] من الدنيا ولا من الآخرة وكذلك الجنة والنار والصراط والميزان والصور والأعراف والرحمة والعذاب مخلوقة عند كثير من الأمة ثم من بعدهم من أهل الكتاب ولا يعد من الدنيا ولا من الآخرة فإن قيل فقد قال الله تعالى فلله الآخرة والأولى ٥٣: ٢٥ ولم يذكر شيئا غيرهما قيل ولم يذكر الأشياء غيرهما مع أكثر أهل التفسير يقولون معناه لله الحكم في الآخرة والأولى وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بعد الموت مستعتب ولا بعد الدنيا إلا الجنة والنار لأنه لا شيء غيرهما وإنما يصح هذا إذا عرفت الدنيا والآخرة ما هما على انه لا عتب

---

(١) نظم الدرر . ، ٧١٦/٢

(٢) شرح باب توحيد الربوبية من فتاوى ابن تيمية، ناصر العقل ٤/٨

[١] . يعد Ms.." (١)

"انقضاض الكواكب

رأيت في بعض كتب التأريخ أنه كان بين مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى أن رأت قريش النجوم يرمي بها في السماء عشرون يوما وقال الله عز وجل إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظا من كل شيطان مارد لا يسمعون إلى الملإ الأعلى ويقذفون من كل جانب دحورا ولهم عذاب [واصب] إلا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب ٣٧: ٦- ١٠ فدل بقوله حفظا من كل شيطان مارد أنها لم تزل [١] محفوظة مذ خلقت الكواكب لها زينة وقد سئل الزهري عن انقضاض الكواكب في الجاهلية فقال قد كان ذلك فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم شدد وغلظ ألا ترى إلى قول الشاعر [بسيط]

فأنقض كالكوكب الدري يتبعه ... نقع يخال على أرجائه الطنبا

وقد روى أخبار في هذا الباب. والذي يشبه الحق أنه قد كان قبل ذلك انقضاض الكواكب وأنه قرن به عند الوحي ضرب من العذاب يقضى به الخاطف المستمع والله أعلم،،،

ذكر فترة الوحي

قالوا ثم فتر الوحي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

[١] . لم يزل Ms.." (٢)

"رؤية الكيفية في ذلك فقط بيان ذلك قوله تعالى له ﴿أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي﴾ فوضح أن إبراهيم لم يطلب ذلك برهانا على شك أزاله عن نفسه لكن ليرى الهيئة فقط وأما زكريا عليه السلام فإنما طلب آية تكون له عند الناس لئلا يكذبوه هذا نص كلامه والذي ذكروه عن إبراهيم عليه السلام كلام شاك يطلب برهانا يعرف به صحة وعد ربه له تعالى الله عن ذلك وحاشى لإبراهيم منه

فصل

وبعد ذلك قال وتجلى الله لإبراهيم عند بلوطات ممرأ وهو جالس عند باب الخباء عند حمي النهار ورفع

(١) البدء والتاريخ المقدسي، المطهر بن طاهر ١/١٥٥

(٢) البدء والتاريخ المقدسي، المطهر بن طاهر ٤/١٤٤

عينيه ونظر فإذا بثلاثة نفر وقوف أمامه فنظر وركض لاستقبالهم عند باب الخباء وسجد على الأرض وقال يا سيدي إن كنت قد وجدت نعمة في عينيك فلا تتجاوز عبدك ليؤخذ قليل من ماء واغسلوا أرجلكم واستندوا تحت الشجرة وأقدم لكم كسرة من الخبز تشتد بها قلوبكم وبعد ذلك تمضون فمن أجل ذلك مررتم على عبدكم فقالوا اصنع كما قلت فأسرع إبراهيم إلى الخباء إلى سارة وقال لها اصنعي ثلاث صيعان من دقيق سميذ اعجنيه واصنعي خبز ملة وحضر إبراهيم إلى البقر وأخذ عجلا رخصا سمنا ودفعه للغلام واستعجل بإصلاحه وأخذ سمنا ولبنا والعجل الذي صنعوه وقدم بين أيديهم وهو واقف عليهم تحت الشجرة وقال كلوا

قال أبو محمد رضي الله عنه في هذا الفصل آيات من البلاء شنيعة نعوذ بالله من قليل الضلال وكثيره فأول ذلك إخباره أن الله تعالى تجلى لإبراهيم وأنه رأى الثلاثة نفر فأسرع إليهم وسجد وخاطبهم بالعبودية فإن كان أولئك الثلاثة هم الله فهذا هو التثليث بعينه بلا كلفة بل هو أشد من التثليث لأنه إخبار بشخوص ثلاثة والنصارى يهربون من التشخيص وقد **رأيت في بعض كتب** النصارى الاحتجاج بهذه القضية في إثبات التثليث وهذا كما ترى في غاية الفضيحة فإن كان أولئك الثلاثة ملائكة وهكذا يقولون فعليهم في ذلك أيضا فضائح عظيمة وكذب فاحش من وجوه أولها من المحال والكذب أن يخبر بأن الله تعالى تجلى له وإنما تجلى له ثلاثة من الملائكة وثانيها أن يخاطب أولئك الملائكة بخطاب الواحد وهذا مما يزيد في ضلال النصارى في هذا الفصل وهذا أيضا محال في الخطاب وثالثها سجوده للملائكة فإن من الباطل أن يسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وخليله لغير الله تعالى ولمخلوق مثله فهذه كذبة وإن قالوا بل الله سجد فهذه كذبة ولا بد أو يكون الله عندهم هم الثلاثة المتجلون لا بد من أحداها وعادت البلية أشد ما كانت ورابعها خطابه لهم بأنه عبدهم فإن كان المخاطب بذلك هو الله تعالى وهو المتجلي له فقد عادت البلية وإن كان المخاطبون بذلك الملائكة فحاشى لله أن يخاطب إبراهيم عليه السلام بالعبودية غير الله تعالى ومخوقا مثله مع أن المحال أن يخاطب ثلاثة بخطاب واحد وخامسها قوله يؤخذ قليل من ماء ويغسل أرجلكم وأقدم كسرة من الخبز تشتد بها قلوبكم فهذه الحالة لئن كان خاطب بهذا الخطاب الله تعالى فهي التي لا سوي لها ولا بقية بعدها والتي تملأ الفم وإن كان خاطب بذلك الملائكة فهذا أكذب لأن إبراهيم عليه السلام لا يجهل أن الملائكة لا تشتد قلوبهم بأكل كسر الخبز." (١)

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل ابن حزم ١/١٠٣

"٥- وانتزع النصارى من التوراة: "أن ثلاثة من الملائكة مروا بإبراهيم عليه السلام فسجد لهم وخاطبهم بـ:"يا رب" [١]، قالوا: فهذا إبراهيم يعتقد التثليث الذي نحن نقول به[٢].

فيقال لهم: غلطتم أيها القوم غلطا عظيما، وحدتم عن صوب الصواب، وأشكل عليكم غير المشكل، وذلك أن التوراة تقول في السفر الأول منها: "إن الله سبحانه كان متجليا لإبراهيم قبل رؤيته الملائكة الثلاثة"[٣]. فقوله: "يا رب"، خطاب[٤] لله وحده. ويؤيد ما قلته قول / (٢/٨/ب) التوراة: "ومضى الملائكة نحو سدوم وبقي إبراهيم قائما بين يدي الله تعالى يشفع في القوم، ويقول: بخطيئة واحدة تهلك الأبرار مع الفجار، حاشاك من ذلك يا حاكم الأرض أن[٥] يكون هذا من صنيعك"[٦]. فهذا وجه حسن مقبول.

ووجه آخر: وهو أنه يحتمل أن يكون إبراهيم أضمر (يا رسل رب) ، والإضمار في التوراة كثير جدا: "كقول الملك لهاجر رآها ومعها ولدها إسماعيل: شدي يديك بهذا الغلام فإني سأكثر نسله كثيرا"[٧]. فأضمر الملك: "يقول لك الله: إني سأكثر نسل ولدك". إذ الملك لا يقدر على ذلك، وهو صادق لا يكذب.

---

١ ورد النص في تكوين ١٨/٢، ٣، كالآتي: "وسجد إلى الأرض وقال: يا سيد ... "

٢ نقل ذلك عنهم أيضا الإمام ابن حزم في كتابه: (الفصل في الملل والنحل ١/٢٢٠) ، وقال: "وقد رأيت في بعض كتب النصارى الاحتجاج بهذه القضية في إثبات التثليث". اهـ.

٣ تكوين ١٢/٧، ١٨/١.

٤ في م: [خطابا] .

٥ في م: (أن) ساقطة.

٦ تكوين ١٨/٢٢-٢٥.

٧ تكوين ٢١/١٧، ١٨.." (١)

"فتح طليطلة

وألقى طارق طليطلة خالية، ليس فيها إلا اليهود في قوم قلة، وفر علجها مع أصحابه، ولحق بمدينة خلف الجبل. وتبعهم طارق، بعد أن ضم اليهود، وخلى معهم بعض رجالة وأصحابه بطليطلة؛ فسلك إلى وادي الحجارة؛ ثم استقبل الجبل؛ فقطعه من فج يسمى به إلى اليوم؛ فبلغ مدينة خلف الجبل، تسمى مدينة المائدة.

---

(١) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل صالح الجعفري ١/٤٦٠

ثم فتح مدينة المائدة؛ فوجد فيها مائدة سليمان بن داود – عليهما السلام! وكانت من زبرجدة خضراء، حافاتها وأرجلها منها؛ وأصاب بها مالا وحليا كثيرا؛ ثم انصرف إلى طليطلة. هكذا آثر الناس هذا كله، على أن طارقا صنعه. وقال آخرون: بل، أقام طارق حيث كانت الوقعة، وجاز إليه موسى. وقيل: بل، وجده بقرطبة.

وفي سنة ٩٢ من الهجرة، دخل موسى بن نصير الأندلس في رمضان، بعد دخول طارق بسنة، ومضى غازيا فيها، مفتتحا لحصونها هذه السنة وسنة أربع وبعض سنة خمس؛ فافتتح جميع حصونها، وهزم جميع من لقيه من أمرائها؛ فلم يلق كيدا من أحد، ولا انهزمت له راية، حتى انتهى إلى مدينة من مدن إفرنجة، يقال لها لوطون، وقد ملك ما سواها ودونها إلى أقصى برسلونة. فلما انتهى إلى مدينة لوطون، ضاق المسلمون، وخافوا أن يحاط بهم؛ فكلموه في ذلك؛ فقفل بهم راجعا. قال مؤلف (كتاب بهجة النفس) : **ورأيت في بعض كتب** العجم أن المسلمين انتهوا إلى مدينة لوطون قاعدة الإفرنج، ولم يبق لأهل الإسلام شيء لم يتغلبوا عليه مما وراء ذلك، إلا جبال قرقوشة وجبال بنبلونة وصخرة حليقية؛ فأما الصخرة، فلم يبق فيها مع ملك حليقية سوى ثلاثمائة رجل،." (١)

"٢٦ –] والحياء: عبارة عن تغيير يحصل في القلب والوجه عند فعل شيء قبيح.

واعلم أن القانون الصحيح في هذه الألفاظ أن نقول: لكل واحد من هذه الأحوال أمور توجد معها في البداية، وآثار تصدر عنها في النهاية –[أيضا]–.

مثاله: أن الغضب: حالة تحصل في القلب عند غليان دم القلب وسخونة المزاج، والأثر الحاصل منها في النهاية إيصال الضرر إلى المغضوب عليه، فإذا سمعت الغضب في حق الله – تعالى –، فاحمله على نهايات الأعراض، [لا على بدايات الأعراض] ، وقس الباقي عليه.

فصل في عدد أسماء الله

قال ابن الخطيب – رحمه الله –: " **رأيت في بعض كتب** الذكر أن لله – تعالى – أربعة آلاف اسم: ألف منها في القرآن، والأخبار الصحيحة، وألف في التوراة، وألف في الإنجيل، وألف في الزبور، ويقال: ألف آخر في اللوح المحفوظ، ولم يصل ذلك الألف إلى عالم البشر ".

---

(١) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ابن عذاري المراكشي ١٢/٢

فصل في فضل البسملة

روي أن نوحا – عليه الصلاة والسلام – لما ركب السفينة قال: ﴿بسم الله مجراها ومرساها﴾ [هود: ٤١] وجد النجاة بنصف هذه الكلمة، فمن واظب على هذه الكلمة طول عمره كيف يبقى محروما من النجاة؟ وأيضا أن سليمان – عليه الصلاة والسلام – ملكه الله – تعالى – الدنيا والآخرة بقوله تعالى: ﴿إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم﴾ [النمل: ٣٠] فالمرجو أن العبد إذا قاله، فإنه يملك الدنيا والآخرة.

فإن قيل: لم قدم سليمان – عليه السلام – اسم نفسه على اسم الله – تعالى – في قوله: ﴿إنه من سليمان وإنه﴾ [فالجواب من وجوه:

الأول: أن " بلقيس " لما وجدت ذلك الكتاب موضوعا على وسادتها، ولم يكن لأحد عليها طريق، ورأت الهدهد واقفا على طرف الجدار، علمت أن ذلك الكتاب من سليمان، فأخذت الكتاب، وقالت: ﴿إنه من سليمان﴾ ، فلما فتحت الكتاب رأت " بسم الله الرحمن الرحيم " [قالت: ﴿وإنه بسم الله الرحمن الرحيم﴾] .

فقوله: ﴿إنه من سليمان﴾ من كلام " بلقيس "، لا من كلام " سليمان "..." (١)

"سلخه توفي الشيخ البركة بدر الحلبي اصله من الباب من قرب حلب وقدم دمشق من نحو سبعين سنة وكان عمره آنذاك فوق الثلاثين واستمر بدمشق يتجر بسوق جقمق ويقيم الوقت بالمسجد القريب من التوريزي في كل ليلة اربعاء ثم كان يغسل الموتى ثم تنقلت به الاحوال إلى ان عجز واقام ببيته ملازما للتلاوة والذكر والخير وكان سليم الفطرة ومن حين نشأت اجتمعت به فلم اسمعه قط يذكر احدا بسوء ولا يقع من لفظه قط الا ما يتعلق بالدار الآخرة وذكر الموت ونحو هذا مما لوحظ في مجالسه في آخرته وقد جاوز المائة ولم يبق الآن بدمشق من جاوز المائة الا رجل آخر يقال له المكشوف بالمسجد المجاور للقجماسية شرقي دار النيابة وخلف الشيخ بدر ثلاثة اولاد احدهم الشيخ محمد نشأ على خير ملازم لحانوته بسوق جقمق يتجر ويخرج الزكاة كما تدل نزعته ولا يدخل فيما لا يعنيه قط ولا يخالط احدا ولا يعرف له ما ينقم عليه به في دينه قط ومولده قبل الاربعين وثمانمائة ودونه الشيخ احمد يخالط الناس ويعاملهم وحصل اموالا جزيلة ثم عامل من اكلها عليه وعجز عن خلاصها منهم وكان قد وقعت له محنة تكلف بسببها مالا فسمعته يقول في بعض المجالس ان الذي غرمه يحسبه من الزكاة ويدعي ان هذا مذهب ابي حنيفة وقد سألت عن

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٥٥/١

ذلك من يوثق به من الحنفية فقال ان مذهبهم ان الرجل إذا نوى عند الدفع انه من الزكاة وقع عنها **ورأيت في بعض كتبهم** تعليله." (١)

"وأما قول المسعودي في أبي طالب فما استفاده محبكم إلا من كتبكم أبقى الله لنا بركاتنا.

قال جامع هذا الموضوع عبيد الله أحمد بن محمد المقري وفقه الله: وجدت على هذا المحل من كلام الشيخ ابن غازي في الطرة بخط الإمام سيدي أحمد الوانشريشي رحمه الله ما نصه: قال القاضي أبو عبد الله محمد بن خلفة الوشتاتي المعروف بالأبي في إكمال الإكمال ما نصه: السهيلي: **ورأيت في بعض كتب** المسعودي: وقيل إنه مات مؤمنا. ولا يصح لم تقدم من الآي والأحاديث.

ولا يحتج لذلك بما في السير من قول العباس: " والله لقد قال أخي الكلمة التي أمرته بها يا رسول " لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لم اسمعها. ولو أن العباس شهد بذلك بعد إسلامه قبلت شهادته لأن العدل إذا قال: سمعت وقال الأعدل: لم اسمع أخذ بقول من أثبت لأن عدم السماع قد يكون لسبب.

فإن قلت: قد ذكرت أن السير تدل على أنه كان مصدقا بقلبه وقدمت الخلاف في صحته إيمان من صدق بقلبه ولم ينطق بلسانه فهل يدخل في إيمانه ذلك الخلاف؟ قلت: لا يدخل لأنه صرح بالنقيض في قوله هو: " على ملة عبد المطلب ".

انتهى ما ألفيت بخط الوانشريشي.

ولنرجع إلى تتميم كلام ابن غازي.

٣ – قال رحمه الله: وأما أبو العباس العشاب الذي عرف بابن طلحة." (٢)

"وروان وكثيرا من القصبات والولايات واستمروا مغلوبين إلى أن ظهر شاه عباس صاحب الترجمة فولى السلطنة بخراسان في سنة خمس وتسعين وتسعمائة مكان والده في حياته وكان جلوسه بقزوين لكون والده كان أعمى وقد استولت في أيامه أمراء قزلباش على الدولة واتخذوها حصصا فسفك فيهم واستقل بالأمر وكان في ابتداء أمره يدارى طرف آل عثمان ويرسل ابن أخيه حيدر بالهدايا والتحف إلى أن مات ملك الأوزبك أوزبك خان وولده عبد المؤمن في سنة عشر بعد الألف وكان ملوك الأوزبك أخذوا من خراسان بلادا فاستخلصها واحدة بعد واحدة ثم قصد جدال عثمان لما كان وقع من الاختلال بسبب الجلالية الذين ظهروا في زمن السلطان أحمد ونقض العهد الذي بينه وبينهم وحاصر مملكة تبريز وروان واستولى عليهما

---

(١) تاريخ البصروي البُصْرَوي ص/١٨١

(٢) أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض المقري التلمساني ٧٥/٣

ثم أخذ قندهار من بلاد الهند واستولى على خوارزم وكيلان وسجستان ثلاثة وأربعين سنة وكان سلطانا صاحب جاش وقوة مكر غدارا محتالا فاسترد بعض البلاد وتقوى في العسكر والعدة فأخذ بغداد من يد آل عثمان وقد قدمنا سبب أخذه لها وإنه كان الفاعل لذلك بكر كبير عسكرها وإن الشاه دخلها بمخامرة منه ومن ابنه محمد وفعل ما فعل فيها وفي أهلها وكان أخذه لها في ثالث شهر ربيع الثاني سنة اثنتين وثلاثين وألف واستمرت في يده إلى سنة ثمان وأربعين فأخذها من يده السلطان مراد وسنذكر خبر أخذها إن شاء الله تعالى في ترجمة السلطان مراد المذكور ومن ذلك العهد لزم شاه عباس حدهم الأصلي الذي كان في زمن الشاه اسماعيل ولم يتجاوزه لا هو ولا أبناؤه إلى يومنا هذا وطال عمره في السلطنة وبلغ من العزة والحرمة نهاية أمانيه وخدمه أجلاء العلماء في مناصبه منهم الشيخ الاستاذ محمد بهاء الدين بن حسين الحارثي الهمداني الشامي فإنه كان مفتيه ومشيد أركان دولته وباسمه ألف كثيرا من كتبه ورسائله ونوه به وقد **رأيت في بعض كتبه** غريبة حكاها في سياق ذكره قال إن سلطان زماننا خلد الله ملكه وأجرى في بحار التأبيد فلكه عرض له يوما في مصيده خنزير عظيم الجثة طويل السن الخارج فضربه بالسيف ضربه نصفه بها نصفين ثم أمر بقلع سنه والاتيان بها إليه فوجد مكتوبا عليها لفظ الجلالة بخط بين مثبت ناتيء منها فحصل له ولنا ولمن حضر المصيدة من العسكر المنصور نهاية العجب فإن ذلك من أغرب الغرائب ولما أرانيها أدام الله نصره وتأييده قال لي كيف يجتمع هذا مع نجاسة." (١)

"البضاعة بتلك الأبيات على الجبل يستعدي على السهمي هو الزبير بن عبد المطلب فقال إن هذا الأمر ما ينبغي لنا أن نمسك عنه فطاف في بني هاشم وبني زهرة وبني أسد وبني تيم؛ فاجتمعوا في دار عبد الله بن جدعان، وتحالفوا بالله لنكونن يدا للمظلوم على الظالم حتى نؤدي إليه حقه ما بل بحر صوفه وما رسا ثبير وحراء في مكانه وعلى التوادد والتعاقل فتم ذلك إلى أن جاء الإسلام وفي ذلك يقول الزبير بن عبد المطلب // (من الوافر) //

(حلفت لنعقدن حلفا عليهم ... وإن كنا جميعا أهل دار)

(نسميه الفضول إذا عقدنا ... يعز به الغريب لدى الجوار)

(ويعلم من حوال البيت أنا ... أباة الضيم نمنع كل عار)

---

(١) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر المحبي ٢٦٨/٢

وأما حلف الأحابيش مع قريش فقد قال الزبير بن بكار حدثني محمد بن الحسن قال تحالفت قريش والأحابيش فصارت الأحابيش حلفا لقريش دون بني كنانة والذين جروا حلفهم لقريش بنو عبد مناف بن قصي والأحابيش هو بنو الحارث بن عبد مناة بن كنانة والحياء والمصطلق بن خزاعة والقارة بنو الهون بن خزيمة بن مدركة ومالك وملكان ابنا كنانة وهذيل كلهم يدا واحدة مع قريش وكانت خزاعة كلها إلا الحياء والمصطلق مع بني مدلج وكان تحالف قريش والأحابيش على الركن يقوم رجل من قريش والآخر من الأحابيش فيضعان أيديهما على الركن فيحلفان بالله وبحرمة هذا البيت والمقام والركن والشهر الحرام على النصر على الخلق جميعا حتى يرث الله الأرض ومن عليها وعلى التعاون والتعاقل وعلى من عاداهم من الناس جميعا ما طلعت الشمس من مشرقها وما غربت من مغربها تدونا ونديكم إلى يوم القيامة قلت **ورأيت في بعض كتب** السير إنما سموا الأحابيش لعقدهم ذلك الحلف عند جبل بأسفل مكة يقال له حبشي فالله تعالى أعلم بالحقائق وأما يوم الفجار الأول فقال الفاكهي عند ذكر الفجار الأول وما كان فيه بين قريش وقيس عيلان وسبب ذلك حدثنا عبد الملك بن محمد عن زياد بن عبد الله عن محمد بن إسحاق قال ثم هاج يوم الفجار الأول بين قريش ومن كان إليها من كنانة كلها وبين قيس عيلان سببه أن رجلا من بني كنانة كان عليه دين لرجل من." (١)

"ونقل ابن رجب عن الشيخ ابن تيمية أنه قال: لكنه يكثر من النوافل. **ورأيت في بعض كتب** المالكية ما نصه: من تعمد ترك صلاته حتى يخرج وقتها فعليه القضاء والاستغفار إذا كان مستيقنا، ومن ظهر عليه ترك صلاته مستخفا بها ومتوانيا عنها أمر بفعلها، فإن أمتنع من ذلك هدد وضرب فغن أقام على أمتناعه قتل حدا لا كفرا، وورثه ورثته ودفن في مقابر المسلمين ت (١) المشهور القضاء مع العمد، وقاله ح وش. وقال ابن حبيب: لا يجب القضاء وابن حنبل بناء على أن ترك الصلاة مع الأعتراف بوجوبها كفر والكافر لا يصلى: المرتد إذا مات لا يقضى واحتجا بقوله – صلى الله عليه وسلم –: ((بين المؤمن والكافر ترك الصلاة)) لنا قوله – صلى الله عليه وسلم –: ((خمس صلوات أفترضهن الله عز وجل، من أحسن وضوءهن وصلاهن لوقتهن، وتمم ركوعهن وخشوعهن له عند الله عهد، إن يشأ يعذبه وإن يشأ يدخله الجنة)) أخرجه أبو داود وابن عبد الرحمٰن السلمي لا يقضى المتعمد، لأن عموم قوله عليه الصلاة والسلام: ((من نام عن صلاة أو نسيها)) أن المتعمد لا يقضى. لما أنه آثم فهو اولى بالتغليظ عليه القضاء.

وفي بعض الطرق: لا كفارة لها إلا ذلك. والإثم أولى بلا تكفير أو تقول: المراد بالناسي التارك مطلقا، لقوله

---

(١) سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي العصامي ١/٢٣٦

تعالى: ﴿نسوا الله فنسيهم﴾ أى تركوا مع العمد. أنتهى.

(قلت) : ولعل ما ذكره الأصوليون من قولهم. إذا خرج المكلف الواجب عن وقته المعين له شرعا فهل يجب القضاء بالأمر السابق، بمعني أنه

---

(١) إشارة للتتائي، ح وش الآيتان إشارة للحطاب والخرش.." (١)

"هذه التفاسير المتداولة قاطعة عن العلوم الإسلامية، وإن ضرورة المحافظة على الدين تقتضي باختيار الكتب النافعة.

قال: فكل ما نذكره فإنما الغرض منه تمحيص الحقيقة والتماس الأنفع لنا في علوم ديننا، وهذا عذرنا في كل ما نسطره عن هذه المؤلفات التي ابتلينا بها اليوم وابتليت بنا إلخ". انتهى المقصود مما ذكره هذا الفاضل المنصف.

وبه يعلم حال المتداول من التفاسير على الإجمال، فكيف يقال إن تفسير القرآن قد فرغ منه العلماء، مع أنهم هم الذين قالوا في شأن علم التفسير علم لا نضج ولا احترق، وقالوا: المراد بنضج العلم تقرير قواعده وتفريع فروعها وتوضيح مسائله، والمراد باحتراقه بلوغه النهاية في ذلك؟!.

وقد ذكر الإمام السيوطي في (الإتقان) أن القرآن في اللوح المحفوظ كل حرف منه بمنزلة جبل قاف، وكل آية تحتها من التفاسير ما لا يعلمه إلا الله تعالى. انتهى. فمتى أعطاه العلماء حقه حتى يقال أن٥م قد فرغوا منه؟ فهل هذا إلا قول من قد بلغ من الجهل بدينه إلى الغاية؟

وأي ذنب لمن طلب في هذا العصر، أو تمنى أن يفسر القرآن تفسيرا نافعا للعامة والخاصة بعبارة سلسة، يفهمها كل أحد، كعبارات بناء هذا العصر، وكتابه النابغين فيه، لا كعبارات الكتاب الماضين من الأعاجم وغيرهم، فإنهم كانوا يتفاخرون بدقة العبارات وصعوبتها وعدم فهمها ويعيبون الواضح منها، مع أن البلغاء المتقدمين والكتبة السابقين على العكس من ذلك، فقد **رأيت في بعض كتب** أصول الحديث ما نصه: "ويكره كراهة تنزيه الخط الدقيق لفوات الانتفاع أو كماله به لمن ضعف نظره، وربما ضعف نظر كاتبه بعد ذلك فلا ينتفع به، كما قال الإمام أحمد بن محمد بن حنبل لابن عمه حنبل بن إسحاق بن حنبل- ورآه يكتب خطا دقيقا-: فإنه يخونك أحوج ما تكون إليه" انتهى.

---

(١) جلاء العينين في محاكمة الأحمدين ابن الآلوسي ٢٦٥/١

فكتب عليه الوالد رحمه الله في هامش الكتاب: "انظر إذا كانت الدقة في الخط هكذا فكيف بها في عبارات العلوم الشرعية؟ وقد عدوا ذلك وجعلوه من." (١)

"الله صلى الله عليه وسلم كنيسة رأتها بأرض الحبشة وما فيها من الصور؛ فقال: «أولئك إذا مات فيهم الرجل أو العبد الصالح بنوا على قبره مسجدا، وصوروا فيه تلك الصور؛ أولئك شرار الخلق عند الله» . ولابن خزيمة، عن مجاهد: ﴿أفرأيتم اللات والعزى﴾ قال: «كان يلت له السويق، فمات؛ فعكفوا على قبره» .

وكل عاقل يعلم أن لزيادة الزخرفة للقبور وإسبال الستور الرائقة عليها وتسريجها والتأنق في تحسينها تأثيرا في طبائع غالب العوام؛ ينشأ عنه التعظيم والاعتقادات الباطلة، وهكذا إذا استعظمت نفوسهم شيئا مما يتعلق بالأحياء؛ وبهذا السبب اعتقدت كثير من الطوائف الإلهية في أشخاص كثيرة!

ورأيت في بعض كتب التاريخ أنه قدم رسول لبعض الملوك على بعض خلفاء بني العباس؛ فبالغ الخليفة في التخويل على ذلك الرسول، وما زال أعوانه ينقلونه من رتبة إلى رتبة؛ حتى وصل إلى المجلس الذي يقعد الخليفة في برج من أبراجه، وقد جمل ذلك المنزل بأبهى الآيات، وقعد فيه أبناء الخلفاء وأعيان الكبراء، وأشرف الخليفة من ذلك البرج، وقد انخلع قلب ذلك الرسول مما رأى؛ فلما وقعت عيناه على الخليفة؛ قال لمن هو قابض على يده من الأمراء: أهذا الله؟! فقال ذلك الأمير: بل هذا خليفة الله. فانظر [ما] صنع ذلك التحسين بقلب هذا المسكين!." (٢)

---

(١) غاية الأماني في الرد على النبهاني الألوسي، محمود شكري ١/١١٥

(٢) الكشف المبدي محمد بن حسين الفقيه ١/٣٣٢